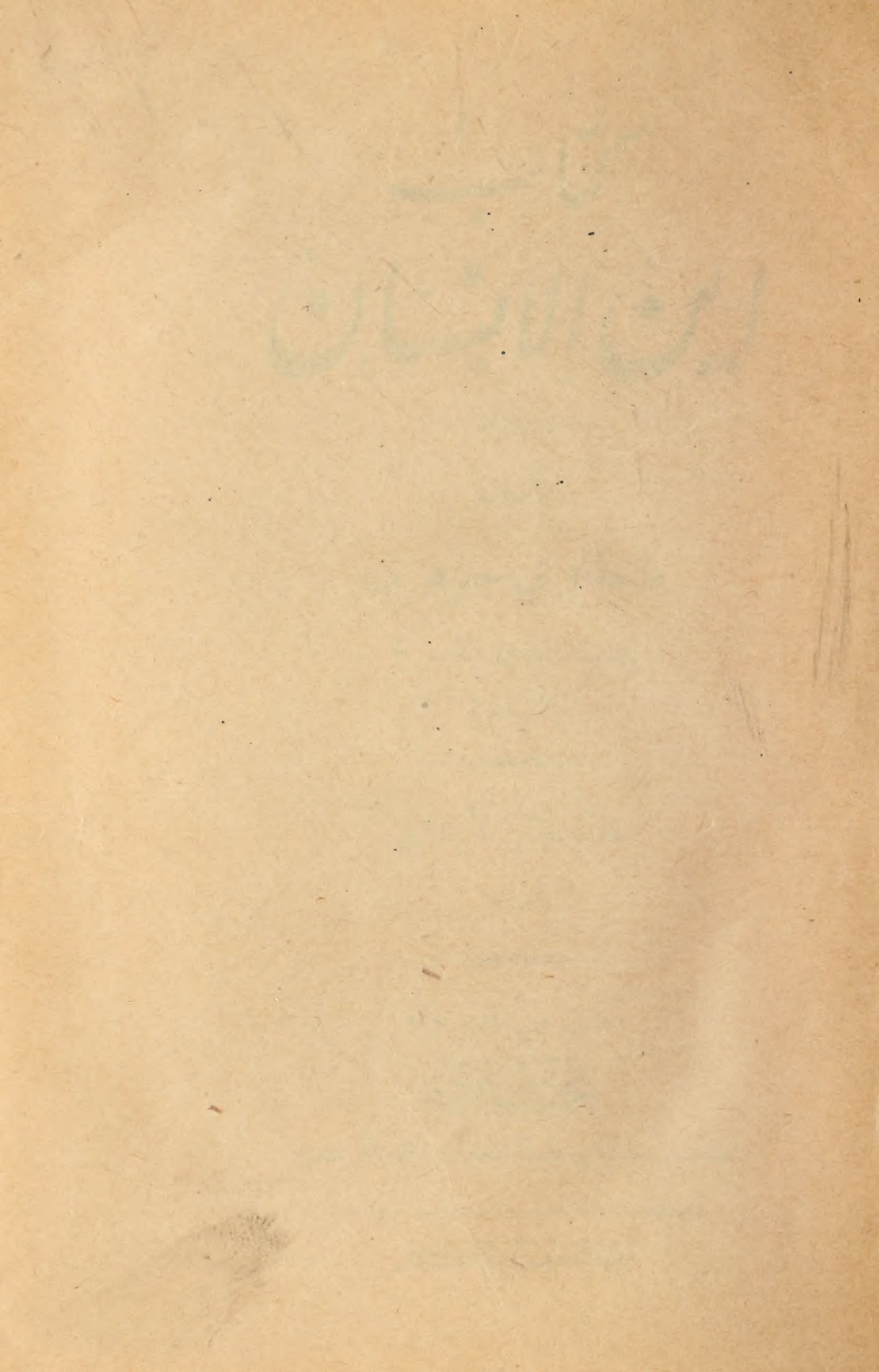




كتاب

ابن الانسان

تأليف

طنطاوي جوهري

بمدرسة المعلمين الناصرية

بالقاهرة

مقدم لمؤتمر الأجناس

العام

يطلب من ملتزم طبعه

نجيب متري

صاحب مكتبة ومطبعة المعارف بالفجاله بمصر

مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر


LIBRARY
NOV 22 1972
UNIVERSITY OF TORONTO

اهداء الكتاب

« الى عطوفة الوزير الجليل ناظر المعارف العمومية »

ان قبول امتي المصرية المحبوبة لعملي كان خير معوان لي على المزيد . فصنفت هذا الكتاب . ذكرى لأولي الألباب . و بدأت بعرض خلاصته على اللجنة التنفيذية لمؤتمر الاجناس العام بانكلترا ، والاستاذ اغناطيوس غويدي برومية الكبرى ، وحضرة صديقنا الدكتور محمود بك لبيب محرم بألمانيا

فما كان جواب اللجنة التنفيذية الا الموافقة عليهِ ، وقفى على آثارها الاستاذ غويدي اغناطيوس ، وهكذا الفاضل محمود بك لبيب محرم ، وقد طلب الاخيران التعجيل بطبعه باللغة العربية قبل ان يظهر بلغات الغربيين . فلم يكن اذ ذاك بد من نشره ببلادنا الشريفة المصرية بعد استشارة ذوي العلم والمكانة بالبلاد

ولما كان زمام الحركة العلمية والنهضة الادبية بيد وزيرها الجليل الهمام احمد باشا حشمت ناظر المعارف العمومية دخلت البيت من بابه ، وعرضت الكتاب على جنابه ، فحاز القبول لديه ، ووافق على طبعه ، لتعميم نشره ، فالتمست ان اقدمه اليـه لينشر باسمه في العالمين ، اعترافاً بفضله ولما ابداه من التعضيد والتأييد ، فقبل الهدية أفلا اكون له من الشاكرين ؟

طنطاوي جوهري

كلمة للمؤلف وذكر ما دار بينهُ وبين علماء اوروبا من المراسلات بشأن الكتاب

هذا كتاب كتبتهُ للناس ، خاطبت بهِ حكماء الخافقين ، وعلماء المشرقين ، وفلاسفة المغربين ، تبصرة وذكرى للعادلين ، من كل نبيه ونبيل ، وعالم جليل ، وملك عظيم ، ووزير خطير ، ونائب عن أمتهِ كبير ، ذكرى للأمم ، وعبرة للدول ، وسعادة للناشئين من البنين عسى ان يعدل الناس عن ظلمهم ، ولا يتبعوا خطوات غيهم ، ويسيروا على الصراط المستقيم

اني ضممت جوهرة الانسان ، الى فِلْذَة الحيوان في النظام ، وقرنت نظام الكوكب الدرّي ، بما رآه بسمرك وسلسبري ، وسوّيت ما بين نواميس الاحجار في سقوطها ، وقوانين الكواكب في هبوطها ، وبين نظام الأمم الارضية ، وأحوالها السياسية

ولست أدعي النهاية في تحقيقهِ ، والاجادة في تنميقهِ ، فما اكثر العوائق من الاعمال الدراسية ، وما أبعدها عن هذه المرامي النائية ، والمطالب السامية

وما هذا الكتاب الاَّ خطرات خاطرات ، ولمحات سانحات ، وبوارق لامعات ، في ليالي الحوادث المدلهمات

وهو وان كان قطرة من بحر السلام العام ، فسوف تتبعها المزن المطرات ، ولسوف يقوم بهذا الأمر علماء محققون من رجال الشرق والغرب ، وليعلمنَ بنوءه بعد حين

الدنيا بحر ملح أجاج ، متلاطم الامواج ، يغشاه موج الحيـاة المدلهمة ، من فوقـهِ المظالم المطاخمة ، من فوقهِ سحائب الحروب الشيطانية البشرية ، بحيث اذا أخرج المرء فيهـا يده لم يكد يراها ، وضلّ في موجهِ العظيم ، هذا مثل حال الانسان ، الضائع في ثنايا الزمان

لذلك ألّفتُ هذا الكتاب ، ليبحث العقلاء عنهُ في ذلك العباب ، وأسميتهُ (اين الانسان)

وأعطيتهُ باليمين للحكماء ، ممن تحت السماء ، وباليسار للسواس العظماء ، على سطح الغبراء

ولما كانت الأشكال أولى باشكالها ، والفضائل أقرب الى اهلها ، والعيون أعلق باهدابهـا ، وكان كتابي موجهاً لطائفتين من العالمين ، ومهدى الى نوعين من العقلاء العاملين ، رجل عليم ، وسائس عظيم ، بدأت بارساله الى مؤتمر الاجناس العام لأنهُ جمع بين الحسنيين ونال المنقبتين ، لولا علو المنار ما عم نوره المسافرين ، ولولا ضوءه ما هدى السفائن في ظلمات الغياهب ولا الضالين

ان لتأليف الكتاب أسباباً يطول شرحها وقد ارجأتها لتذكر فيما بعد ان شاء الله تعالى

ولما تمّ ترتيبهُ وانتظم عقده ، أيقنت ان أفئدة تهوي اليهِ ، اذا

سمعتهُ ، وعقولاً تصبو اليهِ اذا قرأتهُ ، من عقلاء الأمم جمعاء ، ولعمرك لقد كنت ارجو انتشاره ، واودّ اظهاره ، ولكن ما كنت أدري كيف السبيل ، حتى قرأت في الجريدة خبراً عن مؤتمر الاجنـاس العام الذي سيقوم بالبلاد الانجليزية ، وقد شرح امره المستر ستيد صاحب مجلة المجلات فقال ما ملخصهُ :

ان الامم الشرقية والغربية اسودها وابيضها واحمرها ، ستصطدم اصطداماً حين ترتقي الى غاياتها ، وتنتهي الى نهاياتها ، وسيكون يوم عصيب مشؤوم امام العالمين ، وهذا المؤتمر اول خطوة في تعارف الأمم والأجناس وسائر الملل والنحل ، وفيهِ ٢٥ رئيساً من رؤساء المجالس البرلمانية في خمسين بلداً من بلدان الدنيا ، ومعظم اعضاء مجلس التحكيم في لاهاي ، و ١٢ من حكام المستعمرات ، و ٨ من رؤساء النظار في البلاد التابعة لانكلترا ، ومائة وثلاثون استاذاً من استاذة القانون الدولي ، ومندوبو الصحافة وغيرهم الخ

فلما وقفت على ذلك عجبت كل العجب من توافق ما بسطتهُ الجريدة لفصول الكتاب ٥ ولما قرأت ان الاستاذ مرغليوت هو الذي يتلقى ما يرد له من مكاتبات المصريين وكنت أعرفهُ من قبل ، ارسلت له نبذة من الكتاب ، وفذلكته الدالة على ما فيـهِ بخطاب وذكرت اني أخاطبـهُ كما أخاطب حكماء الأمم وملوكها تحت اعلام الحـكمة التي نشرت على العالمين ، وشملت الناس أجمعين ، وطلبت ان ينظر هو ومن معهُ من رجال اللجنة في امر كتابي ، فان استحق العرض

على المؤتمر اسرعت الى اخواني المصريين فترجموه بالانجليزية فجاءني منهُ خطابان اولهما بنصه :

حضرة الجليل القدر طنطاوي جوهري

سيدي بعد التحيات فقد ورد كتابكم المؤرخ في الـ ٢٥ من تشرين الاول مع ترجمة انكليزية و بقجة تحتوي على اوراق فيها جزء من مصنفكم الجديد المعنون (اين الانسان) الذي تؤثرون عرضه على مؤتمر الاجناس العام المقصود اجتماعهُ في الصيف الآتي واللجنة المدبرة لأمور المؤتمر سينعقد ان شاء الله مجلسها في منتصف الجاري فحينئذ سأعرض على أصحابي مشروعكم الدال على علوّ همتكم حتى اذا انحل المجلس اخبرتكم بالنتيجة والسلام المخلص

د . مو . مرغليوث

في الـ ٦ من تشرين الثاني سنة ١٩١٠

وجاء خطاب آخر بتاريخ الخامس من كانون الاول وهو ديسمبر سنة ١٩١٠

حضرة الفاضل طنطاوي جوهري ادام الله بقاءه

بعد التحيات فقد عرض مضمون كتابكم الكريم على لجنة مؤتمر الاجناس العام فليس عندهم ما يمنع واما ان تتكلفوا ترجمة مؤلفكم النفيس الى لغة أجنبية فالغالب على رأينا ان ذلك يذهب برونقهِ فان انتقال الكتاب من لغة الى لغة هو كانتقال النفس من بدن الى بدن لا يؤمن استيحاشها منهُ والسلام د . مرغليوث

فارسلت الكتاب منسوخاً بخط اليـد في السابع عشر من شهر مارس سنة ١٩١١ وطلبت منهُ ترجمة الكتاب اذا شاء

ولقد كنت كاتبت الاستاذ اغناطيوس غويدي بايطاليا وحضرة العالم الشهير الدكتور محمود بك لبيب محرم بالمانيـا فجاء من الثاني خطاب بتاريخ ٢ يناير سنـة ١٩١١ يحض على الاسراع في طبع الكتاب باللغة العربية اذ قال ألح عليك في النصح بطبع الكتاب اولاً في مصر ، واظن ان طبعه لا يستدعي صعوبة او عوائق ، ثم قال واني بعون الله مستعد لترجمة الكتاب الى الالمانيـة فارسل لي منهُ صورة لكي ازاول ترجمتها من الآن ، حتى أتمكن من نشرهـا عقب طبع الاصل العربي مباشرة او في زمن قريب منه المخلص

محمود لبيب

واما الاستاذ العلامة اغناطيوس غويدي فكتب لي ما نصه :

من اغناطيوس غويدي برومية الكبرى الى المعلم العلامة طنطاوي جوهري بالقاهرة

يا سيدي الاستـاذ الاكرم اما بعد تقديم التبجيل والتحية فقد وصلتني رسالتك الكريمة وفهرس كتابك الجديد وفصل منه شرفتني بارساله اليَّ وقد أضمرت في نفسي ان احير الجواب بلا تأجيل بيد انه عاقتني عوائق و بطأت بي أشغال لا تحصى وارجو من فضلك ان تقبل عذري وتغضي عن تأخيري جفنك (وقد تعجبت من علمك ومن تعرضك لمسائل ينزعج غيرك من معضلات غوامضهـا) ولعل

كتابك الجديد يطبع الآن وان أرسلت اليَّ نسخة منه نبهت عليهِ في بعض جرائد بلدنا واخبرت عن موضوعهِ وفصوله ومذهب مؤلفه فيكون ذلك زيادة للتعارف بين البلدين والمأمول منكم معاشر علماء مصر ان تساعدونا في انشاء المدرسة الايطالية في القاهرة المحروسة بما يضاهي صدق مودتكم لنا

هذا وقد خبرتني الست دي لبدف ان حليلتك المحترمة عوجات الى رحمة ربها واحزنني ذلك وامضَّني جداً (هي الدنيا يا حبيبي) وعليها يصح قول الشاعر لا على النساء (فما تدوم على حال تكون بها) غير انك فيلسوف العرب وكندي عصرنا ولا بد ان يستصوب مثلك بيت الشاعر (ليس من مات فاستراح بميت) ولا تسلى كالرضى بحكم الله اذ اليه مرجعنا والى رحمتهِ تعالى مآبنا ونعم المرجع وحبذا المآب والسلام.

وهذا ملخص مقاصد الكتاب

في بيان استخراج السلام العام في الامم من النواميس الطبيعية ، والنظامات الفلكية ، والفطر الانسانية ، وبنيان السياسة على اساس الطبيعة ، وان مدنية اليوم حيوانية ، ودعوة الناس للانسانية الحقيقية ، وبيان ان الانسان لم يفهم انسانيتهُ ، ولم يستخرج قوتهُ ، وخطاب موجه لفلاسفة الامم ، ونوابها وملوكها ، ودعوة الاولين لبحث هذا الموضوع ، والآخرين للتعاون على العمل . وهو عبارة عن رواية ومحاورة بيني وبين روح من الارواح القاطنة بمذنب هبلى لما اقترب

من الارض وسأل عن السلام العام ، وعن اخلاق نوع الانسان ، وهو عشرون فصلاً

الفصل الأول — مقدمة الكتاب في أحوال مذنب هيلي وعجائبه وسيره ودورتهِ واقترابهِ من الارض وفي سكان السموات وهل الكواكب العظيمة الكثيرة تبقى بلا سكان

الفصل الثاني — سوءال عن حال الانسان وقول كنت الالماني الانسان لم يتعلم العلم عن أعلى منهُ ولو تعلم لكان ارقى

الفصل الثالث — اخلاق الانسان وكيف كانت طبقاته العليا في رذائلها كطبقاته السفلى في جهلها ودناءتها

الفصل الرابع — فضائل الانسان وعلومهُ ومعارفهُ

الفصل الخامس — استعداد الانسان للعلوم والأخلاق وانهُ كالهواء وكالمادة في ترقيهما حالاً بعد حال الى ابعد غاية واعظم شرف

الفصل السادس — في أنواع الحكومات والفلاسفة وكيف كانت حكومات الناس أسدية سبعية خالية من كمال الادب العقلي الاَّ قليلاً

الفصل السابع — لم نقرأ من العالم الاّ سطرين سطراً من المادة وسطراً من العقل

الفصل الثامن — اين الحكمة في المادة والعقل

الفصل التاسع — الفلسفة العتيقة والفلسفة الجديدة وكيف كان توزيع

العقول على أفراد الانسان والمنافع على الارض وكيف جهلها الانسان

الفصل العاشر — المنطق والاخلاق والسياسة وفيهِ الحقيقة المرة في مقارنة السياسة بالقضاء والتعليم

الفصل الحادي عشر — في حكم وعجائب تبلغ خمس عشرة حكمة

الفصل الثاني عشر — الصعود الى كوكب جديد فوق نبتون وفيهِ وقفة لمشاهدة الجمال البهيج والعدل والنظام في السموات ومقارنة ظلم هذا الانسان بالعدل في عالم السموات ، وكيف عدل في نظام السموات وظلم عالمنا ، وفيه ايضاً ذكر اربعة آلاف أمة متحدة في ذلك الكوكب

الفصل الثالث عشر — في مذكرات وهي سبع عشرة مذكرة وفيهِ شرح حال الأمم عند نظر حجر من جبل الرصاص

الفصل الرابع عشر — في الجمع المحتشد وعالم الأرض والمريخ وتحليل المدنية العصرية

الفصل الخامس عشر — في الوحدات الانسانية من اللغة والدين والوطن والجنس والمعاهدات والمصاهرات والملك الجامع والأب الاكبر والاجتماع في اللون وغير ذلك

الفصل السادس عشر — مسألة الأقوى والأضعف وانا نفعل فعل الحيوان

الفصل السابع عشر — على اي قاعدة تبنى سياسة الأمم

الفصل الثامن عشر — في درس تعليم الاطفال الحب العام ويتبعهُ ضرب مثلين الأول تمثيل الانسان وسائر اصناف الحيوان في الرسم

بحال بناديل الساعة واوسطها يمثل الحيوان ويمثل غيره الانسان الثاني تمثيل الانسان في حاله اليوم بالماء في النهر وفي مستقبله بالماء في مرتفع مشرف على الارض

الفصل التاسع عشر — مجلس الحكماء وضرب الامثال الحسية للأمور العقلية وفيه بيان ما وصلت له الامم من المساعدة العامة القليلة وشرح الحكمة المقدسة والحكمة العالية والحكمة الذهبية والحكمة الزاهرة والحكمة الجميلة والحقيقة المحزنة ومقارنة الانسان بحشرة أبي دقيق

الفصل المتمم عشرين — في الخطبة التي خطبها السيد جامون العالم الكوكبي وامرني ان ابلغها للناس في الارض شرقاً وغرباً ليريهم كيف السبيل للوحدة العامة في سائر الامم والممالك والدول. وقد جمعت الخطبة مجمل الكتاب وشرحت السياسة ومناسبتها لانتظام امر الذكور والاناث في العدد على سطح الارض . انتهى



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ابن الانسان

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله * اما بعـد فأن الحوادث الكبرى في هذا العالم موقظات للعقول ، مثيرات للآراء ، منتجات تغيراً وتطوراً في النفوس البشرية

ومن أهمها الحوادث السماوية ، كالمذنبات اللاتي تقترب من الارض ، فتحدث في النفوس هلعاً ، وفي العقول جزعاً ، فيضطرب النوع البشري الانساني ، و يغدون و يروحون ، في المراسم والمناهج ، ويموج بعضهم في بعض ، وتختلف اقاويلهم ، وتعـدد مذاهبهم ، وتكثر أوهامهم

ففي سنة ١٣٢٨ هجرية وهي سنـة ١٩١٠ ميلادية ، في شهر مايو ، في العشرة الثانية منه ، انذر علماء الفلك الناس في انحاء الكرة الأرضية ، باقتراب المذنب المسمى بمذنب هيلي ، ليلة الثامن عشر منه ، وانذروا الناس بدهياء داهمة ، وقالوا ان ذنبه طويل ، ولعله يلامس الارض فتحرق ويخلو وجهها من ساكنيه ، وتحشر الى العالم

الآخر ، فأخذت الامم تؤولها بحسب ما يتاح لها ☆ فمن اهل أوروبا من باع ثروتهُ ليتمتع بها أياماً قبل انقضاء حياتهِ ، وفوات الفرص للذاتهِ ، ومنهم من عمد الى قتل احبائه من الزوج والاولاد قبل ان تقع الواقعة ، التي ليس لوقعتها في عقله كاذبة ، وكأنه يقول ما قالت الزَّبَّاء ، بيدي لا بيد عمرو ☆ ومن اهل الشرق من أخذ يقتل اعداءه قربى الى اللّٰه وزلفى عنده ، حتى تقدم في دفتر حسناته قبل هلاكه بالمذنب ، ومنهم ومنهم

ومن العجب انا نسمع ذلك الاختباط عن الخاصة ☆ كما نسمعهُ عن العامة ، وعن العقلاء كما نسمعهُ من الجهلاء ☆ أما انا فكنت مغرماً ان اراه في انحاء القبة الزرقاء ، فرصدته ليلة السابع عشر من شهر مايو قبيل الفجر اذ اخلفهُ عمود من النور الضعيف الممتد من الشرق الى الغرب الجنوبي المستطيل نحو ٥٠ درجة فلكية ☆ فكرت في أمره وأخذت أجيل النظر في هذه العوالم العجيبة ☆ ان هــذا المذنب الكبير أحد مذنبات هائلة كثيرة العدد تعد بالملايين ، تطوف حول الشمس كما تطوف السيارات المعروفة وهذا المذنب يدور في دائرتهِ ٧٥ سنة وهو في الثانية الواحدة يجري نحو ٥٠ كيلو متراً ، مسرع لا يمل ، ولا يفتر ، ولا يقف لحظة ، فهو في الخمس والسبعين سنة سائر على هذا النمط ☆ وتعجبت من هذا الكوكب ثم اعتبرت بضوئهِ المستطيل خلفهُ ، وقد ارانا ضوءه واطال ذنبهُ ، ولم يعبأ بأقوال الفلكيين ، ولا نظر الناظرين ، ولا تخرص المخرصين ☆ انه ألقى شعاعهُ في السماء ، وخالف سنة الكواكب بذنبهِ ، واتبع طريقهُ ، ليفتح للناس باب الفكر ☆ هكذا علماء الامم والحكماء

والانبياء يوقظون الناس من غفلاتهم بما يأتون عليهم من الحكم البديعة التي لم يألفوها ، والآيات العجيبة التي جهلوها ، فيجمعون بين الايضاح والاغراب ، والشجاعة والاعراب ، والاقدام والآداب ☼ ان في هذا الكوكب معتبراً للمذكرين ☼ ويا ليت شعري ماذا حال الامم اذا رجع كرة أخرى بعد ٧٥ سنة ، وكيف يكون حال الممالك والدول ، وهل يتغير وجه الارض وتزول المظالم والقسوة والوحشية من هذا الانسان ، ام تزداد المظالم وتكثر المغارم ☼ اخذت اجول في عالم الفكر واسيح في بحار الخيال ، وتأملت في تلك العوالم العجيبة المنظمة السير البديعة النظام ☼ ان هذا المذنب يقطع فلكه الذي هو عبارة عن قطع ناقص ويجري بسرعة مدهشة وسير منتظم لا يخطىء في سيره ولا يتوانى في جريه ☼ وكم في كواكب السماء من سريع الجري حسن النظام باهر الضوء عجيب الاتقان مثله

لا يزال علمـاء الفلك كل يوم يتبينون مذنباً جديداً يرصدونهُ بالمراصد ، ويثبتونهُ في الدفاتر ، وهي كلها منظمة السير ، دائرة ابداً امداً حتى يفنى هذا النظام العام ☼ ومثلها في النظام السيارات المعلومة وكثير منها غير معلوم ☼ وهكذا الكواكب الثابتة التي تعد بالملايين كل في فلك يسبحون بنظام واتقان ☼ هذا المذنب من قبل ظهرت حركاته منظمة ☼ ودوراتهُ مرتبة عرفها التاريخ ، وقد شاهده الناس عام ١٢ قبل المسيح عليهِ السلام ، ثم في يناير سنة ٦٦ بعده ومارس سنة ١٤١ ، ومارس سنة ٢١٨ ، ومارس سنة ٢٩٥ ومارس سنة ٣٧٣ ، ويوليو سنة ٤٥١ ، ويوليو

سنة ٥٣٠ و يوليو سنة ٦٠٨ وا كتوبر سنة ٦٨٤ (الموافق ربيع الأول سنة ٦٥ هجرية) و يوليو سنة ٧٦٠ (ربيع الاول سنة ١٤٣ هـ) ويوليو سنة ٨٣٧ (رجب سنة ٢٢٢ هـ) و يونيو سنة ٩١٢ (ذو القعدة سنة ٢٩٤ هـ) وسبتمبر سنة ٩٨٩ (جمادى الثانية سنة ٣٨٩ هـ) ومايو سنة ١٠٦٦ (رجب سنة ٤٥٨ هـ) وسبتمبر سنة ١١٥٢ (جمادى الثانية سنة ٥٤٧ هـ) وسبتمبر سنة ١٢٢٣ (رمضان سنة ٦٢٠ هـ) وديسمبر سنة ١٣٠١ (ربيع ثان سنة ٧٠١ هـ) ونوفمبر سنة ١٣٧٨ (شعبان سنة ٧٨٠ هـ) و يونيو سنة ١٤٥٦ (رجب سنة ٨٦٠ هـ) واغسطس سنة ١٥٣١ (المحرم سنة ٩٣٨ هـ) وا كتوبر سنة ١٦٠٧ (رجب سنة ١٠١٦ هـ) وسبتمبر سنة ١٦٨٣ (رمضان سنة ١٠٩٣ هـ) ومارس سنة ١٧٥٩ (رجب سنة ١١٧٢ هـ) ونوفمبر سنة ١٨٣٥ (رجب سنة ١٢٥١ هـ) ثم في مايو سنة ١٩١٠ (جمادى الأولى سنة ١٣٢٨ هـ) فهذه ٢٥ دورة في ٢٠ جيلاً فهو يدور في كل ثلاثة ارباع القرن دورة واحدة * فتأمل وتعجب * لهذا المذنب عجائب في ظهوره ولطائف في مروره * كم رصده الراصدون وحسب له الفلكيون وأحجم عن الحرب واقلع المحاربون * وكم شجع ظهوره قوماً وكم ذعر منهُ اقوام * ألا ترى قصة المعتصم وحربه عمورية وأقوال الفلكيين وكيف غلب وانتصر ومدحهُ ابو تمام بالقصيدة التي اولها

السيف اصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف في متونهنَّ جلاء الشك والريب

وفيها يقول :

وخوفوا الناس من دهياء داهمة   اذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب

فهو مذنب هيلي لان ذلك في سنة ٢٢٢ في شهر رجب الموافق يونيو سنة ٨٣٧ ، ولقد ذكر رجب في القصيدة يقول (ما كان من صفر الاصفار او رجب) * هكذا سماه الفلكيون سنة ١٠٦٦ بمذنب الفتح اذ غلب غليوم الفاتح دوق نورماندیا في أيام ظهوره على البلاد الانجليزية * فأنت تراه منظم الحركات ، بديع الخطرات ، لا يخطئ في تقديره ، ولا يبطئ في مسيره ، الا لعوارض وطوارئ نادرة * دعاني ذلك الى النظر في أمره ، والتفكر في سيره ، والبحث في عجائبه ، وغرائبه ، فراقبتهُ مع الناظرين ، ورصدتهُ مع الراصدين ، ورأيتهُ كرتين ، كرة في الشرق قبل الفجر ، و بعده ، وآونة بعد الغروب ، وقد سار في طريقه ، وجرى في شوطه ، واستبق يعدو في هذه العوالم الشاسعة ، والفيافي القاصية ، والدنيا الواسعة * انهُ لن يعود الا ونحن تحت اطباق الثرى ، جسداً هامداً ، وصعيداً جرزا * حرصت ان اراه ، لئلا أحرم من عبرتهِ ، والحكمة فرصة سانحة ، فاذا ما غفل عنها المرء باء بالحسرة ، وعاش كئيباً لها وهو مع النادمين * وها هو غاب عن الابصار ، وفارق الديار ، وسار يعدو في ذلك العالم الواسع العظيم

الفصل الاول

« فى المقارنة بين نظام العالم ونظام الامم »

سنحت لي هـذه السوانح ، وفكرت في تلك العوالم المدهشة العجيبة ، واخذت اقارن ما بين نظام العالم الجميل • ونظام الامم الضئيل ، فرأيت بوناً بعيداً ، و بعداً كبيراً ☆ ذاك متقن منظم ، لا ظلم فيه ، ولا خلاف ولا فتور ☆ وهذا سياجهُ الظلم ، واسهُ الخداع ، و بنيانهُ المكر والنفاق ، وطلاؤه الكذب ☆ ارى حركات الكواكب في نظام عجيب ، وحركات الامم في ظلم وشقاق بعيد ☆ فرفعت طرفي الى السماء وقلت يا الله ، كواكبك منظمة باهرة ، وها هو حسابها محكم ، لا خلل فيه ، ولا تقديم ولا تأخير ☆ فالشمس والقمر بحسبان ، والنجم والشجر يسجدان ، بنظام ، وكل كوكب ونجم وارض وقمر ومذنب ، كل في فلك يسبحون ، بحساب دقيق ، لا يعتوره الخلل ، ولا يقفه الملل ☆ فاما الامم الانسانية ، والدول الارضية ، فانهم عن الصراط لناكبون ، وعن سبيل الحق حائدون ☆ اللهم أنت مالك الممالك ، ملكت القلوب ، كما ملكت النجوم ، وسيرت الاجسام الانسانية ، كما ادرت الكواكب الفلكية ☆ فما بالنا نرى الفرق بين الحركتين ، والبون شاسعاً بين النظامين ☆ ويا ليت شعري ، أفي تلك العوالم الشاسعة ، والفيافي السحيقة الواسعة ، في الاقطار السماوية ، احياء مثلنا ذوو نفوس عالية ، وعقول سامية ، وسياسات راقية ، ونظامات باهية ☆ وهل فيهم

أمم وجماعات ، وآباء وأمهات ، وملوك وملكات ، وحكمة وحكماء ، ومستضعفون وعظماء ✲ وهل عندهم الدهاء والنفاق ، والمكر والخداع ، ام هم أجل مقاماً ، واصدق كلاماً واحكم نظاماً واعلى في العلم كعباً ، لا يخشون في الحق رهباً ، ولا يرجون رغباً ✲ واذا كنت ارى البحار الواسعة ، والاقطار الشاسعة ، والهواء الجوي ، مسكونة بالحيوانات ، معمورة بالمخلوقات ، بحيث لم يخل منها الماء الملح الاجاج لملوحته ، ولا المر في اعماق البحار لمرارته ، ولا السرجين لقذارته ، بل الحياة لم تذر مكاناً ظاهراً الا ولجتهُ ، ولا باطناً الا دخلتهُ ، فهي في باطن البحار ، وفوق الجبال ، وداخل الصخور ، وفي الظلمة والنور ، فكيف مع هذا تخلو تلك العوالم الكبيرة من السكان ، وهل خلق جمالهـا عبثاً ، ام احكم صنعها ، وهندس شكلهـا ، وزوق نقشها ، وزين فرشها ، وعرشها ، باطلاً ✲ وهل خصت ارضنا بالعناية ، وهي اقل الكواكب جسماً ، واصغرهـا جرماً ✲ ذلك ما لا يقبله الوجدان ، ولا يرضاه عقل الانسان ✲ وهل خلق ذلك الجمال للعميان ، وشع النور وتلألأ لمن لا ينظرون ، كلا ✲ ان في جمالها ونظامها ، لدلالة على احياء بها عالمين ، وعقلاء لهيئتها فاهمين ✲ ثم ان ذنب هذا الكوكب الجاري في السماء ، يمثل حال الجبـال والارض والنجوم ، اذا جاء اجلها ، وحطمت اجزاؤها وقامت قيامة أهلها ، فانها تكون كالعهن (الصوف المندوف) المنفوش

الفصل الثانى

« سؤال عن حال الانسان »

وبينما انا اجيل هذه السانحات في نفسي ، وانظر في هذا العالم بقلبي ¤ قلت يا ليت شعري ، لو ان امرءا ركب متن هذا الكوكب ، وساح العوالم العظيمة ، وباحاتها الشاسعة ، وساحاتها الواسعة ، فدرس نظامها ، وقرأ علومها ، ثم رجع فروى لنا اخبار الامم العظيمة ، وشرح لنا السياسات الكبيرة ، لأفاد الانسان ، وعلمهُ البيان ¤ فقد قال العلامة (كنت) الالماني في كتاب التربية المترجم الى اللغة الانجليزية بقلم الكاتبة انتى شارتون (Annettee Churton) ¤ ان الانسان لم يتسنَّ له تلقي العلم الاعن بشر مثله ، ولو انهُ اتيح له عالم آخر ، فاتاه علماً ، واهداه فهماً ، لكان ذلك أقرب لسعادته ، وادعى لراحته ، واسرع لارتقائه ، في مدنيته ¤ والمعلم اذا لم يكن اوسع دائرةً ، وأحد بصراً ، واقوى بصيرة ، وارقى عقلاً ، واسمى نظراً من التلميذ ، لم يتسنَّ له انتشاله من وهدته ، واسماؤه الى أعلى درجته

كل هذه الخواطر السانحات جالت بخاطري ، وقد اخذتني سنة فنوم ، في ليلة التاسع والعشرين من شهر مايو ¤ وبينما أنا نائم اذا شخص دخل غرفتي ، وهي موصدة الابواب ، مقفلة الشبابيك ، محبوكة الستائر ، فوكزني برجله ، وسمعت وانا مغمض الاجفان ، غائب عن عالم العيان ، قائلا يقول قم أيها الانسان ، فلم افتح عيني لمقالته ،

بل ظننته من اضغاث الاحلام ، وخطرات المنام ، فاستعذت بالله من الشيطان الرجيم ، فعاد الوكز ، وعاودت الاستعاذة

فلما كانت الثالثة فتحت عيني ، اذا نور مشرق في ظلام الحجرة الحالك فدهشت من هجمته ، بل ذعرت من هيبته ، واخذتني هزة الرعدة ، لا هزة الطرب * ثم استجمعت قواي ، وشددت فؤادي ، وقلت ما هذا ، أنا في يقظة ام في منام ، ان هذا الا اضغاث أحلام

ثم أغمضت عيني ، اذا صوت اسمعهُ من ذلك النور الساطع ، والضوء اللامــع ، يقول بلسان فصيح عربي مبين ، لا تخف اني صديقك ، وعاشق للحكمة مثلك ، اتحدت روحي وروحك * قم لأحل لك معضلات المسائل ، وأهم الوسائل ، واضع لكم يا أهل الارض قانوناً مسنوناً ، وصراطاً مستقيماً * ولكنني قبل ذلك اسألك اين الانسان ، ففتحت عيني ، اذا شخص لم أر مثله في هذا العالم المشاهد ، كأنهُ شاب في سن العشرين ، لم أتبين شكلهُ لمكان الظلام المحيط بنوره ، متوسط القامة عليهِ حلل مرصعة بالماس ، منظومة بالذهب ، محلاة بانواع من الجواهر والاحجار الثمينة ، لا اعرف لها في الارض نظيراً ، ولا اكاد أميزها للدهشة وظلام الليل * فاعاد السؤال كرة أخرى وقال اين الانسان ، فقلت نحن بني آدم نوع الانسان * فقال أو هذا منتهى ما تصل له يد استطاعتكم في الكمال والأدب ، والنظام والمدنية والفضل * وهل تجاريبك العلمية ، ومباحثك العقلية ، ارشداك الى أن هذا هو الكمال في الانسان

فقلت له خبرني ايها السيد ، من اين أقبلت ، ومن انت *
فقال لي انني لي اسمان ، الحقيقة والوجدان ، وقد اقبلت من مذنب هيلي ، وأنا روح من الارواح السائحة في العالم ، واني احبك حباً جماً لحبك لنوع الانسان ، واهتمامك بنظامهِ العام

ولمـا اقتربت من الارض نظرت اليك نظر المحب الشفيق ، والوامق الصديق ، فجئت لأسامرك الليلة ، وأجاذبك اطراف الصداقة والخلة ، ثم ارجع من حيث أقبلت

اني سألتك اين الانسان فتلكأت في الجواب ، واوجبت بما لا يزيل اللبس ، فاجب بالحقائق المعروفة لديك ، واختصر اختصاراً ، وليكن قولك ايجازاً ، واذا لم تفد الحقيقة فضع بدلها مجازاً ،

الفصل الثالث

« اخلاق الانسان »

أفدني كيف حال نوع الانسان ، وكيف اخلاق الطبقات المختلفة ، قال لي ألست انت الذي حكمت على الانسان بأن فيه خيراً وشراً ، وكمالاً ونقصاً ، وجهلاً وعلماً ، وقوة وضعفاً * وانك خالطت سائر طبقاتهم ، ودرست جميع اخلاقهم وأحوالهم ، تارة بالمجالسة ، وأخرى بالمكاتبة ، وآونة بالنظر في الاخبار والجرائد وكتب الآفاق * عشت مع الفلاحين ، وزرعت مع الزارعين ، وتخللت صفوفهم ، وخالطتهم

في حقولهم ، فرأيت نفوساً خاملة ، وعقولاً قابلة ، ومنهم البررة المتقون ، ومنهم الطالحون ، ومنهم من يمكرون كالثعالب ، ومنهم من يختانون كالذئاب ＊ والمعظم فيما بينهم ذو الجاه والمال ، ومن كان اكثر مكراً ، واقدر على النميمة ، واتم في الحيل ＊ وهم يحبون العلماء ، ويودون الاولياء ＊ ووجدت طبقة الفقهاء فريقين ، فريقاً سبح وصلى بكرة وعشيا ، فكان قوله صدقا ، وحكمهُ عدلا ، والآخرون جعلوا العلوم حيلة محتال ، وشبكة صائد وبهتان دجال ، فاكسبهم قوة بها على الجهال يصولون ، واعطاهم قدرة على المكر والدهاء فهم لا يرحمون ＊ فخالطت أهل الآداب والفضائل ، ومن اتسموا بالعلم وسار ذكرهم في الآفاق ، فعاشرتهم وخالطتهم ، فرأيت صفات العامة كامنة في اخلاقهم ، وغرائز الجهلاء باقية في اوصافهم ، ولكنهم يمتازون بالقول الخالب ، والمكر السيء ＊ فلما رأيت الخبيث والطيب ، والجيد والرديء فيما حولك ، رجعت البصر الى العوالم المتمدينة ، العالية الرأس ، السامية الذرى ، فألفيت فيما بينهم سياسات العامة ، وعلوم الخاصة ＊ انك قلت أن النوع الانساني ما زاده العلم الا زيادة القوة الحيوية ، بالعلوم الرياضية ، ودرس المسائل الطبيعية ، والمهارة الصناعية ＊ هذه هي العلوم الحقة الصادقة ، اما في الاخلاق والاخلاص والصدق وحب نوع الانسان ، فذلك قليل في الأمم ، ولم يقم بهذه الخصلة الشريفة ، والخلة الحميدة ، الا أناس نبغوا في كل امة يتخللون ثنايا الزمان ، كالنجوم الزواهر ، في اكناف السماء ＊ فقلت له أيها السيد النبيل ، نبل قدرك ، وجزل

رأيك ، ونطقت بالحق ، وخبرت بالصدق ؛ لقد عبرت عن بعض ما يختلج قلبي من المعاني ، واني لأزيدك ايضاحاً * ان الطبقة المتنورة في سائر الامم والممالك ، تخضع لزخرف القول ، وتستنيم للاكاذيب ، ويغرها البهتان ، ويسحرها الكلام الخالب ، فحال الناس في سياساتهم ومعاشراتهم كحال المحامين امام القضاء ، والشعراء المادحين ، يعمدون الى طلاء القول وما يؤثر في الوجدان والضمائر ، وما يستفز النخوة ويبعث النجدة ، كما ترى في جرائدهم واخبارهم ، فشأن اكثر الناس الا قليلاً أن ينخدعوا بالطلاء الكاذب ، والزخرف الباطل * وما مثل المخادعين والمزخرفين الا كمثل من رمى شبكتهُ ليصطاد ، فهو يرتقب صيداً لا محالة ، ولقد شهدتَ أهل الرأي في مجالسهم يخدعون وينخدعون ، ويقتطع زيد من كلام عمرو جملة بتراء ، لينفذ فيها سهم نقده ، ويقدح فيها زناد فكره ، ويتجاوبون بالباطل ، ويفعلون فعل العامة * ولقد نجحت بعض الامم في تهذيب الشعب كما يروى عن أهل سويسرا * ولكن التهذيب والتأديب في سائر الامم والممالك قاصر على الفضل فيما بينهم ، واقتسام الرحمة عندهم ، وهم حرب على من سواهم ، من الامم والممالك ، لا سيما ائمة السياسة ، واكابر الامم * فأولئك بأممهم وحدها مغرمون ، وعلى حياتهم وحياتها يحرصون

الفصل الرابع

« فضائل الانسان »

وهنا أخذتني الغيرة ، وذهبت سكرة الحق ، وجاءت فكرة التعصب للجنس والنخوة والحمية ☆ فقلت في نفسي يا للعار ويا للشنار ، روح من الارواح تجلت لك ساعة من الزمان ، فتشرح لها حال الانسان ، فيذمنا عند العوالم الأخرى ، ويا عار الأمم الارضية ، اذا رجع صديقي الوجدان الى كوكب المريخ او المشتري ، او ركب متن مذنب هيلي وساح في النظامات الفلكية العالية ، وربما قابل علماء اورانوس ونبتون ، وربما ركب كوكباً آخر ، فصعد الى المجرة التي فيها ما لا يتناهى من الملايين النجمية ، فيخبرهم باخلاق الأمم الحاضرة ، وما فيها من زور وبهتان ، وجهل فاضح ، او اكون أنا السبب في نشر هذه الأخبار في عوالم السماء عن ارضنا ☆ فوالله لأذكرنَّ محاسن الانسان ، كما ذكرت مساويه ، وأنشر فضائله ، كما أذعت نقائصه ، ولأذيعنَّ الخير كما أذعت الشر ☆ كل هذا خطر لي وأنا ساكت ، فدنوت اليهِ فوجدتهُ يتبسم ☆ فقلت له أيها الملك الطاهر ، والصديق الخالص ، ان الانسان وان اساء فقد أحسن ، وان ضل فقد هدى ☆ ألا ترى ان منا الانبياء والمرسلين ، والحكماء والعلماء والصالحين والاولياء ، وفينا صفة الرحمة ، فمن منا لا يجزع لمصيبة حلت باخيهِ الانسان ، ومن من المصريين والشرقيين لم يجزع لحوادث زلازل الطليان ، وقد اختلف القومان ،

و بعد المكان ، وتباين الديان * ولقد آنست قوماً من فقراء الروم يطلبون الاحسان ، والمعونة ، امام كنيسة رومية في شارع الحمزاوي بالقاهرة ، فبكيت ورحمت ، وآنست مرة غلاماً رومياً يبكي ، وقد ضلّ الطريق ، فسألتهُ فكلمني بلغتهِ فلم أفهم ، فجزعت ولم يسكن ألمي الاَّ بعد ان أسلمتهُ لرجل من بني جنسهِ فعرفهُ ، وانهُ ضال طريق المدرسة * وانا ليسرنا شعر شعرائهم ، وعلم كبرائهم ، كما يفرحهم علمنا ورقينا ، ويسوءهم جهلنا وضعفنا * وان غطت الشهوات على العقول ، وزاحم الطمع الرحمة ، والشدة اللين ، والشر الخير ، فالانسان مركب من الخير والشر والصالح والطالح والطيب والرديء هكذا كان وهكذا سيكون * فلما انقضى الحديث ، ودعني ذلك الصديق الحميم ، وانصرف ومعهُ الفؤاد ، وقال ان شاء الله يكون الاجتماع في الليلة القادمة ، فاغمضت عيني واستيقظت في الصباح ، وانا جذل فرح بما وعيت ، فقيدتهُ في ورقة وانا لا ادري ، أذلك حقيقة ام خيال ، وعجبت كما سيعجبُ القارئون

الفصل الخامس

« في استعداد الانسان »

فلما كانت الليلة الثانية ، ونمت وانا في حيرة من امري ، اذا قائل يقول قم أيها النائم ، فعلمت انهُ صديقي ليلة امس ، فرأيتهُ بشكل بهيج ، ومنظر عجيب * ومن عجب ان صوتهُ في الحديث موسيقى ،

لم أسمع مثله في عالمنـا ، كأنهُ مطرب يعلّم ومعلم مطرب ٭ فتمنيت لو يتاح لنوع الانسان ان يحسن نغماتهِ ، ويتقن حركات أصواته ، ويطرب سامعيه برناته ٭ فاخذ يسمعني من بدائع العالم ما سرّني وبهرني ٭ ومن قوله أتظنون ايها الناس انكم وصلتم الغاية المطلوبة ، والدرجة المرغوبة ، كلاّ انكم في اول طريقكم سائرون ، وعن الصراط السوي ناكبون ٭ ثم قال لقد ذكرت الخير والشرّ وامتزاجهما في نفوسكم وقرَّره حكماؤكم ، وذلك دأبكم ، تحكمون على الاشياء بمظاهرها ، ولا تدرسون ماهيتها وحقائقها ٭ ان ما ذكره حكماؤكم في الانسان قطرة من بحر ، وذرة من جبل ، ألا أعرفك حقيقـة الانسان واستعداده ٭ فقلت ذلك غاية مقصدي ، ونهاية مطلبي ، وأنت مشكور ، وبالفضل مذكور ٭ فقال على شريطة ان تنشر الكتاب في أنحاء الكرة الارضية ، والعوالم البشرية ، فقلت ذلك عهد بيني وبينك ٭ فقال ان حقيقة النوع الانساني واستعداده ، لا تنجلي بتعاريفكم الفلسفية ، ولا تعرف بآرائكم العلمية ٭ وانما أقربها لك بمثالين اثنين ، المادة العامة الكونية ، والهواء المحيط بالكرة الارضيــة ، ألا انما مثل الانسان كمثل الهواء ، وكمثل المادة ٭ فاذا درستهما وعرفتهما آن لك ان تعرف استعداد الانسان وقواه وملكاته ٭ فقلت ان هذا القول غامض ، فارجو ايضاحهُ ، واطلب تبيانهُ ٭ فقال ان المادة غامضة عليكم ، مجهولة حقيقتها لديكم ، وليس للبشر ان يقفوا على كنهها ، ويطلعوا على سرها ، وانما تعرفونها باوصافها الظاهرة ، واعراضها القاصرة ٭ تعلم ان المـادة تكون ضوءًا

وحرارة وكهرباء ، وهو آخر الآراء عندكم يا أهل الأرض ، فقلت له نعم ﴿ فقال وتكون أثيراً وهواء وماء ومعادن ارضية ، كالذهب والفضة والبلاتين والنحاس والقصدير ﴿ ونباتاً ، كالفواكه والحبوب والملابس كالقطن والكتان ﴿ وتكون حيواناً في الماء كالاسماك ، وفي التراب كالحيات ، وعلى وجه الارض كالبهائم ، وفي الجو كالطيور ﴿ وتكون كواكب وأفلاكاً ، وسماوات وأرضين ، قلت نعم ﴿ قال المادة واحدة تطورت وتغيرت وتشكلت ﴿ فاذا رأينا نحن علماء السموات حجراً في جبل ، نظرنا ببصر غير بصركم ، وسمعنا باذن غير آذانكم ، وعقلنا بقلب غير قلوبكم أنهُ نبات وأسماك وحيوان ، فهو فاكهة وروح وريحان ، وذهب وفضة ونحاس وقصدير وجنة ونار وأرض وسماء وحيوان وانسان ﴿ فتراه عالماً متبحراً ، وشجراً مثمراً ، وذئباً عاوياً ، وغزالاً أغنّ ، وأسداً رابضاً ، وانساناً كاملاً ، وجاهلاً مرذولاً ، وعالماً مقبولاً ﴿ ذلك لأنهُ يصلح لسائر ما وصفنا ، ويتشكل بكل ما ذكرنا من الاشكال ﴿ ان المادة واحدة صالحة للجميع ﴿ فاذا فنيت السموات وَحُطمت الارضون ، وطاح الحيوان ، وذهب النبات ، وهلك الانسان ، وذبل الجمال ، وراح البهاء ، فذلك كله كامن في المادة ، مستقر في الهيولى ، فليس بمعدوم أثره ولا زائل عنصره ﴿ وما المادة الاّ كحب الحنطة ، وبذرة شجر القطن ، متى أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت الأغصان ، وابرزت الأزهار ، واطلعت الاوراق ، وألبست القطن ، وأهدت القمح ﴿ فهكذا المادة تصلح

لكل شيء ، فاذا أفرغ الله عليها حكمتهُ ، ونفحها قدرتهُ . تنوعت أصنافها ، وتشكلت أوصافها ، بما تراه * فانت من هذا عرفت استعداد المادة وتنوعها وتشكلها بما لا يتناهى ، فهكذا الانسان * ان ارواحكم كالمادة ، قادرة على الخير والشر ، والرفعة والضعة * واذا ما نظرنا الى زنجي دميم ، او ملك عظيم ، او عالم حكيم ، لم نفرق بين الأبيض الجميل ، والصعلوك الوضيع ، والجاهل البليد * لأننا نعلم الاستعداد الانساني ، وقبوله الرقي ، كما قبلت المادة الصورة الحجرية ، وتشكلت بالصورة الانسانية ، فلا يشكل المادة الاّ العلم والقدرة ، ولا يخرج الانسان من جهله وخموله و بساطته الاّ التعليم * وكما تكون المادة بالتشكيل ضارة ، كالعقارب والحيات ، فهكذا قد يكون الانسان بالتعليم شراً و بيلا ، وشرراً مستطيرا ، كعلماء اللصوص ، و بعض رجال سياساتكم في الأرض * فقلت وهل سيكون في الأرض سياسات ممدوحة . قال نعم ، بعد نشر هذا القول في الكرة الارضية ، سيكون له أثر محمود ، وفضل مشهود * فقلت له فاوضح لي المثل الآخر وهو الهواء * فقال أنت تعرف الهواء قلت ، نعم * قال ان الانسان يقبل رقياً عالياً ، ومجداً غالياً ، لا يحصيهما عد ، وليس لهما حد ، والفرق ما بين نقصهِ وكماله ، وقبحهِ وجماله ، كالفرق ما بين الهواء في حجرتك الحائم حول دواتك ، المحيط بقلم كتابتك ، والهواء الخارج من القصبة الهوائية ، المغذّي للاجسام الانسانية ، الممتزج بالكرات الدموية ، المولد للحروف الهجائية ، بنغماتهِ ، المفهم لسامعيهِ عجائب الحكمة

بآياتهِ • ودرر المعاني وغرر العلوم برناته ☆ فقلت اوضح لي المثل • فقال ان الهواء الجوي يغدو ويروح في الجو • وله فوائد معلومة • ونعم محدودة مشهودة • يحمل السحاب • ويرفع قطرات الماء • ويقبل الاصوات • وهو الامين على اللغات • حافظ أنواع المسموعات • بحيث يميز ما بين صوت وصوت • ولغة ولغة • ورائحة ورائحة

هذه وامثالها فوائد الهواء الذي يغمركم بكرته الجوية • ويحيط بكم وهو في حالته الفطرية ☆ فاذا ما تطور بأطوار أخرى • فانهُ يأتي بفوائد كثيرة ☆ ألا ترى انهُ يغذي النبات فيمتزج بمائهِ • ويتخلل عصاراتهِ • وهو نفسه وغذاؤه • فهذا مدرسة أولى للهواء • يمتزج بالعناصر الأرضية • ويحدث منها الاغصان • ويخرج الازهار • ويمازج الاشجار ☆ فهذه الاشجار الخضرة • والازهار النضرة • والثمار البهية • يدخل في تركيبها الهواء • كما مازجها الماء والتراب • والأضواء • فالنبات يتنفس ولكنهُ لا صوت لنفسه • ولا حروف ونغمات ولا علوم ولا آداب ☆ ثم الحيوان يستنشق الهواء فيمتزج بتركيبه • ويدخل في بنيانهِ كما دخل في النبات • وكون الاوراق والازهار ☆ لكنهُ في الحيوان أعظم قدراً واوفر عملاً وأجل فائدة ☆ ألا ترى الطيور باصواتها الشجية المبهجة • ونغماتها البديعة البهية ☆ أليس هذا من العجب مصلحة الهواء الامتزاج بالدم • وتكوين اللحم والشحم والعظم والعروق والحواس • فما باله زاد في الحيوان جمالاً وابداعاً • فصار دلالة بين الأم وولدها • والذكر وانثاه • والحمامة وافراخها. والنعجة

وحملها ، واللبوة واشبالها ، وذلك لم يكن بين الغصن وازهاره ، ولا بين الساق وفرعهِ ، ولا بين الفروع واثمارها ٭ فاذا تخطينا الى الانسان وهو المدرسة الكلية العالية للهواء ، رأينا أمراً عجبا ، فانهُ يفعل كما فعل في النبات من التغذية ، وفي الحيوان من النغمات والفهم والافهام ، وزاد عليهما باللغات ، والعلوم الناشئات من الحروف الهجائية ، المركوزة في الطباع البشرية ٭ ألا تتأمل ، ألا تتعجب من الهواء كيف كان في الجو قليل الفوائد ٭ فلما ان دخل المدرسة الأولى النباتية افاد المواد الغذائية ٭ فلما ان دخل المدرسة الثانية الحيوانية افاد الدلالة والافهام ٭ فلما ان وصل المدرسة العليا الانسانيـة كانت النغمات المشجية ، والحروف الهجائية ، والعلوم الكونية ، فصار معبراً عن سائر الكائنات ، وبجميع اللغات ، فكم لغة كونت ودونت ، ويقال ان في الارض اربعة آلاف لغة تحصر ما في العالم العلوي والسفلي من العلوم ٭ فهل تجد تلك العجائب في هواء دارك ، الساكن في غرفتك ، ام الصنعة التي ادخلت عليه ، جعلتهُ في أعلى مكانة ، وأسماها ٭ لعمرك انهُ لا فارق بين هواء غرفتك ، ونغمات الموسيقى ، ومطربات الموسيقار ٭ وكلمات الحكم والاخبار الا بالصنعة والاتقان ٭ فالهواء هواء اعترتهُ العوارض ودخلتهُ الصنعة فارتقت بهِ الى أبدع الاحوال وأسماها ، وأعز المقامات وأغلاها ٭ فهل تقصر الروح الانسانية ، عن النسمات الهوائية ، ان نفوسكم أرق وأرقى ، وأعز واغلى ، فاذا دخلتها الصنعة غلت قيمتها ، وعلت رتبتها ، وزادت كرامتها ، ولئن تدرج الهواء في الصنعة من البساطة في الجو الى نغمات

مشجية مطربة . وحكم عالية ، وعلوم باقية . وآداب غالية ＊ أفلا يصل الانسان من مقامه الوحشي بين الانعام ، الى رتبة السادة الاخيار المصطفين الاحرار ＊ ثم قال يا أيها الناس ان نفوسكم لشريفة عالية ، وارواحكم طاهرة باهرة . وعقولكم سامية فاضلة . وقدرتكم تزيل الجبال ، وترفع الحصون . وتذلل الصعاب . أرواحكم مطلقة فقيدتموها . ومقدرتكم واسعة فضيقتموها ＊ ولئن وسعت المادة سائر الاشكال . من الظلمات والنور . والظل والحرور . والانسان والجماد ، والبحر والبر . فان نفوسكم أعظم اتساعاً واوفر اقتداراً . وأعلى مناراً ＊ واذا كان الهواء يرتقي الى أن يحمل الحكمة بسائر انواعها في حروف هجائية ، فالارواح الانسانية أجل منهُ مقاماً . وألطف بهاءً ، واوسع جاهاً ، وابهى جمالاً ، وابهر حسناً وكمالاً ＊ ما لي ارى اخلاقكم نازلة . وسياساتكم عاطلة . وحكوماتكم ناقصة . مشوهة ＊ انني لما اقتربت من الأرض وشاهدتكم في محن العذاب مسخرين . وفي عذاب جهنم الذل خالدين . ايقنت انكم مسجونون في هذه الكرة ، لا تفارقونها الا بالموت ＊ كتب عليكم أن تسجنوا في الاجسام ، وان لا تفرُّوا من الارض ، فزدتم القيد قيوداً ＊ ذلك انكم حبستم انفسكم في سجن الجهالات ، وفاسد الحكومات ＊ جهلتم قدر انفسكم فحبستموها ، وبهذا السجن عذبتموها . وكم لكم من قدرة تركتموها ، ومن حكمة دفنتموها ＊ كل هذا وأنا مصغٍ لقوله ، سامع لوعظه وزجره ＊ ودعني وولى مدبرا ، فنمت ＊ فلما انفلق عمود الصباح كتبت ما قره وسطرت ما حققهُ

الفصل السادس

« فى انواع الحكومات والفلاسفة »

فلما ان كانت الليلة الثالثة دخل الحجرة وايقظني واجلسني فانست وجهاً يخجل القمر ، وقد لبس ثياباً بيضاء مصفرة ومعه ساعة من الذهب ، فرجع الى الكلام على حال الانسان وقال ٭ ما الذي عملتم بفطركم وعقولكم ، فقلت نظمنا الحكومات ، وقرأنا الديانات واوسعنا العلوم واللغات ، واخترقنا الجبال ، وعبرنا الانهار ، وسخرنا الهواء ، والحجر والماء ، فنحن لذلك كله مسخرون ٭ فتبسم وقال سأريك قيمة ما وصفت ، واعرفك انه ليس شيئاً مذكوراً في انسانيتكم ، اجبني (اين الانسان) ، انتم متحاربون متقاتلون متعادون ، انتم ذئاب على اجسادكم ثياب ، انني اذ سحت العوالم السماوية ، ونظرت نظاماتها السياسية ، وقارنت سياستكم بسياستها ، ودولكم بدولها ، ما شككت انكم يا أهل الارض معذبون غافلون ، اني عجبت لكم ، ان لكل امرئ منكم قلبين متضادين ، ونفسين متناقضتين ، ووجهين متشاكسين ٭ فقلت كلا بل قلب واحد ، ونفس وعقل ووجه ٭ فقال ألستم تقابلون بعضكم بما تعلنون ، وهو مخالف لما تضمرون ، ألستم تغشون ، وتكذبون وتنافقون ، وانتم متظاهرون بالصلاح ، وكثير منكم فاسقون ، او هذه حياة الانسانية ، ان هي الا حياة شيطانية

ثم قال خبرني أليست حكوماتكم هي التي اكل عليها الدهر

وشرب ، ما هذه الحكومات ، يا عجباً للانسان ، يا ويل الانسان ، اطلق له السراح كما اطلق للمادة ، فتدلى عن الحيوانية ، وانحط اسفل من البهيمية * ألستم تخضعون للاوهام والدجالين والكذابين * ألستم تحسون بضعف أنفسكم امام وارثي الملك فتملكونهم عليكم ، والطبيعة والفطرة تناديانكم ، اين عقولكم ، اين احلامكم ، (اين الانسان) * ان الفطرة قد تكفلت لكم بكل حكمة وسياسة ، ان الحكمة العاليـة الالهية سنت لكم القوانين ، ونظمت لكم كل شيء وانتم غافلون * قلت له فأفدني ، فقال سيريك الشيخ الوقور من بعد (جامون السماوي) (وسيكون له القول الفصل في آخر الكتاب)

فقلت له من اين استمد الانسان اكثر الحكومات الحاضرة ، فقال ان الانسان عاش مع الحيوان امداً طويلاً يتصارعان ويتجاولان ، وقد ركبت فيكم صفات الشهوة لتعيشوا كالبهائم ، وصفات الغضب لتدافعوا كالاسود ، وصفات العلم والحكمة لترقوا وتسعدوا كالملائكة ، ولكنكم يا معاشر الانسان ، لا تزالون مع الانعـام ، ولا تقدسون الا صفات الآساد

فقلت له ان فينا الانبياء والحكماء والعلماء * فقـال أما انبياؤكم فقد خالفتموهم ، واولتم كلامهم ، واما حكماؤكم فان اكثرهم ساروا مع العامة ، وعللوا ما وجدوه بلا بحث ولا تنقيب ، كما فعل علماء اليونان في الأفلاك ، وما قاله ارسطاليس في المذنبـات ، ودروين في السياسات ، وسبنسر في المطعومات ، وعامة علماء أوروبا في الصين

واليابان * فدهشت اذ سمعت هـذا القول ، وعجبت كيف عرف اسماء الحكماء في الحديث والقديم * فقلت أيها الصديق الفاضل ، رعاك الله ، اوضح لي ما ذكرت * فقال أما علماء اليونان فانهم لما رأوا قبة زرقاء ، منظورة دائمة الوجود ، قالوا انها لا تقبل الخرق ولا الالتئام ، ولا الفساد ولا الفناء ، وهي دائمة ابدًا وامداً * وهذا القول كذبتهُ العلوم ، وذهبت دولته ، وانهارت سياسته * فأنت ترى انهم عللوا الكرة السماوية كما يلتمس علماء البيان حكمة الاستعارة المكنية ، وكقولهم ان الكواكب السبعة البهية توسطتها الشمس كما تتوسط شمس القلادة قلادتها ، وهي اثمن جوهرة العقد في جيد الحسناء ، اذ تكون في وسط الخرزات البهجات * أفليس ذلك عياً في الحكمة وجهلاً بالنظام * أما اورسطاطاليس فانهُ علل النيازك والكواكب ذوات الذنب بانها ابخرة ارضية ، صعدت في جو السماء وصادفت الكرة النارية فاشتعلت فحدث الضوء المنير * وانت تعلم سقوط هذا الرأي في العلوم العصرية ، والحكم الكونية ، والاكتشافات الحكمية

واما داروين فانه لما نظر جمال الدنيا وبهجتها وزخرفها وحكمها ونظامها ووقف على غلبة الاسود للظباء ، والعنكبوت للذباب ، والذئب للدجاج ، والقوي للضعيف ، ورأى الامم القوية تفتك بالضعيفة وتبيدها من الوجود ، جارى ما يشاهده من الناس ، فحكم بالافلاح الا بالغلبة والقوة والسلاح والكراع ، فأخذت الامم تجد في السلاح والمدافع

والرصاص * وهو حق اريد به باطل وصدق اريد به كذب ، وستفهم فيما بعد انهُ أخذ القضية من احد وجهيها ، ولم يحقق مقالته ولم يحكم حكمته ، ولعل انصاره هم الضالون ، والا فكيف عاش الفيل تحت الشجرة ، والعصفور فوقها والنمل امامها ، والصعو (المكروب) في جسمها ، والذباب يطن على اذنيها ، والجميع في جو واحد ، منعتهم من التزاحم حواجز طبيعية ، أفلا تحجز الناس حواجز حكمية ، ليطابق العقل الانساني حكمة الكون العليا ، ودرجته القصوى * ولم يكن هذا مذهب دروين وحده ، بل سبقه به ابيقور اليوناني وهو يحدث عن العالم بطريق الحدس والتخمين ، وهكذا ذكر هذه الغلبة العرب ولكنهم لم يريدوا ان يجعلوها اساساً للسياسات

اما بعض علماء اوروبا فانهم حكموا على الصين واليابان قبل الآن ، انهم لا يرتقون الا لدرجتهم الحالية (اذ ذاك) ، وعللوا ذلك بزوايا الوجوه ، واوضاع الانوف ، وربما جعلوا للالوان أثراً في السياسة ، فخاب ظنهم ، وضل سعيهم ، وكذبهم ما فعلتهُ اليابان مع الروس ، وما قام به الصين من العلوم العصرية ، وهي الآن آخذة في الارتقاء ساعية جهدها الى العلاء * وأما سبنسر فانهُ لما احس ان كثيراً من الناس قرم للحم ، مغرم بانواع الطعام ، فضل ادنى الخصلتين ، وذم النباتيين ، وقال ان اكل اللحم صفة الآساد والنمور ، وهي امتن قوة ، وأعظم سلطاناً ، والامم التي تأكل اللحم تقهر النباتيين ، فكذبه ان قامت اليابان ، وكذبتهُ بأوضح برهان ، فانهم بالارز مغرمون ، وعن

اكثار اللحم معرضون ٠ وقوّى حجة استكثار انواع الطعام على المائدة ٠ ليسهل هضمها و يعظم نفعها ٭ ولعمرك ان هذا عكس ما قرره الاطباء ٠ و برهن عليه الحكماء ٭ وانما قرر ذلك مجاراة للزمان ٠ ومسايرة للشهوات الهائجة ٠ في البلاد الشرقية والغربية

فالعادة كثيراً ما تضطر حكماءكم الى اقوال غير صادقة ٠ وتحملهم على قضايا لا يألفها المنطق ٠ ولا تصدقها العقول العالية ٠ والنفوس الشريفة الراقية ٭ هذه قضايا حكمائكم ٠ وآراء فلاسفتكم يخضعون للعادات ٠ و ينقادون للشهوات ٠ ومن منهم الا حرض قومه على اهلاك غيرهم ٠ وابادتهم وتسخيرهم ٠ وجعلهم سلماً لسعادتهم ٠ كأنهم خلقوا واسطة لغيرهم ٠ وطريقاً لحياتهم ٠ وان هم الا بشر مثلهم ٠ الا انهم هم الظالمون

فقلت اوضح لي نظرية سياسات الامم اليوم ايضاحاً شافياً ، وابن لي نظيرها في الموجودات المشاهدة ، والمخلوقات الطبيعية الحية ، وما برهان نقصها ، وما سبب اختيارها وتفضيلها ٭ فقال لقد شاهد أباؤكم الأقدمون ، وحكماؤكم السابقونَ انواع النمور والاسود والصقور تعيش عيشة هنيئة ، بتمزيق اللحوم ، وتهشيم العظام ، واقتناص الغزلان ، وصغار الحيوان ، فعمدوا الى تقليدها ، والسير على منهاجها ، وقالوا ما أهنأ عيش الأسود والنمور والذئاب ٭ ان النمر يعتمد على قوته ، والذئب والثعلب على خدعته ، فتأكل اللحوم سهلة هينة سائغة للقانصين ، وقلدوها في سياستها ، وزاحموها في وحشيتها ،

واستمدوا قوة من سلطتها ، فاتخذوا الكراع والسلاح والقنا والسيف ، واكلوا ثمرات غيرهم ، واستطابوا عيشة النهب والسلب ، وهذه هي القوة السبعية الكامنة في الانسان ، قام بها اسوأ قيام ، اخضع لها العقل الملكي ، فأخذ يدبر ليكون وحشاً كاسراً ، وقاهراً فاجراً ، فقلت له ايها السيد بارك الله فيك ، ان هذا ليس ظلماً ، ان السباع محددة الانياب ، شاكية الاظفار ، والشواهين والصقور ملتوية المناقير ، قد حكم عليها أن تعيش على لحوم الغزلان والأرانب وامثالها فتبسم * ثم قال ، وهل هذه براهينكم ، الأسد لا يأكل الأسد ، وانما يأكل البقر والمعز والضأن ، وقد أعدها الخالق الحكيم طعاماً للآساد ، وما أقل الآساد ، وما اكثر الانعام والضان والمعز * فاما انتم يا معشر الانس ، فانكم تسخرون ابناء جنسكم بلا ضرورة تلجئكم ، ولا حاجة تحرجكم ، فانتم مختارون غير مضطرين ، والآساد مضطرة * على ان اكل الآساد وسائر السباع لحكمة بالغة ، ونظام عجيب * ذلك ان تلك الحيوانات اذا بقيت رممها وجللت وجه الأرض تعفن الجو بانواع الحيوانات الصغيرة المسماة بالمكروب فيعم الوباء ، ويكون البلاء بفساد الجو * ففتك السباع حكمة منظمة مدبرة ، على انها لا تبيد هذه الانواع ، فهي باقية أبداً ما دامت الارض والسماء * فقولكم ان الاقوى يقهر الاضعف كلمة حق اردتم بها باطلاً ، وصدق اردتم به كذباً ، ونظام اردتم به خللاً ، وعلم اردتم به جهلاً * انكم يا معشر الانسان ظالمون جاهلون

خبرني أي أمة من البقر حاربت أختها فافنتهـا ، ثم سخرت عجولها لأعمالها وأي أسد اتخذ معه آساداً ، ونظم جيشاً فحارب آساداً أخرى وسخرهم لمعيشتـه ، وأي كلاب جمعت جموعهـا فأرهقت الكلاب ، وايتمت الاجراء ، وأرملت الكلابات فقل لي أيها الأنسي (أين الانسان) * فقلت له ان النمل لتحارب وتأسر وتسخر نملاً آخر في أعمالها * فقال ، ويحكم يا معشر الانس ، وهل النمل استاذكم أتحققتم ان النمل الغالبة من جنس المغلوبة * ولعل الفرق بين الغالبة والمغلوبة ، والبعد ما بين القاهرة والمقهورة في الشكل والادراك ، كما بين الانسان والقرد ، فيكون الغالب من غير نوع المقهور ، ولعل هناك حكماً لا تدركونها ، واسراراً لا تعلمونها ، كالتي فهمته الآن في نظرية الأسود والغزلان * يا أيها الانسان (أين الانسان)* ولئن ظننتم ان النمل القاهر والمقهور اخوان ، فما بالكم تقلدون الحيوان في الضلال ، فكيف تدعون انكم أعلى مقاماً ، وأرفع مناراً ، وأهدى من القطا ، وأرقى العالمين * واذا كنتم تؤيدون نظرياتكم بأعمـال الحيوان ، وتدعون الصَّالح ، وتصْطَفُونَ الطالح ، فخبّرني ، رعاك الله ، كيف تدعون بأنكم أرقى الحيوان ، (أين الانسان) * فقلت له كيف تنكر سيادتنا ورفعتنا ، ونحن الألى رفعنا منار العلم ، وأقمنـا بينات الهدى ، وبنينا الدور ، وشيدنا القُصور * فقال ، ايّ دُور وأي قصور * ان الخطاطيف تبني ، والعصفور وسائر الطيور * فحاصل ما تصنعُون يشبه ما يفعله سائر الطير في الاشجار ، والوحش في الفلا

والقفار * ولقد عثر الباحثون عندكم على عنكبوت مائية ، اتخذت لها بيتاً تحت الماء لتعيش فيه ، بحيث يوضع مقلوباً وتملأ قمته بالهواء ، وهذه لم يتسنَّ لكم الى الآن الاهتداء اليها

وهل أتاك نبأ كلاب البحر في أوستراليا ، فانها تضع حواجز للنهر كذلك الذي تسمونهُ العَرِم والنّجَف ، يخزن الماء ليكون حصناً على أبواب بيوتها الغاطسة فيه * ولكل بيت من بيوتها دوران أعلى وأسفل ، فالأعلى للجلوس ، والاسفل لخزن الطعام * على انكم برعتم في الأبنية ، وانما ذلك لوقاية الاجسام من العطب والعاديات ، وليس ذلك فضيلة فيكم ، ولا فخر لكم ، فأنتم فيه والحيوان سواء ، فبمَ امتزتم عليه ، يا أيها الانسان

لعلكم تفخرون بسكة الحديد ، ورسائل البرق والبريد ، وتسخير الحيوان ، وعبور البحار بالسفن الكبار ، واتخاذكم الاثير بالبريد البرقي المسمى تلغراف ماركوني ، وانكم أخذتم تصعدون الجو في السفن الهوائية المسماة بالبالون والمنطاد * ولعلكم تفرحون بتشييد الحصون ، وتحديد السلاح ، وتدريب الجند على الكفاح ، وان الأمم الغالبة تنزع السلاح من المقهورة ، وتتخذها خولاً وعبيداً ، وترفع منها العلم ، وتذيع الجهل ، ليكون الأولون آساداً ، والآخرون غزلاناً وأرانب وخرفاناً ، فقل أين الانسان ، أو هذه عقولكم * أنا ما سمعتُ في كوكب من الكواكب السماوية التي سحت فيها سكاناً شراً منكم ، فأين الانسان أين الانسان ، أتدري كل ما به تفخرون

وما أنتم عليه عاكفون ، ذلك كله اعمال حيوانية ، بل ألعاب صبيانية فما سكة الحديد والقطار ، الا أنكم أوتيتم أرجلاً سريعة أسرع من كل حيوان ، وان فرق ما بينكم في سرعة النقل و بين الأبل السريعة العدو لاقل مما بين عدو الارانب والنمل * فاسرع قطار ليس أسرع من جري الجمال البختية مرتين * والارنب أسرع من النمل آلافا مؤلفة * فقل لي هل سرعة السير فضيلة جديدة * اذن كانت الأرانب انساناً * بل انكم قبل ركوب القطار منذ ثلاثماية عام مثلاً كنتم أبطأ من اكثر الحيوان جرياً * فالأسود والنمور والبقر والغنم كانت أسرع منكم * فاذن هي الأرقى والأعز الأعلى ، وأنتم تدعون الفضل عليها بالعقل لا بالسرعة والبطء ، فلا ينبغي لكم اليوم أن تتبجحوا بقولكم القطار والبخار * ولئن سلكتم هذا السبيل ، وسرنا معكم فيما تدعون ، وقلنا أنتم فضلتم الحيوان في هذه فأي فضل لكم في شيء ليس يجلب الا الطعام والشراب * فأنتم لا ترحلون ولا تحلون الا لمواد حياتكم من الطعام والزراعة والتجارة والسياسة وكلها لغذاء الاجسام وكسوة الجلود ودفع الاعداء ، فلم تفضلوا بها الحيوان شيئاً مذكوراً * وما قلناه في القطار نذكره في البريد والرسائل البرقية ، وان هي الا رسائل لمادة الحياة كما تعيش سائر الحيوان

لندع التطويل ونرجىء اتمام البحث الى مقال السيد جامون ، فأنتم يا معشر الانس اتخذتم الظلم عادة وفخرتم على سواكم جهلاً وزوراً ، وقلدتم أسوأ الحيوان حالاً ، وأقله فضيلة ، واني ما رأيت شراً

منكم في تدمير جنسه ، وتسخير قومه وخدعه في قوله ونفاقه في عمله ، فدعوا الدعوى والعظمة ، واعلموا انكم غير ما تظنون ¤ فقلت له مالك رفعت ووضعت ومدحت وذممت ، قد أثبت ان نفوسنا تشابه الهواء في قبوله للرقي وحسن الصنعة ، وتضارع المادة في تشكلها وترقيها ، وها أنت تسومنا السوء وتضعنا في أسفل سافلين ¤ فقال نعم يقول الله (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين) فعقولكم قابلة للسعادة ، وأنتم حكمتم عليها بالذل والحرمان والهوان ، اذ اتخذ قدماؤكم نظام حياتهم على قاعدة ان الانسان أنواع ، فقوم نصبوا أنفسهم للسيادة واتخذوا غيرهم عبيداً ، فالاولون سباع والآخرون غزلان ¤ ثم وجه الطرفان تعاليمهما على هذا المنوال ، وتوارثوها جيلاً عن جيل ¤ ثم تحدث أمور تختلف فيها الوجهة و يقهر المغلوبون و يذل الغالبون

الفصل السابع

« لم نقرأ الا سطرين سطراً من المادة وسطراً من العقل »

ثم قال ، ألا ان مثل عقولكم كمثل المادة كما اسلفنا ، وان المادة فيها سبعون الف سطر من حكم عجيبة ، وما قرأتم منها في السياسة الا سطراً واحداً ، ثم لم تفهموا الا جملة من السطر ، وهي (يغلب الاقوى الاضعف) ، ألم ترَ الى ما اودع فيها من الحيوان والنبات

والمعادن، وانتم كل يوم تخترعون وتكتشفون، وكم من نبات لا تعلمون ☼ ان الحشائش والاشجار المحيطة بمنازلكم النابتة في حقولكم كافلة لشفائكم، ولكنكم لا تعلمونها، ولو علمتم منافعها لكنتم انعم بالاً وأسعد حالا، وكم في خفايا الارض و بطون الاودية وعلى رؤوس الجبال من المنافع والناس عنهـا غافلون، ولم يقرأ الناس الا سطرًا واحداً، وحفظوا منه في السياسة الجملة المشئومة المذكورة ☼ واما عقولكم فانها عنكم مستورة مغمورة بالقوة الغضبية، والشهوة الحيوانية، ولم تستطيعوا ان تتخلصوا منهـا، ولم يتضح لكم من عقولكم الا سطر واحد، مكتوب من جملة سبعين الف سطر في الحكمة والعلم لا تزالون عنها غافلين ☼ فالمادة والعقل صنوان في الابداع، وفرسا رهان في الاتساع ☼ والسطر الذي قرأتموه من عقولكم تلك العلوم العقلية والآراء الحكمية، ومنه انكم اخذتم تحلون معضلة السياسة وانتم لا تشعرون ☼ فقلت وكيف ذلك، فقال انكم في سالف الزمان، سخرتم الانعام، فاكلتم لحومها ولبستم اصوافها وجلودها، وظننتم ان هذا غاية السعادة ومنتهى الرقي والمدنية، فلما كثرتم ايقنتم ان الاصواف لا تكسو عشر الانسان وسائر دواب الحمل لا تقوم بحاجاتكم ولا تفي بمطلوبكم، فاخترعتم البخار والبريد البخاري والبرقي والاثيري (مركوني)، فذلك بلا ريب جملة فهمتموها من سطر من سبعين الف سطر من حكم عقولكم، وستعين على حل مسائلكم السياسية بعد حين، كما انكم زرعتم القطن فالبس سبعـة اعشار الناس اثواباً وكساهم اردية،

ولا جرم ان هذا الحل نهاية ما عرفهُ الانسان ، وابرزه العرفان ، وجر به الزمان * انكم ما اتخذتم اخوانكم خولاً وخدماً ، واذللتموهم ، الا ليتمموا ما نقصه الحيوان من المنافع ، ثم سلطتم اشعة عقولكم على المادة والنبات فألبستكم لباساً حسناً قطنياً ، واعطتكم بخاراً وقطارا ، فكفتكم بارادة مبدعها * انها تتكفل لكم الخير والنجاح ، والعز والفلاح ، اذا اتجه سائر نوع الانسان الى الطبيعة فذللها ، وترك ذلك الجهل وذهب الكسل والخمول ، والجور وظلم العالمين

الفصل الثامن

« اين الحكمة فى المادة والعقل »

فقلت ما الحكمة في فوائد المادة اذا لم نعقلها ، وما الفائدة في عجائب العقول البشرية اذا جهلوها * فقال ان هذه المادة كلوح منقوش سطوراً ، فالحيوان يقرأ جزءا ، وانتم تقرؤون سطراً ، وسائر السطور يقرؤها قوم آخرون في عالم آخر * اما عقول النوع البشري فانها مستمدة من العقل العام المحيط بالعالم الفائض من علم الله عز وجل ، وهذا العقل يحيط علماً بالمادة وعجائبها ، والعقول البشرية تطلع قليلاً قليلاً على ما اودع فيه من الحكم * ولئن ذبل نبات أو مات حيوان بلا فائدة ترونها ، فهناك فوائد تجهلونها ، ومتى تحلل الى عناصره ، وكر راجعاً الى مادته ، لم يعدم خواصه ، وانما هي كامنة ، فلا معدوم في هذا

الوجود ، وانهُ لا عدم البتة ، ليس يعدم الا المظاهر ، فاما الحقائق فانها كامنة راسخة ، فالمادة فيها كل نبات وحيوان وانسان ، هكذا عقول نوع الانسان ، انها تحفظ عناصر السعادة ، وانما يعوزها الاستخراج والانماء ، فمن نظر الى زنجي وأفرنجي قال لأول وهلة ان الأول من التراب ، والآخر من معدن الذهب ، وضل عن هـذا الزاعم ان البذرة متحدة ، واختلفت المظاهر بالتعهد والتربية * وما الافرنجي الا من أولئك البرابرة التتريين ، قوم جاؤا من آسيا وأحاطوا دولة الرومان ، ثم غلبتهم ، وورثتهم علومهم ولغاتهم وقوانينهم ، والمتوحشون أسرع قبولاً للمدنية وأقوى أجساماً ، وترى الارض التي بقيت بورًا أمداً طويلاً انضر زرعاً وأغزر شجراً من الارض التي أنهكها الزرع والحصاد ، فكيف يهرف فريق من العلماء بقولهم متوحشون ومتمدينون ، ويحكمون جهلاً على فريق أنهم لا يرتقون ، وهم كانوا مثلهم في غابر الأزمان ، فعقولكم البشرية لا تزال خاوية من الحكمة ، واقفة في أول الطريق ولكنها على باب الهداية ، اذ بدأتم تكشفون أسرار الخليقة ، وستعتقون العقول من الرق ، وتستخرجون كنوز الارض النباتية والناموسيّة ، فهي الكافلة بنجاحكم ، والكافية لاسعادكم وازالة العوائق المخترعة ، ولتعلموا انكم نوع واحد ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان

الفصل التاسع

« الفلسفة العتيقة والفلسفة الجديدة وكيف كان توزيع العقول »
« على افراد الانسان والمنافع على الارض وكيف جهلها الانسان »

واعلم ان القضية العتيقة القائلة بأن الأقوى يغلب الأضعف وان الضعيف أسير القوي ، لا تنطبق على العصر الحاضر * فأبيقور المخترع لها ، وداروين المقرر كانا في زمن ، وأنتم أحوج الى قضية جديدة ، ولقد أبنّا تفنيدها وشرحنا نقضها ، والقضية الجديدة (العقل فوق القوة) وهو أضمن للسلامة ، وأقدر على الكفاية يغني النـاس عن الحرب والكفاح ، والمدفع والسلاح * ان الانسان نوع واحد ، وعقله أولى بكفايته ، والمادة تكفيه شؤونه * فليرح أخاه وليتحد معه على استخراج ما في الوجود من الحكمة ، فمقال أبيقور وداروين مما يتلاشى مع الزمان ، ويتغير بتغير الأجيال ، ومثل هـذا لا يناسب الأعصر الحالية كما سنوضحه بأعلى من هذا فيما بعد

الانسان ترقى في العلم ، وانحط في الأخلاق ، وسفل في الأعمال ، لله در علماء الطبيعة والفلك ، لله در الرياضيين ، لله در علماء الحقائق ، وما أجهل العقل السياسي في العالم ، امركم عجيب ، استخرجتم المنطق فصدقت قضاياكم في اكثر ما استخرجتموه من الطبيعة ، كمسألة أرشميدس واضرابها كسائر القضايا الهندسية والحسابية ، فنلتم كثيراً من العلوم * فقلت له ان لدى أممنا نوادى علمية ، وآثاراً حكمية * وما

من دولة أوروبية أو أمة شرقية الا وضربت في العلم بسهم وأخذت من الحكمة بنصيب، وما منهم الا له مقام معلوم ، يحضون على الارتقاء والمحبة العامة والسعادة الانسانية

فسكت ملياً واشار الى خادم حاضر ، فما كان اسرع ان احضر له خريطة زرقاء بهية ، فنظر وتبسم ضاحكاً ، فقلت في نفسي ، مم يضحك ، لعله نظر في احوال الامم الوحشية ☆ وهلا قرأ علوم الاكاديمات الاوروبية ، ولو انهُ استطلع حكمة الفرنسيين ، وعلم الالمانيين ، لخر على الذقن ساجداً ، واسلم لي ، وأعظم قدري واحترم جنسي ☆فبينما هذه الآراء تخالج قلبي اذ رأيتهُ انفذ اليَّ سهام نظراته ، ووجه شطري بواتر اشاراته ، وقوارس عباراته فقال ☆ أي الامم الانسانية اعرق في المدنيـــة ، وأيهنّ فتحت لكم ابواب السياسة ، ومنحتكم اعطيات الحرية ، فقلت الامة الفرنسية ، فقهقه ضاحكاً ، فقال لعلك راقك الاكاديمة فقلت نعم ، وقلت في نفسي ماذا عسى ان يقول ، ووالله لقد نصرني الله عليه بأعظم حجة واجل برهان

فقال لعله دهشك انهم يعطون كل عام ما يقرب من ثلاثماية الف فرنك ثواباً وعطايا على الاعمال العلمية والاكتشافات الأخر ، وان هذا المقدار موزع على ٧٨ قسماً يتسلمها علماء الفنون المختلفة ، واساطين العلوم النافعة ☆ او تظن انــ ذلك سعادة الانسانية ، وارتقاء الأمم الارضية ، ولعلك تقول ان ذلك المقدار من المال الذي لا هو في اي سنة مقطوع ، ولا عن أي مجيد في العلوم ممنوع ، دعا الناس للعمل

وحثهم على التسابق والتنافس ، وتقول لمثل هذا فليعمل العاملون * ولو انك تبصرت في جلية الأمر ، وتحققت خفي السر ، لعلمت ان اكثر ذلك خدمة شخصية للامة الفرنسية ، فان أكثرها راجع لتاريخها وآدابها ولغاتها وعظمتها واسعادها ، وليس للخدمة العامة من نصيب الا قليلاً كالتي وضعها (جوست) و (بلويه) و (زيجوا) وهي نحو ستة آلاف أفرنك ، فللانسانية العامة اثنان في المائة من اعمال أعظم اكاديمي في الدنيا ، وقد اسسهُ السيد ريشليو وصي هنري الثالث لارتقاء اللغة الفرنسية * نعم هو الواضع وهو المقرر ، فلم يدسنَّ لخلفائه ان ينظروا في المنفعة العامة الا قليلاً ، فليس لديكم ريشليو لنوع الانسان ، كما كان لفرنسا قبل نحو اربع قرون

الامم غافلة والناس جاهلة * (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون) ، ما أجهل الناس ، ما أبعدهم عن الحقائق ، ما أقربهم الى الوحشية ، وابعدهم عن الانسانية ، انهم في غفلة معرضون

فاذا كانت هذه فرنسا التي بها افتخرت و بعظمتها وفضلها احتججت ، فكيف بالامم التي عنها سكت ، لا جرم انهن اشباهها في الفضيلة ، واخواتها في الاعمال العامة * فهلا جعلت اكثر الجوائز وقدمت العطايا والنوافل ، لأعظم القربات ، وارفع الدرجات ، وهي المنافع العمومية ، والسعادة الكلية ، للامم البشرية * ولو انهم فعلوا ذلك لتقدمت الأمم الارضية ، وقامت الجمعيات الانسانية ، وكيف ينكصون على اعقابهم ، ويرتدون عن أشرف اعمالهم العامة ، وهم

لو وجهوا هممهم الى المنافع العامة لكملت سعادتهم

لمَ لم يوجهوا عزائمهم لاقامة أمرين اثنين واصلاح فاسدين ، الارض الزراعية ، والعقول الانسانيـة ☆ كم في الأرض من قطع متجاورات ، تصلح للانبات ، وهم يتحاربون ، واذكياؤهم عنها غافلون ☆ ألم ترَ أن اكثر السودان لا زرع فيه ، وهو صالح للزراعة والعراق والاناضول ، وكثير من أرض الأسبان ، وأراض كثيرة من البلاد الانجليزية ☆ او لا يعلم حكماؤكم ان كل قطعة من الأرض في أمة بارت ولم تزرع خسارة كبرى على سائر نوع الانسان ☆ أنا لا أقول قسموا الارض الآن بالسوية ، ولا ادخل معك في نظرية المال والعمل وما تفرع عنهما من الآراء والمذاهب الاشتراكية ، فلذلك وقت آخر ☆ وانما اقول كيف غفل علماؤكم عن الأرض ، كيف تركوها ☆ او يظن علماء الامم جهلاً أنهم لا يعنيهم شأن دولة أخرى وهي اذا بارت أرضها خسرت ثمرتها

ومن عجب أنهم يقدمون الحجج ، وينفذون الأساطيل في اللجج ، لحماية مجرم في السياسة ، أو شاب ازهقته الحماسة ☆ او لا يحمون الارض من أن تبور ، كما يحمون الرجل الحماسي من القتل ☆ الا أن الأرض اولى بالحمـاية ، واحق بالرعاية ، فانها يعيش بريعها الانسان والحيوان ☆ وهلا تحتج تلك الامم القوية على من يدعون أبناءهم جاهلين ، يتخبطون في دياجير الظلام ☆ أو ليس الجاهل ميتاً ☆ الا ان ذنب الاهمال أشبه بجرم الاهلاك ☆ ومن أهمل العقول الانسانية

أحق باللوم والتعنيف ممن أزاح الرؤوس عن أبدانها ، وفصل الارواح من أجسامها * الا ان من أهمل عقلاً او تعمد جهله ، فقد حشر جماً غفيراً الى الحيوان ، وأنزلهم عن مراتب الانسان ، وأماتهم موتة العار ، وجعلهم من الفجرة الاشرار * الا ان ذلك شر ممن أذاق النفوس كأس الحمام ، وأوردها مناهل الاعدام ، فالأولون يضلون ، والآخرون مهلكون * الا ان الهلاك الروحي والفساد الاجتماعي ، شر مقاماً من خسارة ألوف من نوع الانسان * الا ان الفساد العقلي ينمو بالاختلاط ويزداد بالاجتماع ، وجريمة العدم قاصرة على محلها لا تتعدى جرمها وجرمان اكثر من جرم ، وويل أهون من ويلين ، وعذاب واحد أهون من عذابين اثنين * فتباً للأمم الغافلة والعقول النائمة

هلا علم عقلاء أهل الأرض ان خسارة عقل واحد في الشرق دمار على الغرب ، وشقاء في الشرق يؤول الى خراب في الغرب * وكيف يسكت علماؤكم عن البحث في سائر العقول البشرية * أو لا يعلمون ان المعارف الانسانية موزعة عليهم بقسطاس مستقيم * ان الحديد والنحاس والقصدير وسائر المعادن ، وضعت في الجبال وطبقات الارض على درجات شتى كثرة وقلة ، حسب الحاجة الداعية اليها بقسطاس مستقيم ، فترى الذهب قليلاً ، لانه ملك المعادن وأس القضاء في المعاملات والتجارات ، وتليه الفضة القاضية في البيوع الجزئية * قل الذهب ، ووليتهُ الفضة * ولو كثرا في جبالكم ووفرا في معادنكم وفرة زائدة عن حاجاتكم ما صلحا للمبادلة ، ولا اجزآ في المعاملة ،

وكثر الحديد والنحاس وغيرها لتقوم بأعمالكم ، حكمة بالغة ونواميس صادقة ، فهل جهلتم يا بني آدم فظننتم ان عقولكم وزعت على أجسامكم توزيعاً مهملاً وقسمت قسمة ضيزى ، كلا ظن خادع ورأي سخيف ☆ وكما ان الذهب غائر في طبقات جبال كثيرة ، وتوزع في أقطار عديدة ، وكذا الحديد والنحاس والقصدير ، فهكذا العقول والذكاء والفطنة الداعية لاستثمار الارض واستخراج منافع المادة من الهواء والماء والكهرباء

ليس في الشرق ولا في الغرب من عقل الا وهو موضوع لحكمة ، ومجبول على فضيلة كعناصر الشجرة المخبوءة في البذرة (الناس معادن كمعادن الذهب والفضة) ، فخيارهم في فطرهم المهملة خيارهم في عقولهم المتعلمة ☆ لتعلم الأمم العالمة الجاهلة ☆ لتقم مقام الأب الوصي لا مقام الجاني والسيد الظالم ☆ لا تدعوا شبرًا من أرض في كرتكم الارضية بلا زرع ☆ المجامع العامية غافلة عن الحض على المنافع العامة الا قليلاً ☆ وكيف يجهلون خسارة العقول البشرية ، انها لكم مخلوقة ☆ ان عقلين أفضل من عقل ، وأمتين فاضلتين أفضل وأنفع لهما من أمة عاقلة وأخرى خاملة ، وأمم عاقلة وكرة أرضية أو كوكبية فاضلة عاقلة تكون أسعد سبعين مرة من أهل أرض أو كوكب جمعوا بين جهل وعلم وكمال ونقص ☆ فهلا كان من الأمم حولكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض بترك زراعتها ، وعن خراب العقول بتعمد اهمالها الا قليلاً منهم وكثير منهم فاسقون

يا أيها الناس اعقلوا يا ايها الناس افهموا ☆ لقد أفهمناك ايها الانسي حال نواديكم العلمية في أعظم اممكم الغربية ☆ وها هو اكاديمي فرنسا وانتم جميعاً عن الاصلاح العام في الأرض والعقول غافلون ☆ اذا كان هذا شأن اكابر علمائكم فكيف باغرار اممكم وجهال دولكم من عامتكم السفهاء وغوغائكم الضعفاء ، اذ يتبعون آراء التخريب والتدمير والعداء والايذاء ☆ ألم يكفكم ان غادرتم العقول جاهلة ، والنفوس خاملة ، والأرض بائرة ، بل تجاوزتم ذلك الى ما هو أشد انكالاً وأفظع جرماً وأدعى للعجب ، فقد سعيتم ضد الفطرة على خط مستقيم ☆ اوتجهلون ما أوصى به غلادستون الانكليزي ، وما نصح به غمبتا الفرنسي من ضرب . . . ، وما تلقاه الشبان الألمانيون عن وليم الملك وبسمرك الوزير من تدمير . . . ، وما أشار به غلادستون و بطرس الأكبر في الروس من تدمير . . . ليسود السلام

ان اكثر الناس جاهلون ☆ ان اكثر الناس يتبعون داعي الشر ونذير السوء ، أنتم لا تزالون على الوحشية ، ربوا أبناءكم جميعاً على المحبة العمومية بحيث يكون ذلك في سائر الأمم الأرضية ☆ تعاهدوا جميعاً صفقة واحدة على زرع سائر الاراضي ، فان أعوزكم الزراعون فانفذوا الى الأمم ترسل من رعاياها من يرغبون ويحتاجون ، ثم ليتخذوا الارض الجديدة لهم وطنا وليكونوا من الأمة الجديدة كما فعلت الممالك المتحدة الامريكية وليتجنسوا بجنسيتهم ، وليدخلوا في جامعتهم ☆ هذا يكون مبدأ السلام العام في الكرة الارضية ☆ لا تكونوا مع الجهال ،

لا تكونوا من الجهلة الاغرار الذين يكرهون نوع الانسان

أين عقول علمائكم ، كيف يذرون النعم الارضية ، ويتحاربون حروباً سبعية ☼ اضرب لك مثلاً عن اهمال النوع الانساني لعقله ولأرضه ولمائه ، هذه مصر وسودانها ، ان مصر لا تنال من النيل الا نحو عشر مائه ، واكثر مائه ذاهب في الغابات السودانية ، والأراضي الافريقية ، وفي مصر والسودان أجود الأطيان ، تكفي أناساً عدد دولة الألمان والنمسا والطليان ☼ فلو ان القطرين أوتيا حكمة وعلماً وجعلوا لهم نظاماً مسنوناً ، وقانوناً معلوماً ، ودعوا من الأمم من يدخل تحت رايتهم ، ويستظل بظل وطنهم ، ويدخل في جماعاتهم ، ثم ينظمون الماء ويزرعون الارض ثم فعل مثل ذلك في كل أمة ودولة في مشارق الارض ومغاربها لأصبح الانسان في سعادة

هذه أول سعادة الانسان ، ووراءها سعادة أخرى عالية ستنالها الأمم في أزمانها المقبلة ☼ كم عند لوردات الانجليز واهل امريكا من أرض جردت من الزرع ولا خير فيها الا اصطياد الظباء في الخلوات ، فلم لا يزرعون ☼ قتل الانسان انه كان ظلوماً كفاراً ، مسكين الانسان وأي مسكين ، ضلت أممكم ، وجهلت دولكم ، وطاحت العقول ، وذهبت الرسوم ، فلا سعادة لكم ولا هناء ، فأرجعوا عن غيكم ، وثوبوا الى عقولكم ، وكونوا متحابين ، وللعقول والارض مصلحين

ثم قال انظر فنظرت ، فقال ألا ترى الى هذه الشجرة (هي شجرة شجرة لبخ ذي منظر بهيج لا يشبه ما في أرضنا) ، وقد وزع العصارة

المجتذبة من الارض على أوراقه وأثمـاره وحبوبه ، ومنح كل ورقة قسطها ، وأعطى كل أنبوبة حقها ، وأهدى كل حبة أو ثمرة ما تحتاجه في الحياة ٭ ألا لا يسعد الانسان على سطح الكرة ما لم يصل الى تقسيم أعماله على حسب الاستعداد والقوى والملكات ٭ الشجرة ساق وفروع صغيرة وأخرى كبيرة وأزهار وأثمار وألياف وصمغ وشوك وورق ، وكل ذلك له حد محدود من الأغذية والعصارات فتوزع على كل منهـا ما يحتاجه

أفليس الانسان شجرة تفرعت ، وأصلاً نما ، وجنساً انفلق الى فصائل ، والفصائل الى أفخاذ كثيرة وافراد متباينة ، وكل له استعداد لعمل وصنعة ، فلم لا يشغل كل فيما خلق له ٭ خصصت الثمرات بغذائها الصافي والاوراق بعصارتها ، والألياف بقوامها وقوتها ٭ الا فلتقم كل أمة من أمم العالم بما حدد لهـا من القوى والملكات ٭ الا لتوزع الحكومات على الافراد الاعمال الانسانية على سنة طبيعتها ، أفلا ينظرون الى الألوان كيف اختلفت ، والى الاصوات كيف تباينت ، والى العقول لم تشتبه ، والى الاحوال المتقاربة المتباعدة ، فليضع ا كل أمة فيما خصصت له ٭ وكل فرد فيما يناسبه ويلائمه ويواتيه ٭ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

الفصل العاشر

« المنطق والاخلاق والسياسة »

من عجيب أمركم ان السياسة لاحظ لهـا من المنطق ، أين عقولكم ، أين أحلامكم * ان الله منحكم عقلاً واسعاً ، فلمَ ضاق نطاقه * ولا أشبهكم الا بطفل أعطاه أبوه سلاحاً فضرب به نفسه لجهله باستعماله ، فقلت وكيف ذلك

فقال ألم تر انكم أبيح لكم الزواج فاثقلتموه بالمهور ، أما من جهة الزوج وأما من جهة المرأة * ألم تر انه بحكم الاضطرار أبيحت لـكم الملابس وحرمتم مما تمتعت به الطيور في أوكارها ، والانعام في مرابضها من الملابس الطبيعية ، فذهلتم عن القصد الاول من اللبـاس ونظرتم للزخارف والزينة ، وكم وشمتم الجلود ، لتبحثوا عن جمال غير ما سنته النواميس الالهية * فطرتم مختلفين عقلاً وقوة ، وقد أودع فيكم نظام العقول الكبيرة التي وضعها الله لتدبر شؤونكم فتجاوزتموها ، وعمدتم الى وارثي الملك ولو كانوا جهلاء

قضاياكم الاجتماعية وهمية ، كثر الدجالون والخادعون فصدقتم وانقدتم ، أليس العقل فوق القوة ، فلمَ خضعتم لمن كثر ماله ولو كان جاهلا ، وما لـكم اتخذتم رجال الدين في بعض الامم مقدسين ، فما جاء الدين الا للمساواة ، ولا ضربت الدراهم الا لتكون حكماً بين الناس ، ولا وضع الحكام الا ليحكموا بالعدل ، فدأبكم أن تحيدوا عن

الصراط السوي وتنكبوا عن الجادة ☆ اني أعلم انكم خاضعون لقضايا وهمية ، قد أشربت بها عقولكم ، وألفتها نفوسكم ☆ علموا سائر الطبقات من جميع الامم ، ان فيها من العقول ما يكفي حاجاتكم

انكم سجنتم في الارض وحرم عليكم الفرار منها والابتعاد عنها . فلم يبح لكم ان تنفذوا في أقطار السموات اذا ضاقت عليكم الارض بما رحبت وضاقت عليكم أنفسكم ☆ فالكرة الارضية مقركم ومأواكم ومستودعكم ولو أن امرءاً منكم فر هارباً من دولته لتلقفته الأخرى ولزمت به الى دولته ، وحرم عليكم البحر الملح ان تسكنوه . او تجولوا في أقطاره ، او تصلوا الى قراره ، او تقفوا على اسراره ، مع اننا لا نرى أرضكم كلها الا بحراً ملحاً ، وكرة من الماء الأجاج تفيض نوراً على عالم القمر أضعاف ما يفيض هو عليها ١٤ ضعفاً نورياً ، وليس في الأرض مكان لسكنكم ، أو مستقر لحياتكم الا جزائر مختلفة القدر صغراً وكبراً لا تبلغ الا ثلاثة أعشار كرتكم

ثم هذه اليابسة منها الجبال والانهار والأودية ، يسكنها ملايين الآلاف من الطير والهوام والوحش والسباع وأنتم أقل الحيوان عدواً وأضعفه بطشاً ، فأكثر الكرة مجهول لكم وهو البحار وبعض الاقطار ، وأنتم وما معكم من الحيوان تقتتلون وتخادعون وما تخدعون الا أنفسكم وما تشعرون

عميت عليكم السبل وضاقت عليكم الارض بما رحبت ، وضاقت عليكم أنفسكم ، فلا ملجأ لكم ولا قوة الا بأن تتحابوا وتتوادوا وتقوموا

معاً لتشتركوا فتفتحوا خزائن النواميس الطبيعيـة الارضية والجوية والبحرية ، فكيف تدعون انكم أفضل الحيوان ، وأنتم أقل منهـا ادارة ودستوراً ونظاماً أفلا تكونون أفضلها عملا ، وأعلاها سياسة ، وأرقاها نظاماً ، ولن تنالوا هـذه المنقبة الا أن تتحابوا وتتحدوا ، وليكن الانسان أخا الانسان ، وكيف تحاربكم النواميس وأنتم متحاربون ، وكيف تخادعكم الحوادث وأنتم فيما بينكم تتخادعون ، وكيف تجعلون أنفسكم أجناساً وأنتم نوع واحد أفلا تعقلون

الحقيقة المرة

« فى مقارنة السياسة بالقضاء والتعليم »

ثم قال ألا انبئكم بالحقيقة المرة ، فقلت وما الحقيقة المرة ، قال جهل الامم بمثار المظالم ومناط الدمار والخراب ، فقلت اوضح المقال ، ودع الاجمال ، فقال ما حال القضاء ، وهل انتم سائرون للعدل في العالمين ٭ قلت أن القضاء أخذ في الارتقاء منذ القرن الثامن عشر الى الآن ٭ فلعمرك ما حدثت الثورة الفرنسية الكبرى حتى ثارت الافكار من مكامنها ، واستيقظت العقول من نومتها ، وهبت العقلاء لحكمتها

ولقد كان القضاء في بعض الأمم موكولاً لذمة القضاة ، فعدل عن هـذه الطريقة العتيقة واصبح في القرن التاسع عشر مراعى فيه أحوال الجناة ، معتبرين انهم مرضى والقضاة اطباؤهم ، والسجون مستشفياتهم ٭ وكما ان الاطباء يداوون الداء بالعقاقير الطبية ، والاعمال

الجراحية ، فهكذا اصبح من المقرر في الامم الحية تشخيص داء الجانين ، واعتبارهم مرضى أو معتوهين ☆ وعلى ذلك وقف المذهب الطلياني ، وزاد عليه المذهب الاجتماعي ، فاعتبر الذنوب امراضاً اجتماعيـة ، كالامراض الوبائية ، فمتى صلح المجتمع صلح العصاة ، ومتى اختل أمره اعتل سيرهم ، وضل سعيهم

فالمذهب الاجتماعي في القضاء يرى أن الذنوب الجنائية ثمر ما زرعتهُ يد الجمعية

وكما ان الاشجار والازهار والاثمار نتيجة البذور المبذورة والحبوب المطمورة ☆ فان كانت حنظلا اثمرت حنظلات ، أو قمحاً فسنبلات ، أو نوى تمر فنخلات ، فهكذا المجتمع اذا صلحت أحواله او فسدت ، وان حسنت أو قبحت فما الناس الا اشجار بذوره ، وازهار شجره ، واثمار نخله وحنظله ، ذلك مذهب أهل الاجتماع ، وعلى ذلك يعاقب المجرم عقاباً يشفع في تخفيفه الاحوال التي الجأت الجناة ، والضرورات المحيطة بالجنايات ، ولقد اصبح السجن مدرسة المذنبين ، ومستشفى الجانين ، مما ألمَّ بعقولهم ، واحاط بقلوبهم من الجهل والغواية ، وروعيت صحة اجسامهم ، ونظافة ثيابهم ، ورقي عقولهم ، وتشغيل ابدانهم ☆ فالبطالة منبت الجرائم ، وجرثومة الذنوب والعيوب والقذارة

فقال اذن اممكم الراقية اليوم تسعى للعدالة ، وتهوى ارتقاء الناس للفضيلة ، قلت نعم ☆ قال ما شاء الله ، وهز رأسه وضحك ☆ ثم قال لكنكم هدمتم ما شيدتموه ، فخرّ عليكم سقف العدالة من فوقكم ، واتاكم

عذاب الظلم من حيث لا تشعرون

اذا صلحت المعدة صلح الجسم ، واذا اعتدل الدماغ اعتدل الانسان * قادة الامم ثلاثة ، حاكم عادل ، وقاضٍ فاضل ، ومعلم كامل * فلئن صلح القاضي في محكمته ، والمعلم في مدرسته ، ولم يصلح الحاكم في عمله ضاع الاصلاح ، وظهر الفساد * ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذوقوا بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون

الحكومة من الامة كالرأس من الجسد * فاذا عدل القضاة ، وصلح المعلمون ، وظلت الحكومات عاكفة على ظلمها سائرة في غيها فالعالمون خاسرون

قلت على رسلك ان القضاة يحكمون على الملوك والامراء ، فقال فاذا طغى مجلس الامة في دار الندوة على امة انسانية ، أو ساقت الملوك جيوشها لظلم غيرهـا فهل يقاصهم القضاة ، وتحاكمهم الشعوب التي اصطفتهم ، او تعاقبهم الامم التي ولتهم ، قلت أما في هذا فلا ، بل الشعوب ترضى عنهم ، وتستمرئ مرعى ظلمهم ، فان الخير راجع لهم ، والغنيمة مردودة عليهم * فقال ما أجهل الانسان ، ما أجهل الانسان ، ما دامت امة تستبيح قهر امة ظلماً وعدواناً فقد قتلت نفسها بالسكين ، وضربت رأسها بمديتها ، وجردت سيفها لقتل نفسها ، فانك تعلم ان الخلق ملكة راسخة ، والناس ابناء عاداتهم ، وصرعى سوء اخلاقهم

وكما ان اعتيــاد الناس ذبح الحيوان انساهم الرأفة على الانسان

فظاموه هكذا اذا سفكوا دماء الامم الاخرى ، وظلموا من عداهم ، فان ملكة الظلم ترسخ في عقول نواب الامم ، وعظماء الممالك ، ويتوارثونها جيلاً عن جيل ، وقرناً عن قرن ، فيظلمون نفس اممهم ، ويسقونها بكأسهم ، ومن اعان ظالماً ساط عليه ، ومن سل سيف البغي قتل به قال شاعركم المتنبي

ومن يجعل الضرغام للصيد بازه تصيده الضرغام فيما تصيدا

فويل للامم من كبرائها اذا أغروهم على ظلم العباد ، وهل اتاك نبأ امة عظيمة . . . سلمت مقاليد سيادتها ، ومفاتيح سياستها لطائفة من رجالها عرفوا بالمـال والثروة ، والعظمة والجبروت ، وامسكوا بسياسة العالم ، واصبحت الكرة الارضية في ايديهم لعبة صبيانية ، وقد فتح ذلك الشعب عينـه فرأى انهُ مقهور مغلوب ، كما رأى آدم في الاحقاب الغابرة انهُ وزوجه عاريان من اللباس

ولقد علمت ان ذلك الشعب يحاول التملص من قبضة اولئك السَّراة والتخلص من قفص اولئك السادة الولاة ، اذا هو في شبكة من حديد ☆ فقل لذلك الشعب ، ذلك بما كسبت يداك ، اغريت اولئك السادة على الفتك بالامم الضعيفة ، فاستمرأ لحمك مع اللحوم ، وجعلك صيداً لطعامه ، وفريسة لنهمه

الحاكم من الأمة بمنزلة الاستاذ من التلميذ ، وكيف يجوز في شرعة المنطق أن تجمعوا بين الضدين ، وتعملوا بالنقيضين ، تعدلون في القضاء وتحللون ظلم الأمم ، والأمم الذين هم تلاميذ الحكومات

يشهدون ويعلمون ٭ وهل تصلح الأمم وسواسها فاسقون ، الا أن لصوص الامم اكبر جرماً من لصوص الافراد . . . . ومن ذا الذي يرضى لولده ان يقرأ الأداب والاخلاق على لص معروف ، الا أن الامم اليوم رضيت أن تكون تلاميذ اللصوص السارقين

قد نص علماء الاخـلاق انهُ لا يهتدي من جهل فظن ألغي رشداً ، وتفاخر بالجرائم وتباهى بالسخائم ٭ فذلك لا يرجى برؤه عند علماء الاخلاق ، والأمم اليوم فاخرة بظلمهـا ، معتقدة حل نهبها ٭ فلتعلموا الحـكومات تصلح الرعايا ٭ ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا أعزة اهلها اذلة ٭ انما يصلح التعامي عن ذلك للامم في ايام جهالتها ، والعقول في نومتها ٭ اما وقد انتشرت العلوم وكثرت الفنون فالعيون مفتوحة ، وعيوب الحـكومات عند الشعوب معروفة مشهورة ، فلا صلاح للامم ما لم تصلح الحـكومات ، فعلموا نواب الامم وملوكها حسن السلوك مع الشعوب الاجنبية الاخري تقلدها رعاياها فيما لديها من الاعمال وما اوتيت من السلطان ٭ هنالك آذنني بالانصراف ، وحياني تحية الوداع ، وقال عسى الموعد أن يكون قريباً فحييتهُ بابتسام ، ومضى بسلام ، ونمت الى أن انفلق عمود الصباح فكتبت ما وعيت وحفظت ما كتبت

الفصل الحادى عشر

« حكم فى فترة اللقاء كتبتها فى كناشتى »

ظللت مضطرب الفؤاد مشغول القلب بقية شهر مايو ويونيو وبعض شهر يوليو سنة ١٩١٠ أتربص صديقي فلا يلقاني . واشتاق رؤيتهُ فلا يراني ☆ وكم ليلة ارقت وسهرت ، وكم من ساعة خلوت وفكرت ، ودعوت فلا سميع ولا مجيب ، ثم ارجع فأقول ، يا ليت شعري ، ماذا اقول اذا اذعت الحديث بين الناس واذعت هذا السر المكتوم ، وما ادري أهذا يقظة ام منام ، ان هذا الامر لعجيب ، ثم اشتعلت في قلبي جذوة نار الفكر والنظر ، وكان كل شيء اراه او اسمعهُ أو اذكره في هذه الدنيا يناديني السلام السلام العام يا بني الانسان ☆ انكم جاهلون ، وصبيان غافلون ، وكأنما الشمس بهذا تناجيني ، والقمر يخاطبني ، والزهر يحدثني ، والنهر يناجيني ، والطير به يغني وكل جميل وعجيب يذكرني ، فكتبت في مذكرتي تلك المدة ما اعرف من الحكم

الحكمة الأولى

ذهبت الى مدينة حلوان لأروح النفس وأفرج الهم بالهواء النقي ☆ فلما ان جن الليل وأرخى سدوله نظرت السماء صافية زرقاء بهية ، تبسمت فيها النجوم ، وضحكت الكواكب ، وأشرقت اكنافها ،

وكأن الكواكب تتناجى بالسلام و يسار بعضها بعضاً بالكلام ، منظر عجيب ٭ فقلت يا ليت شعري هـذه النجوم في السماء آمنة مطمئنة متحابة متجاذبة ، كل في فلك يسبحون ، وفي منظرها الجميل عبرة وحكمة لعقلاء الأمم ان يتصافوا و يتحدوا و يكون بعضهم لبعض ظهيراً ٭ الحيوان يعجز أن يدرك سر هذا الجمـال وأدركه الانسان ، فأين المحبة واين السلام ، وأين رحمة الانسان واين جمال العقول كما جملت هذه النجوم

الحكمة الثانية

نمت في تلك الليلة وانا في طرب من حسن سماء المدينة وجمال هوائها ٭ فلما استيقظت صباحاً وأشرقت الغزالة تغشى وجه الارض بخالص ذهبها وأنا جالس في منزل جميل فيه روضة غناء ذات دوحات تنغى على أغصانها الأطيـار والرياح تهب على الاشجار ، وتلعب بأغصانها ، وتقبل اوراقها ، وتضاحك ازهارها فكنت اسمع لها غويرا وصفيراً وغناء مختلف النغمات ، فخامرني الطرب ، ولن اشبهها الا بأجمل موسيقى ، تنوعت نغماتها ، وتداخلت اصواتها ، واختلفت فنونها ، وهي الى الطبيعة اقرب ، وكأن الموسيقيين في العالم نسخوا صورة من صور نغمات الاشجار عند هبوب الرياح ٭ ثم قلت لم اطربتني هذه النغمات ، ان ذلك لتلائمها ، وتحابها ، وتوافقها ، مع اختلافها قوة وضعفاً ، وارتفاعاً وانخفاضاً ٭ ثم قلت افليس الانسان موسيقى الانسان ، الانسان احق

بهذا الاتحاد ، لا عقل عند الهواء ، ولا فكر عند الاشجار ، والانسان عاقل ، فكيف حرم الموسيقى في السياسة ، ونالتها تلك المخلوقات التي سخرت له ان هذا لعجب عجاب

الحكمة الثالثة

جاءني خطاب من صديق لي في اليابان فاجبته بخطاب واودعته صندوق البريد ، ثم هجس بخاطري ، وخطر بروعي ان سائر الامم والممالك تخدم خطابي وتوصله الى اليابان

ان الدول الاوروبية والممالك الشرقية وسفنها التجارية حافظة لخطابك ، لولا السفن البريدية والطرق البحرية والعلوم الفلكية والسوق التجارية والمعاهدات الدولية ما وصل كتابي لليابان ، أنا اضع الكتاب بفلوس قليلة ، وامم الشرق والغرب تحمله ، الانسان كنفس واحدة ، اختلفت صورها ، ان هـذه الفكرة تدعو لتحاب الأمم واتحادها ، ما السبيل وما العمل

الحكمة الرابعة

دخلت زقاقاً من ازقة القاهرة خالياً من المشاة والركبان فاحسست بوحشة وقلت سرور الانسان بالانسان فالحرب جهل ، انها تضاد المحبة العامة ، الاساء مثلاً المحاربون

الحكمة الخامسة

« ركوب الحمار »

سريت ليلاً الى احدى القرى ، وانا راكب حماراً ، ومعي خادم ، وقد انزل القمر من لدنه فضة ذائبة ملأ بها الجو ، وغشى بها وجه الأرض ، وزين بها وجوه الاشجار والبحار والانهار والمزارع والسبل * أخذ الحمار يعدو فوق جسر ممدود بجانب نهر جار ، حتى اذا ركبت وتوسطت الطريق نزلت للسلام على صاحب سلم عليَّ * فلما ان اردت الركوب كرة اخرى تعسر عليَّ ولم يكن ابرذعة الحمار من ركاب ، وآنست هنالك منحدراً سهلاً تنزل من الطريق الى الأرض التي بجانبه * فأخذ الخادم بخطامه ، وانزله الى المنحدر ، وبقيت في أعلى الجسر ، وركبت * فلما استويت على ظهره اعترتني دهشة ، وقامت بنفسي فكرة * اني أيقنت ان في هذه سراً مكتوماً مخزوناً * ان ركوب الحمار على هذا المنوال يعرفه العامة والاطفال ليس امراً ذا بال ، ولكني أيقنت ان فيه سراً عجيباً وحكماً وغرائب

ان في ذلك لمثلين ، مثلاً أدنى ، ومثلاً أعلى

اما الادنى فأنك ترى الامم العاقلة الرشيدة تنتهز فرصة نوم الامم الجاهلة الضعيفة ، فترسل لها شرذمة من قومها يسومونهم سوء العذاب ، فيذللونهم ويحكمونهم ويتخذونهم خدماً وحشماً خاضعين * فالحمار مثل الامم الجاهلة ، والخادم مثل رجال حكومات الامم القوية ، وانا

مثال نفس تلك الامم ، ونزول الحمار للمنحدر مثل لخضوع الامم الجاهلة

اما المثل الأعلى فان الانسان له شهوة كالبهائم ، وغضب كالسباع ، وعقل كالملائكة ٭ فالشهوة البهيمية ألجأته الى الأكل واللباس . والشهوة الغضبية تُظهر بالقتال والسلاح والقهر كما تفعل السباع والوحوش ، والعقل به عقل النظام والحكمة والفضيلة ٭ فاذا عقل الانسان جعل الشهوة والغضب مثل الحمار ، والعلماء والحكماء يقودون تينك الشهوتين ، واذن يركب العقل كما ركبت ، ويجري في الطريق السوي كما جريت بحماري على الجسر قريباً من بوبسطيس (تل بسطه) ٭ واذن يضيء سنا قمر العدل على وجه البسيطة كما اضاء القمر السماوي تلك الليلة وانا في فرح وسرور

كم في العالم من علم ظاهر والناس عنه غافلون ٭ هذه مسأله بسيطة سهلة ، انها مثال لنا في العالم من الحكم ، ان عقولنا فيها خزائن مفتحة الابواب ، وفي العالم من الجمال والبهاء ما لا يستطاع وصفه ، انه لحاضر وما منعنا ان نفقهه الا الشهوات ٭ السلام سهل وليس يعوزه الا ارادة الانسان ٭ وما أقربه من الانسان اذا اراد ان يعقله ، ولو عقل لعمل والسلام

الحكمة السادسة

« طير الكنارى (عصفور) »

جلست في بهو فسيح مزدان بجمال الاشجار ونضرة الازهار ، فسمعت تغريداً عجيباً وصوتاً بديعاً ما سمعت مثله ذا نغمات مطربة

فرفعت طرفي اذا طيران أصفران صغيران يتغنيان فسألت ما هـذا فقالوا كناري ، فعلمت أنه ليس الخبر كالعيان ، وما راءٍ كمن سمع ، وان للسمع والبصر في النفس أثراً ليس للخبر ٭ ولقد قرأت عن هذا الطير في كتب الأفرنج ، فما اثر في نفسي تأثير سماعه ٭ ولقد ادهشني انه صغير الحجم عجيب الصوت ٭ وقلت يا ليت شعري لو انا اخذنا حجراً مساوياً لهـذا الطير في الحجم ، وقارناهما لوجدنا بوناً بعيداً ، وفرقاً شاسعاً

الحجر والطير من الارض وما عليها ، كلاهما من المادة ٭ انه ما احسن صورة الطير ، ولا هندس رسمه ، ولا اجمل صوته ، وأودع جسمه هذه (الحكم التشريحية والطبيعية والكيماوية ونواميس الضوء والابصار في عينيه وادراكه ومخيلته وذاكرته وخزانة ادراك مصورة معانيه في عقله) ما فعل ذلك كله الا اتقـان الصنعة ٭ الحجر والطير المتساويان حجماً كلاهما من المادة ، وأبعد المسافة بينهما دقة الصنع والاتقان في احدهما ، وبساطته في الآخر ٭ افلا يكون هكذا الانسان ٭ ولعل الفرق ما بين الانسان اليوم وحاله في مستقبل الايام كالفرق ما بين الحجر والطير

الانسان اليوم يظلم الانسان ، ويغشه ، ويكذب ، ويثقل عليه ، كما يثقل الحجر الساقط من جبل على السائرين

فلعل الانسان يصقل عقله بالحكمة ، ويتوارى عن هذه المخازي والظلم ، فيحلق في جو سماء الحكمة ، ويتعامى عن الدنايا ويكون كطير

الكناري جمالاً في علمه ، وكمالاً ، في حكمته ، ويطير في جو الجمال ، وحكمة الصانع الحكيم

التعليم يصل بالانسان الى نهاية كماله ، يجمعه على اخيه بالمحبة ، ويعلمه حب اخيه ، يستخرج من قلبه نور الحب ، ويشرق من وجدانه شمس الشوق والرحمة والعطف على سائر نوع الانسان

الانسان اليوم لم يفهم نفسه ، لم يبلغ رشده ، لم يعقل جمال نفسه * فليتعلم الحب والرحمة والحكمة والفضيلة والاحسان

الحكمة السابعة

« الياسمين »

زرت صديقاً فأهداني باقة ياسمين ، فأنست بهجة ونظاماً ، وحسناً واتقاناً ، وجمالاً بديعاً * زهرة الياسمين ذات خمس اوراق بيض ناصعات ، تقاربت اسافلها وتباعدت أعاليها ، وشكلت أطرافها العليا هيئة شكل خماسي الاضلاع ، منظم الاوضاع ، بحيث لو قست ما بين رؤوسهن للقيتها متساوية المقياس ، ان فيها جمالاً ، وان عليها بهاء ، وان فوقها ابريقاً ، عطرت الهواء بذكي ريحها ، وسرت الجلاس والاخوان بأريج عبيرها * فما شبهتها الا بالارواح الانسانية * لو ان الناس نقبوا عنها لاكتشفوا اسرارها ، كما ادركوا اسرار البخار والكهرباء ، وعناصر الهواء وأصول الماء

الروح جميلة صافية مشرقة في اصلها اشبه شيء بزهرات الياسمين ،

اوراقها الخمسة العفة والشجاعة والعلم والعدل واحتمال الحوادث بثبات ، وجمالها حببها سائر الناس ، وريحها ينبث منها الى ما حولها وعلى القريب والبعيد وسائر نوع الانسان

الانسان احق من الزهر بجماله ونضرته ونظامه ، ولا دليل على اتصاف المرء بتلك الصفات الا حب سائر الامم والممالك شرقاً وغرباً والا فلا جمال ولا كمال

الحكمة الثامنة

« رجلان افرنجيان »

قابلت في شارع الموسكي بالقاهرة رجلين افرنجيين ، احدهما اعمى يتكفف الناس ، والآخر يحمل ورق القمار ليبيعه ، فأثر ذلك المنظر في قلبي ، واشفقت عليهما ، وقلت انني احس بعطف عليهما ، انهما من نوع الانسان ٭ من ذا الذي قال شرقي وغربي وامة وامة ، هذا العطف مركوز في الجبلة ، مفطور عليه الاجنة . انهُ كالاثير يغدو فيه الانسان ويروح ، وكالهواء يحيط بالانسان ، وكضوء الكواكب والشمس والقمر يحيط بالقلوب والاجسام

من ذا الذي صرف الناس عن المحبة والاخلاص ٭ أنا من النوع الانساني ، وذو عطف وشفقة عليهم ٭ أفليست الامم الرشيدة ذات عطف على اخواتها الجاهلات كالديَّ ٭ او ليست الامة الجاهلة كهذا الافرنجي الاعمى ٭ او ليس الضلال عن الهدى في العلم كعمي البصر

عن ضوء النهار ☆ أفليس للامم الرشيدة عطف كما عندي على الامم الجاهلة ☆ اني اراهم يدفنون هذا الوجدان في قبور اجسامهم ويعملون ضد فطرهم ، وهم عن الحب معرضون

الحكمة التاسعة

« دكان اوقد مصباحه ضحى »

انست حانوتاً واسعاً اظلم داخله ، والشمس طالعة ضحى ، والناس غادون ورائحون ، فقلت هكذا نوع الانسان ، نظم جسمه ، واحكم تدبيره ، ومنح الحواس والعقل ، وسخرت له الارض والنبات ، واطاعة الحيوان ، وابيح له البحر ، وامكنهُ أن يعيش خالي البال ، فاخذ يتغالى في أحوال حياته ، ويتمادى في سرفه حتى اظامت سماء حياته بظلمات الظلم والعداوات والحقد والحسد والمدفع والنار ، كما اظلم داخل هذا الدكان بالبناء الذي عجز ضوء الشمس أن يسطع بفنائه ، وردَّ ذهبها الخالص ان يزور رفارفه وساحاته

فليضيء عقله بضياء الحب والاخلاص لأخيه ، كما اضيء داخل الدكان ، وليدم على التهذيب والتأديب والتمرين على الحب حتى يساوي نور الحب الساطع في قلبه نور شمس السعادة المشرقة في الخليقة والمضيئة في الطبيعة الشاملة لسائر الكائنات

الحكمة العاشرة

« الفرس والعربة »

شاهدت رجلاً يسوق فرساً تجر عربة ووراءها ولدها ، فخيل لي ان العربة الامة المغلوبة ، والسائق الغالبة ، والفرس الآباء وولدها هم الابناء ، وان الامة الغالبة تسوم المغلوبة سوء العذاب ، وتعطي ابناءها دروس الذلة والمسكنة باذلالها الآباء هكذا نوع الانسان وهكذا كان

الحكمة الحادية عشرة

« الرضى »

ان أحوال الناس متباينة ، ولكل حال تباين حال الآخر ، والمرء ما دام حياً يتطلع لما هو أحسن واجمل ، فليكن المرء راضياً بما هو فيه ، ساعياً فيما هو أعلى بحيث لا يشوش الرضا على العمل والسعي ولا السعي على العمل والرضا

الحكمة الثانية عشرة

« بم امتاز الانسان »

الانسان يغتذى ويلد ويموت ، والنبات غذاؤه الارض والهواء والشمس والمـاء ، والانسان غذاؤه خالص نبات وحيوان وهما من الأرض ، فلا فرق بين الغذاءين الا أن هذا سهل بسيط وذاك صعب المطلب غير بسيط ، فاللحم واللبن والخبز وانواع الفاكهة اغذية الانسان يعوزها الطهى والنضج وغيرها

اذا افتخر الانسان بالاغذية والمال والثروة فقد جهل ، وكيف يفخر بما سعد به النبات * النبات ليس له ارجل يمشي بها ، ولا سكك حديدية ، ولا بريد ولا كهرباء ولا لغة التخاطب ، هو غني عن هذا كله ، ان حياته بما هو حاضر لديه

الانسان مهد السبل ونظم البريد لتيسر له الحياة ويعيش ، الشجرة لا تحتاج للشجرة ، فلا تنتقل اليها فلم يتيسر لها اسباب النقلة ، الانسان محتاج للانسان فتيسرت له اسباب النقلة وها هو صنع البريد والكهرباء ، فليتحاب الانسان ، فليتقرب من اخيه ، فليكونوا اعواناً ليستخرجوا من الارض كنوزها * الا أن الحرب تقطعهم ، والحقد يؤخرهم ، وربما لفظتهم الارض ، وجيء لها بقوم آخرين اذا تركوا مواهبهم وتحاربوا

الا أن معادن الارض وفوائدها مخزونة الى حين ، فليحترس نوع الانسان ، وليقم في الارض بالقسط ، وليكونوا يداً واحدة في مشارق الارض ومغاربها والا حقت عليهم كلمة العذاب وتفجرت الارض ناراً فاصبحوا فيها جاثمين كأن لم يغنوا بالامس وهم هالكون

الحكمة الثالثة عشرة

« الكهرباء »

لمع ضوء برقي تحت عجلة الكهرباء ضحى في حمارة القيظ فأشرق وأضاء سناها الازرق المحمر بشكل عجيب جميل ، فقلت الحياة أعمال

ومشاق والعقول تضيء وتسعد

الناس اليوم في عداوة وعذاب أليم من الحرب والضرب ، فاذا اضاءت عقولهم كما اضاءت هذه الكهرباء اغدقت عليهم النعم ، واصبحوا في سلام آمنين ، النور الساطع الساعة من الكهرباء ، والكهرباء في سائر الاجسام المادية

ان الارواح الانسانية فيها كهرباء المحبة والمودة والجاذبية الانسانية ، فاذا اكتشفت تلك الكهرباء اضاءت للناس ، واسعدتهم وبدلت العداوة بالمحبة والمشقة بالسهولة ، وحملت عنهم مشاق الحروب والاذى والنفقات العظيمة ، كما حملت الكهرباء عن الناس اثقالهم ، وادارت آلاتهم ، وحملت امتعتهم ، وخاطت ملابسهم واضاءت منازلهم

واذا كانت المادة حاوية لهذه المحبة الكهربائية أفلا تحمل القلوب ما هو اجل وابهى وابهر من انواع الجمال والعشق والمودة الناجم عنها السعادات

الحكمة الرابعة عشرة

« ازرار صداري »

ركبت الترام يوماً وأنا لم ازر ازراري فأحسست ببرد فادركت اني نسيت ان ازر الازرار ، وقلت أيؤاخذ المرء على النسيان او يعذب الناس على غفلتهم ، ان هذا لعجب عجاب ، غفلت عن زر ازراري ، فكيف اؤاخذ على ما لم اعلم

ثم ايقنت ان هناك فرقاً ما بين الذنوب المادية ، والآثام

الروحانية ، فالآثام الروحانية تكون على ما تعمدنا من الأعمال ، والذنوب الجثمانية لا تذر قاصداً ، ولا ساهياً ، ولا ترحم جاهلا بها ولا عالماً ، فلها قانون لا تتخطاه ، وحد لا تتعداه * فالامم الجاهلة تذوق العذاب ، وتسام الخسف من الله والناس وان صلحت نفوسها

فالتقوى قسمان تقوى الارواح وهي التي قررها الانبياء ، وتقوى الاجسام وهي التي تتبع النواميس الطبيعية المحدودة

وأهل الأرض نوعان نوع احكموا نياتهم وقلوبهم كالبراهمة والبوذيين من اهل المشرق الاقصى ، وقوم اصلحوا اجسامهم ، واتقوا مصارعها ، وساروا على نهج النظامات الطبيعية في الأحوال المادية ، ولم يلاحظوا من آداب ارواحهم الا على مقدار ما لاحظ اهل الشرق الاقصى من أحوال اجسامهم ، فاستهزأ الجثمانيون بالروحانيين ، وعدوهم من الانعام ، وساموهم سوء العذاب ، والطرفان ضالان ، الا ان العدل ان يتوسط الطرفان ، ويصير وسطاً في الجثمانيات والروحانيات ، والا قامت قيامتهم وساءت حالهم اجمعين

الحكمة الخامسة عشرة

« الارواح وتقاطعها وتواصلها »

كنت في جماعة من الاخوان ، ونحن جالسون في بهو ، وهم مجدون في أعمالهم ، منصرفون عما عدا اشغالهم ، فقلت ان لكل منهم شأناً يغنيه ، ولا يعلم أحد منهم ما في نفس اخيه ، ولا يحس بما

يحس به ، فهم اشتات متفرقون ، ثم فكرت من وجه آخر وقلت أنا احس بما يؤلمهم ، واجزع لما يدهمهم ☆ اذا اصيب أحدهم بحرق او غرق أو فقد صديق أو جرح عضو او خدش عرض ، أأنا اذ ذاك لا اشعر بمصيبته ولا اتأثر لنكبتـه ☆ كلا ، فالناس جميعاً يتراحمون ، و يتعاطفون ولو كان احدهم شرقياً والآخر غربياً ☆ الا أن بين النفوس عطفاً ورحمة يبرزها الفرح والترح كما تتقد النار في الاحجار ، والكهرباء بالقدح والحركة ، فهكذا المحبة العامة والسلام العام سيكونان بقدح زناد الآراء واستخراج شعور النوع الانساني

ما اجهل الناس اليوم ، وما أجهل الانسان ، كان الانسان لا يعلم الكهرباء الا في الكهرمان عند حكه وفركه ، فلما ان بحث عنه ألفاه مخزوناً في كل معدن وهواء وماء ، وهو يرى في قلبه رحمة على عدوه اذا اصابه ضر كما كان يؤانس آثار الكهرباء في الكهرمان عند فركه ، وقد اكتشف ان الكهرباء عامة في سائر انواع المادة ، فما باله لا يكشف الستار عن هذه المحبة والعطف العام الذي هو به أولى ، بل هو الانسانية الحقة ، بل هو النور الالهي ، والشمس المضيئة

يا ليت شعري من لي بمن اتلقى هذه الدروس العالية عنـه حتى أبلغها لهذا الانسان ، اين عقولنا ، اين محبتنا ، اين الجمال ، اين الفهم ، اين العشق العام ، اللهم انت المعلم ، فاذا لم تفض علمك على قلوب عبادك في مشارق الأرض ومغاربها فانهم في العذاب خالدون ، هذه

خمس عشرة مذكرة مما كتبته في مذكرتي في الفترة التي مضت في شهر يونيو و بعض يوليو وهنا تم الفصل الحادي عشر

الفصل الثانى عشر

« فى الصعود الى كوكب جديد فوق نبتون »

في هذه الفترة تاقت نفسي لحل هذا المشكل السياسي في النوع الانساني ☆ نظرت في كتب الحكماء والعلماء فلم اجد حلاً يشفيني والأمم يقتل بعضها بعضاً و يلعن بعضها بعضاً ، ورأيت علماء الامم يضرمون نار العداوة والبغضاء الا قليلاً منهم كالعلامة هربت سبنسر الانكليزي ، والفاضل اللورد افبري ، والعلامة مركس الألماني والسيدة المستشرقة المدام لبيديف (جلنار الروسية) وأحزابهم و . . . الامريكي وكنت الألماني ، فأولئك وأمثالهم يحبون نوع الانسان ، ومن عداهم سائرون على هوى الفكر العـام كأهل السياسة الذين لهم قلبان ظاهر و باطن فتاقت نفسي لكشف هذه الغمة ، وتمنيت لو يتاح لي شهود الصديق وهو الوجدان ، حتى كانت ليلة الأحد من شهر يوليو سنة ١٩١٠

فبينما انا نائم في غرفتي اذ أقبلت تلك الروح البهية في نحو الساعة الثانية بعد نصف الليل ، فأيقظني فرأيته ساطع النور عليه ملابس فضية اللون ووجه كالشمس اشراقاً وقـد صار انضر حسناً وأبهج جمالاً ، وأبهى اشراقاً فقال لي قم لأريك هذا العالم البديع ، وأطوف بك

اكناف السماء ، وأريك ما لم يقف عليه كثير من الحكماء ٭ فقمت معه ولم ادر وما أخال اني سوف أدري أأنا في يقظة ام في منام ، فسرنا في الجو لحظات ، اذا نحن على سطح البحر الاحمر تحملنا سفينة ، فنظرت اذاً مركبة في الهواء تقرب منا رويداً رويداً ، حتى اذا كانت منا قاب قوسين طلعنا فوقها وعلت بنا في الجو في لمح البصر وأنا أظنها القمر ، فلما ان امتطيتها وهو آخذ بيدي آنست فيها اشجاراً ، وعليها عصافير تغرد بألحان شجية وهي ذات ألوان بديعة ، وكأن أرضها قد رويت قريباً وهي مبتلة او كأن المطر قد سقتها واقلعت قبل ان تطأها اقدامنا وما رأيت انساناً ، ولا حيواناً الا تلك الطيور ، فقلت في نفسي اذا رجعت الى اهل الارض بشرتهم بأرض مباركة طيبة

ما اسهل وصولهم اليها سأريهم هذه الارض الواسعة الخالية من السكان فيعمروها ويقلوا من تناطحهم كما تتناطح الكباش والأعنز ، وفرحت بهذه الارض الجديدة ، وقلت متى يكثر الناس زرع الاشجار لتغرد عليها الطيور فتغتذي بالدود الآكل لشجرة القطن وغيره

ثم أخذت اسأل صديقي الوجدان وهو احب اليَّ من نفسي فلا صديق سواه ولا معين الا حكمته وعامه ٭ فقلت ، أيها الصديق رعاك الله ، قل لي ، انحن الليلة في القمر ، ان القمر ليس فيه هواء ولا ماء فمن اين نبتت فيه هذه الاشجار فغردت عليها الاطيار ، نعم ان في القمر جبالاً شامخات وأودية واسعات ، ولكنه خال من آيات الحياة وسمات الاحياء ٭ ان القمر له دائرة لا يتعداها ومدار لا يتجاوزه فكيف

تنزل من فلكه الى سفينتنا فركبناه

ان ما شاهدته الليلة لا يرضاه العلم ولا تألفه العلوم الرياضية والفلكية ٭ انا قرأنا العلم والحكمة نحن اهل الارض وعرفنا الكواكب والشمس والقمر ودرسناها حق دراستها ، فلم نجد في القمر أثراً للحياة

ثم رفعت بصري اذا جمال النجوم باهر واضح ورأيت من الانوار والعجائب ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ولقد تجاوزنا مدارات الكواكب السبعة ، وشاهدنا النجوم الثوابت بأحجامها

ما اجهل الانسان ، انا محجوبون عن رؤيتها في هذه الارض ، فاذا صعدنا مسافات بعيدة نشاهد حركاتها العجيبة المدهشة

وقفة لمشاهدة الجمال والعجائب

« بين سيار زحل وسيار أورانوس »

هنالك اوقفت مركبتنا بغتة ، وقال صديقي الوجدان ، سل ما بدا لك الآن ، وانظر عجائب الزمان ، انا في جو عجيب بين انوار تتلألأ وجمال و بهاء ٭ ارى زحل بحلقاته الثلاثة المحيطات به ، أرى المريخ وهو محمر اللون يبهر الناظرين ٭ لقد غشاني ما غشى من آيات الجمال والبهاء والنور البديع الساطع ، وأنا احس بجمال في روحي و بهاء في قلبي حتى خيل لي مشاكلة ارواحنا في جمالها لما يحيط بنا في ذلك العالم الجميل من المحاسن والانوار ٭ ثم أخذت أعيد الاسئلة على رفيقي ،

فقلت له أنحن في القمر، وكيف تعدى دائرته، وكيف ينبت فيه الشجر، ويغرد الطير

نحن الآن في عالم الأثير ولا هواء في جونا ولا ماء، فكيف احيى بلا هواء، ان الهواء لينقطع على بعد أقل من ثمانين كيلومتراً من ارضنا، ومتى جاوزناه متنا، فكيف حيت الآن في هذا المكان، وأنا ما بين زحل واورانوس، قلت ذلك وهو يتبسم وينظر نظرات المحب الودود المتعجب من السؤال، فقال ما اضيق دائرة علمكم يا بني آدم، أما علمت ان لكل مقام مقالاً، ألم يقل شاعركم البس لكل حالة لبوسها قلت نعم، قال انكم يا معشر بني آدم تقيسون العوالم بمقاييسكم الناقصة، ان ارضكم صغيرة منبوذة لا وزن لها بالاضافة الى ما لا يحصى من العوالم السماوية، وقد خلقتم وصورتم من نسيمها وهوائها ومائها وعناصرها التي لم تعلموا منها الا ما يقارب الثمانين ✲ وهل تحققتم انهُ لن يخلق خلق الا على شرائطكم الأرضية، وعناصركم الكونية، فلا تتعجب من حال صرت اليها، ولا تقسها بحال كنت فيها

ان لكم يا معاشر الانسان أحوالاً تصيرون اليها، وستعلمون ان الحياة ليست خاصة باوضاعكم الأرضية، ولا محصورة في احوالكم الحيوانية، فأنت الآن بين الاجسام والارواح تسيح في السماء العلا مع السائحين، وتنظر مع الناظرين، فأما المركبة التي أنت عليها فليست قمراً ولا شمساً ولا سيارات ولا ثوابت، وانما هي مراكب تعرج عليها الارواح الى عالم الجمال والبهاء ✲ ثم قال انظر ما حولك من الجمال قبل

مغادرة هذا المكان ، فأنست ارضنا تجري جرياً حثيثاً وهي تتلألأ جمالاً وحسناً لما يسطع من نور الشمس وبهائها عليها وحجمها عظيم كبير

الارض تجري مسرعة في الفضاء كأنهـا قلة المدفع ، ان قلة المدفع تجري عشرة اميال في الدقيقة ، والأرض تجري قدرها مائة مرة حول الشمس لتتم حركتها السنوية ، وتجري حول نفسها قدر القلة مرة ونصفاً ، وهي مع الشمس والسيارات يجرين حول كوكب مجهول بسرعة القلة ثلاثين مرة

لعمرك لقد هالني ذلك المنظر منظر حركات الأرض الثلاث تدور حول نفسها كهيئة النحلة في لعبة الاطفال ، وهي بنفسها وهيئتها مندفعة تجري حول الشمس اسرع من القلة مائة مرة ، حركة عظيمة ، وهذا المجموع الشمسي مسخر مسكين كأنهُ ارض تجري حول كوكب مجهول ، يجري قدر القلة ثلاثين مرة * ادهشتني الانوار ، وغشت على عقلي عجائب الحركات * نظرت اسفل اذا زحل يحيط به حلقاته الساطعة الجميلة ، وهو يجري حول الشمس كأرضنـا وسنته (٢٩) سنة * والمريخ وهو كبير الحجم ، عظيم الجرم ، اكبر من ارضنا (١٢٠٠) مرة * ولقد تعجبت من الاقمار الساطعة ، البديعة البهية الدائرة حول المريخ * فهناك قمران جميلان طالعان * وعجيب أمرهمـا ، وبهي نورهما * ولما رأيت اقمار المشتري الاربعة زاد تعجبي * وما كنت اظن أن في العالم اقماراً غير قمرنا * ولو جاز ذلك لكان قمر واحد

فاما ان اطلعت على اقمار زحل ألفيتها ثمانية ، فزاد تعجبي *

فلما ان نظرت اورانواس واقماره الاربعة شاهدت ما لم يخطر على بالي ، رأيت اقماره تدور على شكل عجيب ، تدور من الجنوب الى الشمال ، فقمرنا الارضي يسير حول الأرض في الاتجاه الذي فيه حركتها من المغرب الى المشرق ، فأما اقمار اورانوس فانها تدور على زاوية قائمة ، فاذا جرى في حركته من الغرب الى الشرق دارت اقماره من الجنوب الى الشمال ، حينئذٍ أيقنت أن العوالم السماوية منوعـة السير ، كما تنوعت اشكال الأجسام الحية على سطح الأرض

العدل والنظام

والامر الجوهري النظام والعدل ، لم أرَ كوكباً حاد عن خطتهِ ولا شمساً غادرت فلكها ، ولم تختل حركة الارض اليومية ولا السنوية ولا حركة المجموعة الشمسية

المشتري يجري حول الشمس مرة كل ١٢ سنة * وزحل يجري مرة كل ٢٩ سنة ، والزهرة تتم دورتها في ٢٣ يوماً والأقمار كلها دائرة دوراً منظماً

وهنالك قلت ، يا الله ، ان نظامك جميل ، انك لعدل ، ما اجمل الكواكب ، ما أبهى النجوم ، وما أبدع حركاتها ، لا خطأ فيها ، مع شدة سرعتها ، ان هذا لعدل ، ان هذا لهو الميزان ، فلماذا رأيت دول الارض ظالمين ، أرواحنا تحب هذا الجمال ، اني له لمن العاشقين ، فأين العدل ، أين العدل ، جملت النجوم وجرت بقسط

ونظام وميزان ، وجملت أرواحنا ولكنهـا سارت على غير هدى ، يارب ان ظاهر النجوم يوافق باطنها ، ظاهرها الجمال ، وباطنها الحركات المنظمة ، ونحن في أرضنا كلنا طلق المحيا باسم مرض أخاه ولكن الافئدة مملوءة حقداً ودغلاً وغشاً ، ان الانسان لظلوم كفار ، انه كان ظلوماً جهولاً * اللهم اني لا أرضى هذا الزور والبهتان . اللهم لا حياة ولا سعادة الا بالصدق والفضيلة

ما لي أرى اكابر الامم وسواسهم يقولون الانسانية وهم مجمعون على جشعهم ، وكأنهم جهال بعض أهل التدين يترنمون بما لا يعلمون ، أو يعلمون بما لا يعملون ، هذه بلية الانسان ، افترى عليـه رؤساؤه الدينيون ، وكذب رؤساؤه السياسيون

وهنا قرنت ظاهر الانسانية وباطنها بظاهر النجوم وباطنها فحرت في ذلك وقلت لأسأل صديقي الوجدان ، عسى ان يشفيني بالجواب ، فلما ان طفقت أسأل صديقي ابتدرني قائلاً ، انظر انظر ، اذا سحابات مكورة مزرقة مبيضة تجول في انحاء الجو فأقبلت احداهن الينا ، فامتطيناها ، وقلت باسم الله مجراها ومرساها ، فلما استوينا على ظهرها تأملتها اذا باطنها ناعم أملس لون ماء نهر النيل ، حتى حسبتهُ ماء ثم تبين لي انه منطاد لطيف ومركب جميل مرصع الحافات بالجواهر ، والاحجار الثمينة من الزمرذ والمرجان والدر ، وما لا يبلغ الواصفون صفته * وهناك احجار عجيبة بهجة باهرة للناظرين ، فسارت بنا تخترق الآفاق ، فقال انظر ، اذا نجم نبتون ، وهو يجري بسرعة لا نظير لها حول الشمس ،

ثم أبصرت سيارات كثيرة ونيازك وذوات أذناب لا أحصي عددها ، كلها دائرة حول الشمس

ثم قال ارفع رأسك وانظر ، اذا هناك نجوم تسمى الثوابت لا تجري حول الشمس ، فقال لي رفيقي كم عدد النجوم التي ادركتموها بآلاتكم المقربة (التلسكوب) * قلت انها مائة مليون ، قال انظر ، فنظرت اذا النجمة اليمانية وهي اضوأ من الشمس خمسين مرة وهي ابعد عنا بما يقاس مليون مرة ببعد الشمس ، فالمسافة التي بين أرضنا و بين الشمس المقدرة بنحو ٩٠ مليوناً من الاميال تتضاعف مليونا مرة في بُعد النجمة اليمانية ، فزاد تعجبي ، ورأيت نجماً آخر اضوأ من الشمس ٤٠٠ مرة وآخر أضوأ منها ١٠٠٠ مرة والأعجب من هذا كله نجمة (اكتروس) فهي أضوأ من الشمس ٨٠٠٠ مرة ، وتجري في الثانية ٣٥٥ ميلا ، فحينئذ بهرت وغشي على عقلي و بقيت في سكون تام لا حراك لي مما اعتراني من الدهشة والحيرة ، فأيقظني صديقي الوجدان ، وقال سل ما بدا لك الآن

يريد بذلك ان تزول حيرتي ، وتذهب وحشتي ، ويؤانسني * فقلت أليس النظام واحداً أليس عالم الانسان تابعاً لهذا الجمال البديع * فمن اين جاء له الفساد ، وكيف يقولون ما لا يعلمون ، ويبطنون ما لا يظهرون * هل يعم النظام والجمال هذه العوالم العالية البديعة ، ويذرنا نتخبط ، ويقتل بعضنا بعضاً ، ويطعن بعضنا بعضاً ، ونحن في الحياة معذبون ظالمون جاهلون * اما أنا فلا أعتد في الحياة الا بالجمال والنظام

والصدق ، فأما اذا خالف الظاهر الباطن ، والعمل القول ، فما أسوأ الحياة وما أجهل الكاذبين المنافقين

اين السعادة ، اين الحياة ، ما أحقر أخلاق الامم ، ما أضل سياستهم ما أجهلهم ، يا بني آدم تعالوا معي ، تأملوا هذه الحكمة اعجبوا من القسط والعدل ☆ فأجابني الصديق قائلا ، ان الله عز وجل نظم هذا العالم و بث فيه خلائق وجعلكم أنتم خلائفة في الارض ☆ ولقد علمت مما شاهدت الآن انها ذرة صغيرة من العوالم ، بل ان مائة المليون من النجوم التي شاهدتها الليلة وعرفها علماؤكم انما هي ذرة مما لا يتناهى من العوالم المحيطة بكم ، ولا أحد يحيط علماً بعددها ☆ واني قابلت سكان النجمة اليمانية ، وسكان القطبية التي لا يصل ضوءها لكم الا في خمسين سنة ، فألفيتهم يعلمون من النجوم أضعافكم بملايين الملايين ، وهم يعترفون بأنهم لا يعلمون من العوالم الا ذرة صغيرة ، ويقولون وما أوتينا من العلم الا قليلا

فأرضكم على هذا القياس كرة حقيرة جداً ليست شيئاً مذكوراً ، وقد جعلتم خلفاء الله على ما عليها من الحيوان ، لانكم أنتم الأعلون الراشدون ☆ وما منعكم ان تكونوا صادقين الا انكم الى اليوم لم تكتشفوا عقولكم ، ولا تزالون على اخلاق الحيوان

ان الله وضع نظاماً لكم جميلاً يضارع نظام السموات ، يشاكل القسط والعدل في هذه العوالم لا خلل ولا فساد ☆ ولكنكم لا تزالون صبياناً واطفالاً واني اخاف اذا شرحت حالكم يشغلك عن النظر في

جمال هذا العالم ، واني سائر بك الى كوكب من الكواكب السائرة حول الشمس كأرضكم لم يعلمهُ علماؤكم ، ولم يكتشفه علماء فلككم ، لترى نظامهم وحكوماتهم ، وسياساتهم ، وتسمع دروسهم ، وتلقيها على اخوانك الشرقيين والغربيين

اعلم ان أهــل الكواكب الأخرى ينظرون الى نظامكم نظر الاعتبار * ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ، اذ انقذنا من الجهل الذي وقع فيه هؤلاء الغافلون ، وتراهم يعلمون صبيانهم في مدارسهم العدل بمشاهدة وقائعكم الحربيــة المصورة في مدارسهم ، ويمثلون أحوالكم واخلاقكم امامهم ليعلموا ما هم عليه من النعم والحبور ، والسعادة والهناء ، وينهجون نهج العدل كالنظام السماوي

فقلت له انا نحن أفضل العالمين ، فقال نعم لكن بفطرتكم وعقولكم التي سيزول عنها الغشاء ، ويزاح الغطاء ، وتكونون أحسن حالاً وانعم بالاً ، كل ذلك ونحن نخترق العوالم ونشاهد بدائع الجمال ، ومحاسن النجوم ، حتى أقبلنا على كوكب بهيج جميل فألقينا به عصى التسيار ، ووقف السحاب على سطحه واستقر

اربعة آلاف امة صادقة السياسة

« فوق سيار جديد واسئلة سياسية عجيبة ورأى اجتماعى جديد »

هنالك نزلنا فوق سطح ذلك السيار الجديد الذي فلكه فوق فلك نبتون ، وقــد قال لي صاحبي ان علماءكم لم يكتشفوه الآن ،

فنظرت اذا ارضهُ كأنها فضة نقية محلاة باشجار باهرة بيض ، واخرى خضر وزرق مختلف ألوانها ، وصفر وحمر باهرة * وهناك من الازهار والاشجار ما يبهر الالباب ، ولم أرَ شجرة تشبه اشجارنا ، ولا ثمرة تضارع اثمارنا ، وكل شجر فيها عطر اريج عجيب بهي * والانهار تجري بما يشبه الماء وكأن حصباءها الدر والياقوت والمرجان ، وكأنما جمالها جبال

وقد كنت اظن ألاَّ أحد من العقلاء هناك * اذا صديقي يقول هل لك أن تشاهد (نادي الامم) ، فادهشني هذا القول فقلت وهل هنا امم ، فقال نعم ان على هذا السيار اربعة آلاف امة ، كل امة تبلغ مقدار الأمم التي على سطح ارضكم ، فقلت بخ بخ وكيف يكون لهم مجلس واحد ، فقال نعم انهم عقلاء راشدون ، فلا تتعجب ، وسترى ، فسرنا وقد هبت الرياح ، وتغنت الاشجار ، وغردت الاطيار ، فكنت في حال اشبه بالسكر لما رأيت وسمعت هناك في اصوات الاطيار من المغاني ما لا اذن سمعت ، بل ان حفيف الاشجار له نغمات لا يعادلها على وجه الأرض رنات المثاني

واذن تذكرت اخواني الآدميين * أنى لهم أن يسمعوا و ينظروا ويفرحوا ويروا من آيات الله الخافية في نفوسهم ، فأخذ بيدي وسرنا حتى انتهينا الى قصر عظيم يبلغ اتساعه مقدار مساحة المانيا ، اذا رجال عظام الجثث جالسون على كراسي من الذهب والفضة والزمرذ والياقوت والمرجان والجواهر والبلاتين والماس وغيرها مما لا اعلمهُ في الأرض

من كل جميل الصنع بديع الاتقان ، والقصر مبني بأجر الجواهر والماس ، وقد رصع بالياقوت والمرجان وهو مزين بالبساتين البهجة البديعة الشائقة العطرة الحالية بالثمر * وهذه الجواهر الموصوفة ليس منها ما يشبه ما عندنا وانما دعوتها بهذه الاسماء لضيق نطاق اللغة أن تحيط بما هنالك * وانما راعيت الاشكال والامثال وقرب الدال من المدلول ، فلما ان دنوت من النادي رأيت قامتي لا تصل ركبة أحدهم ، فأعظمت أمرهم ، وانزويت في ركن ، وخجلت من ضعفي وأنا اشاهدهم

ولقد عجبت كيف يحيط مرأى بصري بجمعهم المحتشد ، وهم على كراسيهم جالسون ، مع انهم مئات الالوف ، وكيف يسمعون صوت الخطيب جميعاً ، فأيقنت ان هواءهم وضياءهم على غير نظامنا مخالفان لما في جونا ، فلما رأوني نظروا اليَّ متعجبين ، ورنوا بلحظاتهم لي رامقين ، وكأنهم لم يروا في ارضهم حياً على شاكلتي ، ولا مخلوقاً مثلي في صغر الجثة والاوصاف ، فلذلك هم متعجبون فأخذوا يكلمون صديقي وأخذ يترجم ، فقالوا من أي الكواكب انت ، فقلت من الأرض ، فقالوا اي حيوان أنت ، فقلت الانسان ، فقالوا صف لنا أحوالكم الاجتماعية * فقلت انا امم منا المتوحشون ومنا المتمدينون الاعلون ، فقالوا صفهم * فقلت المتوحشون قوم ليسوا في رغد العيش ولا يحسنون الصنائع ولا الزراعة ولا التجارة ولا السياسة ، بل هم في ذلك قليلو البضاعة ، وليس عندهم قطار البخار والحديد ولا الكهرباء ولا يحسنون من السياسة الا قليلاً

فقالوا صف لنـا المتمدينين ، فقلت هم الذين نظموا مدنهم ، واقاموا العدل بينهم ، وترقت صنائعهم وأحوالهم ، واصبحت بلادهم كجسم انسان واحد فيه شرايين السكك الحديدية واعصاب الرسائل البريدية ، وعمدوا التعليم ، ونظموا المدارس ، واحكموا فن السياسة ، اذ تقوم طائفة منهم بنشر لغتها وتجارتها ونفوذها ، ويقولون ننصر الانسانية ، ونقوم بحق البشر ونعدل في الرعية ، ثم يسطون على الامم الجاهلة فيمنعونها أن تنشر نور العلم بين ربوعها ، فيتخذون طريقين متناقضين ، وسبيلين مختلفين ، يقولون نحن نريد نفعكم ، ولكنهم يخفون ما في انفسهم ، اذ يريدون أن يتخذوهم مسخرين مذللين لهم ، كما يذللون الانعام ، وقليل من الامم من صدقت نيته ، ووضحت حجته ، وبانت طريقته

اذ ذاك رأيتهم جميعـاً مبهوتين ، وظهرت على وجوههم سيماء الانكار ، ثم قالوا أفليس لأولئك المقهورين قلوب يعقلون بها ، او آذان يسمعون بها ، أو عيون يبصرون بها ، كأولئك الغالبين الكاذبين الحيوانيين * قلت نعم ، ولكنهم يسطون عليهم بالسلاح والحديد والبارود والمدافع فيميتونهم * فقالوا أرنا اظافرك فأريتهموها * فقالوا يا هذا * ان عقلك منع ظفرك ان يطول * فما فهمت قولهم ، ولا عرفت رمزهم * فقالوا أتعرف السبـاع والنمور والضباع والآساد ، قلت نعم * قلوا هذه لها مخالب واظفار وانياب تنشبها في فريستها وتنفذها في قنيصتها قلت نعم * قالوا فأما أنتم فقد قصرت

اظافركم ، وطالت عقولكم * فقلت نعم ، وبهذه العقول صنعنا الاسلحة ، وصرنا أشد بأساً من الحيوان ، واقوى فتكاً من السباع * فاذا كان لها ظفر طبيعي ، فان لنا اظفاراً صناعية أقوى منهُ اضعافاً مضاعفة

فعند ذلك تبسموا ضاحكين ، وسخروا مني هازئين ، وقالوا يا هذا أنت تقول انك انسان ، قلت نعم ، قالوا فكيف انقلبت أسداً * الا انك أشد منهُ فتكاً واظلم منهُ نفساً ، فهل الانسانية هي الاسدية

انا نظن انكم ما قرأتم الحكمة ولا الفلسفة ، ولا تعلمون ان المراتب ثلاث ، الشهوة البهيمية وقد غلبت في اكلات الحشائش والطيور التي لا تأكل اللحوم ، والقوة الغضبية وقد وضحت في الآساد والسباع ، والقوة العقلية ، وقد ظهرت في أعلى الحيوان وهو الانسان * وانت تزعم انك منهم ، ولكنك وصفتهم اسوأ وصف ، انما انتم اكبر الاساد ، ولستم من نوع الانسان

فقلت ولمَ خلق لنا العقل ، فاستهزأوا بالقول ، وقالوا اسكت ايها الأسد ، فقلت أنا لست من الامم الظالمة ، فقالوا ألست من الانسان بزعمك ، قلت نعم ، قالوا وما جاز على أحد المثلين جاز على الآخر ، فكلكم اساد ، وانتم في الشره والطمع انداد * ثم اعرضوا عني واستكبروا ، وولوا وادبروا ، ولووا عني كشحاً ، واخذوا يتشاورون ، وأنا من الخزي في عذاب أليم * فشاهدت من آيات العدل وحسن النظام ، والصدق في القول ما لا يحلم بهِ أهل الارض ، ولكني كنت واجماً كئيباً لما اخجلوني * ولقد فطن لذلك صديقي الوجدان ، فلما

كانوا في فترتهم أخذ يخاطبهم ، قائلاً ✩ لا تسفهوا رأي هذا الأنسي ✩ واتعلموا ان لديهم شرائع وسنناً ، واحكاماً وحكماء ، وعلماء وانبياء هدوهم الى الصدق ، وارشدوهم الى الحق ، فانبرى اليَّ أحدهم سائلاً ✩ ما فعلتهُ فلاسفتكم ✩ وما الذي بهِ يأمر انبياؤكم ✩ فما أتم كلمتهُ حتى استيقظت ، ووعيت ما دار من الحديث فكتبتهُ في مذكرتي

كان ذلك ولا علم لأحد من الناس بما وعاه قلبي ، اعاشر الاخوان ، واما زح الاصدقاء ، واسايرهم ، واكتم ما يهجس بخاطري من هذه المعاني ، ثم اخلو بنفسي في اليقظة سائلاً كيف السبيل الى السلام العام ، وماذا يساعد عليه ✩ لله اولئك الذين يقابلونني ليلاً يقصون عليَّ حديث مدنياتهم الزاهرة ، ويقولون اننا نطيق أن نفعل كما فعلوا فهل من سبيل الى ذلك

الفصل الثالث عشر

« فى المذكرات »

المذكرة الأولى

بينما أنا سائر يوماً بساحة عابدين بالقاهرة اذ لمحت شجرة نخل ذكر ، فأخذت اجيل النظر في أحوال الذكران والنسوان ، وتأملت تلك القضية في النبات والحيوان ✩ وقلت ان الناس فيما مضى لم يميزوا بين الذكر والانثى الا في الحيوان والانسان ، ولم يدركوا التفرقة بين

الصنفين الا في النخل خاصة ، ولقد اصبحوا اليوم يعلمون الذكران والاناث في سائر انواع النبات ، فما من نبات الا وقد جمع ما بين الذكور والاناث تارة في نبات واحد كالذرة والقمح ، وتارة في مكانين ، كالنخل وهذا أمر مشهور معلوم

أولا ينبغي أن تكون هذه نفسها حل مشكلة العالم الانساني في اجتماعه ☆ ومبدأ نظامهِ في حياتهِ ☆ ان تعداد الذكران من النوع يضارع تعداد الاناث في كل صقع وأقليم ودولة في الماضي والحال والاستقبال ☆ أليس هذا عجيباً ، يا الله علمني ، فهمني أنا حائر ، أريد الاصلاح العام في النوع الانساني ، لعل مسألة الذكور والاناث مبدأ حلها ، يا الله انت نظمت الكواكب التي شاهدتها بالبرهان الحسابي الفلكي الجبري اولاً ، و بالحسّ والعيان كرة أخرى ، أو لست انت المنظم لنا ، فلماذا يسود النظام هناك ولا يسود هنا ، الحكمة واحدة والنظام شامل ، ثم بدا لي ان هذه تحل المشكلة الانسانية الاجتماعية بما يأتي

ان تعداد الذكران والنسوان وتساويهما مبدأ النظام الاجتماعي ، فما شاهدنا أمة من الأمم اقترض رجالها نساء أمة أخرى لفقدهم ولادة الاناث ☆ فهذا دليل على ان الحكمة السارية في العالم دخلت في دور السياسة والاجتماع ونظام المدن ☆ الأمم يعوزها الزراعة والتجارة والامارة والجند والفلاسفة والموسيقيون ☆ أفلم يخلق في كل أمة وقرية وقبيلة اناس هم أصلح لتلك الاعمال ☆ وان من شيء الا له مقدار معلوم ، وعدد محتوم وسبيل مرسوم ☆ فترى أولي الالباب

يقلون ويكثر الصالحون للصناعات اليدوية ، ثم تأملت الى الذين حسنت أصواتهم اذا هم نادرون ، وكذلك الذين هم في جمالهم بارعون

اذ كر اني شاهدت شاباً حسن الهيئة جميل البزة ، فتوسمت فيهِ عشق الفنون الجميلة والموسيقى ، فطرة في وجههِ توسمتها ، ومنحة في سيماه ادركتها ☆ فسألتهُ عن ذلك اذا هو بالموسيقى مشغول ، وبالفنون الجميلة مغرم ، ذو صوت جميل ☆ ولعمرك ما كل الناس حسنت اصواتهم كهذا الشاب ، ما أقل ذا الصوت الجميل ☆ هكذا الاذكياء ، لان الامم لا يعوزها الا قليل من الاذكياء لتدبير شأنها ، وتقويم أودها وتنظيم سياستها

يختلف الناس في أصواتهم وألوانهم وميلهم ويقل فيهم الاذكياء ☆ ان للاختلاف لحكمة ☆ لمَ لا تكون آراؤهم وعقولهم مصنوعة موضوعة بمقدار ما يحتاجون له من أعمال الحياة بحيث لو ربوا في معاهد تنمي عقولهم لاختار كل منهم ما هو اكثر استعداداً له ، ولانتظمت أمور الدول والممالك ☆ ولمَ لا يكون أمر ميل العقل بنظام ثابت على مقدار الحاجة ، كما كان ذلك في الذكور والاناث

أليس من العجب ان ينتظم أمر الذكران والنسوان في العالم كله بلا غلط ولا نسيان ، افلا يكون هكذا جميع شؤون الحياة والاجتماع والسياسة ☆ ان في الناس القوي والضعيف والذكي والبليد ، هلا اكتشف العلماء ذلك ، هلا نقبوا عنهُ ، يا معشر بني آدم ، يا معشر الناس ، يا أمم الشرق ، يا أمم الغرب ، لو ان رجلاً جاءكم من

قبل ثلاثمائة سنة وقال لكم ، ان في كل نبات ذكراً وأنثى لحكمتم عليهِ بالجهل والهذيان والوسواس ☆ فلما ان علم ذلك الناموس اصبح بديهياً مسلماً ، ان ذلك الناموس كان واضحاً في النخل ، ولكن النـاس ينكرون ما وراء علمهم ، ويكذبون بما لم يحيطوا بعلمه وييئسون ولا يصدقون الا بعد ان يحاربوا أولي الألباب

افلا يكون تساوي الذكور والأناث في نوع الانسان مبدأ للنظام الاجتماعي ☆ فاذا مهدنا السبيل وبحثنا جهد طاقتنا علمنا ذلك علم اليقين ☆ الا وانهربرت الالماني ينكرها ، الا وانالعقل ينصرها ☆ الا وانهُ قد تخبط ولم يتثبت فيما ادعاه وحالت دونه العقبـات ☆ ادرك الناس الذكران والاناث في سائر النبات بعد وضوحهما في النخلات ☆ أفلا يكون وضوح تساوي الذكران والنسوان داعياً حثيثاً الى البحث عن القوة الكامنة في النفوس لاصلاح الاجتماع ، والانسان يفهم طبع ما حوله وهو عن طبعهِ من الغافلين ، الانسان حوى جواهر السعادة ، وعناصر الرقي في جواهر دماغه ، فهل يليق ان يهنأ الوجود بالنظـام ويخلو منهُ الانسان ☆ اني جربت التلاميذ وخبرت الطلاب ، فرأيتهم في استعدادهم مختلفين ☆ وكثيراً ما كنت استدل بالملامح على الاستعداد والقوة والضعف فيالعقول ، فليجد العلماء في بحثهم والتحري عنه فهذه أهم المسائل واقرب الوسائل لسعادة الانسان

المذكرة الثانية

ورد في احدى الجرائد ان امرأة اوقدت التنور فشبت النار فيما حولها فالتهمت قريتها بأكملها ٭ ان جهل امرأة اودى بحياة قرية ، واختلال نظام بيت خسارة على بيوت الباقين ٭ يا ايها الناس اعقلوا ، واعلموا انه ما دامت امة على سطح الكرة جاهلة او مظلومة فان شررها يستطير منها الى ما عداها ، ولا يسعد الانسان على سطح الارض اليوم الا متضامناً متحداً

لقد اخبرت بذلك صديقاً يحادثني وسميراً يؤانسني ، فتبسم ضاحكاً ، وقال يا سبحان الله ما اغرب رأيك ، وما اعجب قولك ، وهل قال بذلك احد من العالمين ، قال ذلك وهو يدخن فقلت له أشرب الدخان ضار أم نافع ، فقال بل ضار ، فقلت فلِمَ تشربه ، فقال حكمت العادة ، وغلب الطبع ، وقضي عليَّ قضاء مبرماً بالتدخين ، فأين المفر من قضائه ، واين المهرب من ايذائه ٭ فقلت اتدري لِمَ وقعت في هذه البلية ، وشغلتك هذه القضية ٭ ذلك ان في نوع الانسان أمماً جاهلة قلدتها امم في رذائلها ، واتبعتها في سخافتها ٭ فقال كيف ذلك ، فقلت ان الاسبان اذ فتحوا امريكا الفوهم يدخنون ، فألحوا في منعهم ولجوا في التدخين واسروا النجوى بالذنوب فقلدهم احقر الطبقات من الاسبان فتشبه بهم الاغنياء والاعيان ، واتبع سبيلهم الامراء والملوك فطغى سيل العادة الجارف على أوروبا والشرق ،

واستطار شرر الدخان ، وطغى وعم نوع الانسان ، فأصبحت بهِ من المغلوبين

كل ذلك لان امة جاهلة اعدت العالم ، وشرذمة ضعيفة ساقت الأقوين الاكثرين ، واصبحت عادة محكمة في سائر الامم والممالك فما اجهل الناس ، اذا قصرت كل أمة همها على نفسها ، ولم تهتم بغيرها من العالمين

وبمثل ما ذكرنا عن الدخان يجدران يقاس الشاي وقهوة البن ، فما اشد فتكهن بالانسان ، وما اغراهن بضرر الانسان ، فعدوى التقليد في الجميع سريعة وقوى الانسان للجهل سامعة مطيعة ٭ الا فليتذكر أولو الألباب

المذكرة الثالثة

« غلبة الامم لغيرها »

كثر غلب الامم لغيرها ، فترسل القوية عساكرها لحراسة الضعيفة بعد غلبتها ٭ والله لقد اخذني العجب كل مأخذ ، فيا اخواني يا بني الانسان ٭ اما لكم عقول بها تفهمون ، او آذان بها تسمعون ، مالكم تجهلون الطبيعة ٭ كيف تنتزعون قرن الكبش وتضعون مكانه قرن الثور ٭ هل رأيتم ذلك في الطبيعة

مالكم اصبحتم تجهلون علم الحقائق ، وتحكمون على هذه القضايا المشؤومة ٭ أيها الناس انتم تسنون سنة لابنائكم ليكونوا عالة على الامم

الحكومة ☆ ذلكم أول خراب دولكم ، ودمار اممكم ، واكثركم في بلادهم مؤدبون ، فاذا حلوا بساحة البلاد المقهورة طاش سهمهم وغلت مراجلهم و بطشوا بالضعفاء بطش الجبارين ، ثم يتأصل ذلك في نفوسهم و يتولد عنهُ اخلاق وعادات ترجع الى بلادكم بالدمار والخسارة

فاذا احرقت نار المرأة الغافلة قرية بأكملها وسرت عادة التدخين من متوحشي امريكا الى العالم المتمدين ، ولم يصدها حصون الدين ، ولا تهديد السياسة ، ولا وعيد العقوبات في الدنيا بالعذاب ، ولا في الآخرة بعذاب يوم الدين ، فهلا قستم على ذلك أحوال ابنائكم المرسلين للامم الاجنبية ، اذ يسومونهم سوء العذاب جيلاً بعد جيل ، وقرناً بعد قرن ، فيتكون فيهم خلقان توأمان وخلتان متعانقتان ، وهما سوء ملكة الظلم والاتكال على الناس في جلب الميرة والطعام

ألا ان الانسان مسكين قصير النظر اليوم ، وسوف يطول نظره اذا ساعده علماؤه وعلمه حكماؤه الصادقون

الا أن روحي يؤلمها آلام نوع الانسان ، ويحزنها ما حل به من الرجس والبهتان ، وظلم الظالمين ، وجهل الجاهلين ☆ فهلا احسستم بمثل ما نحسُّ ، وهلا ساءكم ما ساءنا ☆ الا ساء مثلاً الجاهلون

يا ايها الناس انكم ارتكبتم خطأين ، وصنعتم ذنبين ، منابذة الطبيعة وجهلها ☆ واحداث ملكات السوء في عقول العالمين ☆ كيف تجترئون على سنة تمقتها العوالم الطبيعية ، وكيف تأذنون لأنفسكم العلية ان تقول لامة لا تتعلمي ولا تتفكري ☆ ولا يكن منك جيوش ولا قواد

ألا ان للغنم والمعز لقروناً وللزنابير والنحل لحمى ٭ فهل رأيتم طائفة من الزنابير اقتطعت حمى طائفة أخرى وقالت لها نحن اولى بحراستك واقرب للعمل لسعادتك وادرى منك بالتفكير لك ٭ كذب محض وجهل فاضح يمقتهُ العالمون ٭ عار واي عار ، عار عظيم ٭ اين العقول ، أين الاحلام ، أين النفوس المتمدينة ٭ العقل الصدق ، النظام النظام

أفلا يخجل الانسان ، أين العلوم ٭ أين الحكم ٭ ما تقولون يا معاشر الفلاسفة ما حكمكم ، ما رأيكم ، خطب جسيم وجهل كبير وطامة كبرى ٭ ألا ساء مثلا الجاهلون الظالمون ، ما اجهل الانسان ، ما اكثر فخره ، واقل علمه ، واشد ظلمه فلينظر لنفسه ، الا بعداً للقوم الظالمين

المذكرة الرابعة

« الحمام لا يتعصب للون »

استيقظت مبكراً فشاهدت الحمام يحلق في الجو غادياً رائحاً ، يطير تارة على محيط دائرة ، وطوراً على خط مستقيم ، ولا اشبه حركاته وجولاته الا بالجولات العسكرية التي لا يحسنها الجندي الا بعد ان يقطع شوطاً بعيداً ، وامداً مديداً من حياته في المدارس الحربية ، والتعاليم الجندية ، وآنست الحمامات السود والحمر مزدوجات ، وهنَّ في اللعب متحدات ، فلا أثر للتعصب اللوني عند الحمامات ، وقد احتدم وطيس العصبية بين السود والبيض في البلاد الامريكية

فما اجمل الانسان يتعصب للالوان، وما اضله عن نفسه، وابعده عن ادراك حقيقة جنسه

المذكرة الخامسة

« الفلك والمراصد والعدل »

ان رجال الفلك في المراصد يرصدون الكواكب كوكباً كوكباً وهي تمر بين الشعرتين المتقاطعتين في آلة الرصد، فهم بذلك يعدلون ساعاتهم * ان لهم لساعات منظمة (كرونومتر)، ولكنها ليست في درجة نظام سير الكواكب * فتارة تتأخر وتارة تتقدم، ولكن للكواكب مواعيد معلومة، واوقات مدونة، فاذا مرت بمراصدهم دونوا أوقات مرورها، ثم علموا ما بساعاتهم من التأخير والتقديم

لمَ ذلك، ليضبطوا مواعيد الاعمال الانسانية وسير القطار، وسفن البحار، واعمال البخار، بحيث لا يخطئون في دقيقة ولا ثانية، وامامهم في ذلك سير الكواكب المنظم

أليس عجيباً ذلك، أليس من المدهش ان سير الكواكب لا خلل فيه مقدار ثانية، ولا اقل منها، ثم جعلنا نظام اعمالنا مرتباً عليها بحيث لو اختلت أوقاتنا كان الخلل في اعمالنا، افلا ينظم اهل السياسة اعمالهم على وفاق نظام العالم، نظام النواميس الطبيعية، نظام العقول الانسانية * الا ان أرقى الناموس في الانسانية ان يستخرج القوى الكامنة في عقول جميع نوع الانسان * وكما ان نظام المسير في الارض

تابع لنظام الكواكب المرصودة فهكذا فليكن نظام العدل مقيساً بنظام صفوة العقول ، فلا ظلم ولا جشع

ولقد قلت ذلك لاحد اصحابي فقال لي عجبت لك ، وفي اي زمن ارتقى سائر العالم ، وهل في النـاس استعداد لاصلاح شؤونهم بحيث لا يظلمون ولا يظلمون فقلت ان عقل الانسان ليسع النقص والكمال كما تسعهما المادة * ان كثيراً من قواه العقلية والجسمية تذهب سدًى ، وهكذا سائر النباتات والحيوان قد تخلق وتذهب بلا فائدة ظاهرة

ان الانسان غافل عن اكثر المنافع في نفسه والآفاق ، وها هو يستخرج منافع العالم ، دائماً بالاكتشافات ، وقد آن الاوان ان يستخرج مواهبه العقلية فيعيش بسلام

المذكرة السادسة

« الشرق والغرب »

الانسان مسكين كئيب لا يرى الا ما أمامه ولا يعرف العواقب وها هم أهل الشرق الاقصى ظهروا وبهروا ، وها هم اهل الغرب راقون ، ولكن بعضهم يسيء الامم القاطنة بينهما ، ويزرعون في عقولهم مزارع العداوة والبغضاء ، ويا ويحهم ، لقد جهلوا ان سنة الترقي ستشملهم ، وان يصدها صاد

أو لا يعلمون ان ابناءهم سيرثون الغل والحقد على ابنائهم الظالمين،

و يكونون عوناً على من آذى آباءهم ☆ الا انهم هم الحصن المنيع بين الشرق والغرب ، فليس يسكنهُ الا من شاد بناءه ، وعلم ابناءه و باعد ظلمه ، وحبب اليه القلوب ☆ فسيتلاقى الغربي مع الشرقي ☆ والقول الفصل سيكون للامم الاسيوية في الشرق الادنى ، فانها ستكون مع المحسنين وستسيء للمسيئين ☆ واغلب السواس لا يعلم الا ظاهراً من العلم وهم عن الحقائق معرضون

المذكرة السابعة

«الاخلاق فى الامم»

لا يجدي نظام كليات العالم ولا مدارسه ما دام السواس يقولون ما لا يفعلون ، و يطلعون على ذلك شبانهم و يقال لهم على سبيل الفخر والاعجاب هذه سياسة فتنقلب الحسنات سيئات ، و يحور الاخيار اشراراً والفضلاء منافقين ، مخادعين ☆ فاذا أجرم الغاصب والمزور قالا في أنفسهما ، انما نحن سواس كأشرافنا ، فاذا سرقنا متاعاً فقد سرق اشرافنا ، واذا كذبنا فقد كذب اشرافنا ، ونافق وخادع ساداتنا

فالمدارس والكليات تبنى والسواس والقواد يهدمون البنيان ، فيرفعون الرذيلة ، و يشيدونها على انقاض الفضيلة في أرض العصيان

المذكرة الثامنة

«لا يبقى الا الاصلح للوجود»

هذه القاعدة صادقة وقد غلط اكثر علماء الامم في تطبيقها على

الحياة العامة ، وخلطوا نظام العالم البشري بنظام الرقي

ان هناك دائرتين دائرة نظام الغذاء ، ودائرة الارتقاء ☼ فأما الاولى فأنك ترى الدود طعمة العصفور ، والعصفور غذاء الباشق ، والباشق طعام العقاب ، والعقاب طعام الدود ، وسائر هذه العوالم فريسة اصغر الحيوان ، وهو الميكروب ☼ فهذا نظام حق ، له ناموس خاص ☼ فأما الدائرة الثانية ، فان في هـذه العوالم قوة شهوية ، عاشت بها الارانب والغزلان والطيور وسائر الحيوان والنبات ، وفوقها قوة غضبية ظهرت بأجلى المظاهر في الآساد ، وقوة عاقلة كان أتم ظهورها في الانسان ☼ وكل واحدة أرقى مما قبلها واقل مما بعدها ، فنحو الاساد تنال غذاءها من الغزلان ، والانسان ملك الاسد والغزال بقوته العقلية ، وحيلته الفكرية ، ونفسه العلية

فالعقل ارقى ، وهو اصلح للوجود ، وهو لا يزال ناقصاً ☼ فاذا اكمل التعليم والتهذيب زالت عنه المفاسد والغل والحقد والحسد واصبحوا سعداء اجمعين ☼ فاذا بقي الانسان على حياته السبعية ، وقلد الآساد في افتراسها ☼ والثعالب في مكرها ، وعلم القوي الضعيف علوم الجبن ☼ ودروس الذلة فأمات غرائزهم ، واضعف قواهم ، وهو في الوقت نفسه يعلم ابناء امتهِ الاتكال على ما كسبتهُ الامم الاخرى ، بحيث يجعلون كل ما أوتوا من ذكاء ، وما اعطوا من علم موجهاً الى الامم الضعيفة ، ليحصدوا ما زرعوا ، ويأكلوا ما جمعوا ، ويفسدوا ما اصلحوا ، ويجنوا ما غرسوا ☼ انهم بذلك تتأصل فيهم ملكة الظلم ☼ وتستولي

على عقولهم افات الكسل ☆ ويكون لهم ظاهر وباطن ☆ فظاهرهم الصدق والاخلاص والفضيلة ، وباطنهم النفاق والخداع وعدم المروءة

لعمري ان الانسان اذا دام على ذلك اصبح لا يصلح لعمارة هذه الكرة الارضية ، وذاق بعضه بأس بعض ، وخلفه قوم آخرون ، لانه لا يليق لهذا النظام الدقيق العجيب في السموات والارض

أو ليس من العار ان العالم الذي حولنا من الارض والسموات معظمه عالم صادق ونحن ظالمون جاهلون كاذبون

عار عليكم أيها العلماء والفلاسفة ، ايها الملوك والعظماء ، اف لكم ، مالكم اجهلتم انفسكم ، مالكم كيف تحكمون ، أفلا تذكرون ☆ تقول الامة وعلماؤها وسواسها ، ما لنا ولمنافع الأمم الاخرين ، نحن اشرف وافضل منهم ، ولا صلة بيننا وبينهم ، الا بالمادة ☆ تباً لمن لا يعقلون ☆ أما علموا انهُ ما دامت امة واحدة في الارض جاهلة تسرب الجهل والغفلة الى غيرها على مدى الايام ☆ أما علموا انهم اذا ارادوا تقليل السلاح بعد ان ظلموا امة ضعيفة فقويت تلك الامة وصنعت الاسلحة النارية ، ولم يكن بينهم وبينها صلات علمية ولا مودات اخلاقية ، ولا يدرسون معهم دروس الحب العام فانهم اذ ذاك حريون ان يتقلدوا السلاح ويقدموا للكفاح ، فيرجع الناس كما كانوا آساداً وذؤباناً وجهالاً فاسقين

المذكرة التاسعة

« الى اين يا قرطاس »

ازدحمت هذه الاراء بفكري ، وتسابقت الى قلبي ، فرسمتها على القرطاس ، الى اين يا قرطاس ، فاجابني اني سائر الى الناس ☆ الى من يا قرطاس ، فقال الى احبابك ، الى اخوانك ، الى اصدقائك ، الى عشاقك ، الى الذين يعجبون برأيك من أفاضل الامم واخيار الممالك ☆ الى من يا قرطاس ، الى امتي وحدها ام للامم ☆ فقال الامم كلها امتك والعقول الانسانية والارواح البشرية تشاركك في علمك

ان قلبي لهذه الحكم مشوق وهو لامتلاء افئدة اخواني من سائر الامم اشوق ☆ انا ان لم ابرز هذه الكلمات للناس فلا سعادة لي ☆ ولئن اوجدت لسائر الناس فأنا بهم فرح ، اذ هم المشاركون لي في فكري

وكلما كثر المشاركون زاد فرحي ، وبقلتهم يقل ☆ فعلى قدر انتشارها واتساعها تزداد سعادتي ، وكلما رأيت امثالي من الامم ازداد فرحي ☆ أليس سائر علماء الامم يفرحون بأشكالهم واشباههم في سائر الاقطار ، وانظر الى الطائر ☆ هذه الطيور لا تدون افكارها ، ولا تكتب اخبارها ، ولا تعرف تاريخ امم الطيور قبلها ، ولا ترسل بريداً الى ما عاش معها من جنسها على الارض ، ولا الى ابنائها الآتين بعد فنائها ، انها لا يهمها الاَّ حياتها وتربية اولادها الى حين ، وهي مع ذلك تنظم جماعاتها عند الحاجة للنظام كالغربان وكلاب البحر وغيرها ، فيا ويح الانسان

ما الذي جرى لك أيها الانسان ، اعرف اخبار الشرقي والغربي وسعادتي في ان يشاركوني في فكري ، واقيس المستقبل بالماضي ، وان لي مع السالفين واللاحقين والمعاصرين من سائر الامم والممالك علاقة عظيمة ، فكيف يكون نظامنا اسوأ النظامات ، وبيننا العداوت والبغضاء ، نظام الغراب والزنبور والنحل وكلب البحر على مقدار حاجاتها ، أفلا يكون نظامنا على مقدار حاجاتنا

ألا انا لسائر البشر لمحتاجون ٭ ان قلبي وقلوبهم في مستوى واحد وأفق واحد ، بيننا علاقة واتصال ومحبة ومودة واعلمهم ويعلموني ، واحبهم ويحبونني ٭ (قاعدة) وكلما زاد علم الانسان ازداد حبه للناس وكلما قل العلم قل الحب ، ولذلك ترى الحكماء أشد حباً للناس ، والجهال والكذابون والسواس اقل حباً ، واكثر طمعاً وجمعاً للمال ، والرجل الجاهل اقرب للحيوان الأعجم يقل عطفه على النوع الانساني بمقدار جهله بأخوانه من سائر البشر

الامم اليوم أقرب الى الحيوان ، فاذا علمت وربيت ترقت عن الحيوان الى درجة الانسان وصار الناس اخواناً

المذكرة العاشرة

« البلاهة خير من الفطانة البتراء »

قال الغزالي المتوفي في اوائل القرن السادس ، البلاهة خير من البتراء ، يريد ان العامة والبلداء يصدقون بالدين بلا حجة ولا برهان ٭

فاذا تعلموا تعليماً ناقصاً صاروا بين بين ، لا هم عامة مقلدون ، ولا علماء محققون ، فيكون الجاهل راضياً بربه قانعاً بعيشه ، وذلك الناقص العلم يعيش في شك وألم وعذاب أليم

أما نحن فنقول الامم المتمدينة فطانتهم بتراء ، فان اكابرهم وسواسهم وعلماءهم يعلمون الحقائق ويدرسون ، واكثرهم جهال غافلون * فيغلب اهل الشره والطمع وجمع المال وحب الغلب على اولئك السواس ، فيأتمرون بأمرهم ، ويصبحون ذوي وجهين وقلبين ولسانين ، قلب عالم بالحقيقة عاطف على الانسان ، وقلب مطيع لأولئك الغافلين الطامعين الظالمين ، فينقلب العلم جهلاً وتكون الصناعات والعلوم اول معوان على الفتك والأذى ، بحيث لو كانوا أقل علماً لكانوا أقل ضرراً ، وأمنع أذى وأبعد سوء

ففطانة الامم داعية لازدياد شرههم وحرصهم وخضوع الفضلاء منهم للظالمين الطاغين ، وتكون فطانتهم الناقصة من دواعي شرههم واذاهم ومكرهم * ومتى ارتقت الامم وصارت فطانتها كاملة ذهبت الاحقاد والمطامع وعاش الناس سعداء آمنين

المذكرة الحادية عشرة

« التبجح بدعوى المعرفة مفسدة للاخلاق »

قلنا ان فطانة الناس بتراء وهم يدعون اكاذيب كثيرة ويفتخرون بأنهم يعلمون ، ولكن اكثرهم يجهلون * يتبجح الرجل بقوله نحن

علماء ☆ نعلم ان الشمس اكبر من الارض مليون مرة ونحو ثلاثمائة الف مرة ، وهو لم يقرأها الا في كراسة المعلم ، وما يدري أحدهم كيف استخرج هذا الفلكيون ، وعلى اي القواعد الهندسية بنيت وما تشابه المثلثات الذي هو اساس هذه القاعدة ، وما طريقة العمل ، فيكون الرجل مقلداً وهو يظن انه اول العالمين

ان لذلك اثراً سيئاً في الاخلاق والعادات ، بحيث يقف الرجل غير خجل ويقول أخدم الانسانية ، وهو انما يخدم نفسه فيسحر الناس بقوله ، ويصدقونه ☆ وكثيراً ما يلفق الخبر السيء فيصدق النـاس فتغلو الاسعـار ويرفع قوم ويخفض آخرون ذلك لنقص الفطنة في مجموع الناس

المذكرة الثانية عشرة

« نواب الامم »

كثرت الرشا في انتخاب نواب الامم ☆ ولو ان طائفة المديرين المتقاعدين والمأمورين والمحامين والقضاة والاطبـاء والمهندسين والمزارعين وغيرها كل واحدة منها انتخبت عنها واحداً منها او اكثر لقلت الرشا في الانتخابات كما هو الناموس الطبيعي في جسم الانسان ، اذ يوصل كل عضو اخبـاره الى الدماغ بلا حاجة الى آخر فتصل الاعصاب من الاعضاء الى الدماغ من كل عضو اصالة☆ بذلك تسير الامم على نظام أتقن وحكومات أعدل والسلام

المذكرة الثالثة عشرة

« آن أن يعقل الناس المحبة »

الانبياء علموا الناس ان يتحابوا ولم يكن في طاقة الامم ان تفهم بالبرهان ، وقد آن أن يفهم الناس بالحجة ان ضرر أمة او فرد ضار بمجموع الانسان * فليشمر العلماء عن ساعد الجد ، وليعلموا الامم ، وليتعاونوا جميعاً على غرس فضيلة المحبة ببراهين كالتي ذكرناها ، وحجج كالتي سطرناها ، وليعلموا انما الامم للامم حياة ، ولا سعادة لامة الا بسعادة غيرها * وكلما كانت الامم اكثر كانت السعادة لهم اوفر * وكلما قلت اعدادهم نقصت سعادتهم

اذا كانوا في حياة انسانية وجامعة عقلية يبلغون ما يريدون من المادة والمنافع الجسمانية والعلوم العقلية والادبية

المذكرة الرابعة عشرة

« حل ازرارى فأصابنى الزكام »

لاعذر للامم على جهلها ، ولا عذر للعالمة منها ان تبخل بالعلم على غيرها ، لقد فك ازراري وأنا مستقبل الريح بلا قصد مني فأصبت بالزكام * لم يكن ذلك الزكام عن عمد ، انما كان عن نسيان

هكذا الامم الانسانية اذا جهلت الفضيلة وغفلت عن الحكمة والعلوم ساءت حالها ووردت مناهل الشقاء بلا مشيئة منها ، فلا غفران

لذنوب الجهل بالنواميس الطبيعية وقد يغتفر السهو والخطأ في الاعمال الارادية والذنوب الاختيارية

المذكرة الخامسة عشرة

« الحجر والسياسة »

ناولني فتى من الفتيان المتعامين حجراً اسمر اللون يشوبه حمرة آتياً به من جبل الرصاص تتخلله قطع رصاصية معدنية طبيعية ٭ فلما ان شاهدتها بدا لي ان في الحجر حل مشكل هذا العالم الانساني ٭ ان عليه سياسة هذا العالم قديماً وحديثاً وهي اقسام ثلاثة

السياسة الأولى — سياسة العصور الحجرية ، والامم البربرية القديمــة العهد ٭ فلقد كان الحجر حل مشكل المعضلات ، وفاصل الحـكم بين الجماعات ٭ اذا احتدم وطيس الجـدال بين قبيلتين ، او غلا الدم في وجوه اعيان القريتين ، حددوا احجارهم كما تحد سكاكين الحديد ، وتناضلوا بها واستعانوا بالعصي وما شاكلها ، فمن كان أشدرمياً واقوى ضرباً كان له فصل الخطاب واضحى صاحب التاج والصولجان

السياسة الثانية – سياسة الامم الذين بعدهم في الاعصر الحديدية ، وهم الذين عثروا على معادن الحديد فسبكوها ، وتراموا بالنبال وتضاربوا بالسيوف ، فقضى بينهم الحديد ، وهم كآبائهم الأولين ٭ فلما ان عثروا على الرصاص في ثنايا الصخور وتحت طباق الجبال صنعوها كرات

وقذفوا بها اعداءهم ☆ ولعل فرق ما بين الحجريين والرصاصيين ان الاولين حكموا ظاهر هذا الحجر الذي في يدي ، والآخرون انتزعوا رصاصة فكانت أشد فتكاً واسرع مرمى وانفذ حكماً ☆ ان الاولين والآخرين في ضلال مبين ، كلاهما في الضلال يعمهون

السياسة الثالثة — سياسة العلم والحكمة ، سياسة النظام ، سياسة الله في نظامه ، سياسة الانبياء ☆ ولعمرك ما حارب الانبياء الأمم الا ليصلوا للسلام ، ولا ارهقوهم الا ليغمدوا الحسام بالسلام العام ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون

هذا الحجر ذو بريق ولمعان ، اراه حسن الشكل يتلألأ نوراً وبهجة ☆ ان فيه لحل المشكلة الانسانية ، ونظام الجمعية البشرية ☆ ذلك لان المعادن من الذهب والفضة والنحاس والرصاص والقصدير وامثالها وضعت في الأرض والجبال بمقدار

ألا ترى الذهب كيف قل وجوده ، والفضة كيف كانت اضعاف اضعافه ، والى النحاس كيف كان اكثر منهما وأعم ، وكذا الحديد والرصاص ، ان في ذلك لعبرة ، ان في قلة الرصاص ووفرة الذهب لحكمة ☆ ان في ذلك لآيات للعاقلين ، انهُ تذكرة للناس ليعلموا ان العقول الانسانية موزعة على أعمالهم توزيع المعادن على المنافع ☆ فمن عطل عقلاً عن الارتقاء ، أو وضع نفساً في غير موضعها ، كان كمن استعمل الذهب موضع الحديد ، او حبس أحدهما عن الناس ☆ ألا فلتقم كل امة وكل فرد بما خلقوا له والا عاشوا في اسوأ حال و بئس ما يصنعون

المذكرة السادسة عشرة

« ايضاح للتى قبلها »

ركبت القطار فما أسرع ان سار فرأيت الامر فيه واضحاً جلياً ولكن اكثر الناس لا يعلمون · رأيت الحجرات من خشب مصنوعات · رأيت عوارض من حديد منصوبات ، رأيت قضباناً على الارض مسطوحات ، ورأيت الركاب فيه معهم قليل من النقود الذهبية · وكثير من القطع الفضية ، وهم عن الحكمة غافلون

ذلك حل المشكاة الانسانية ونظام الجمعية البشرية ☆ ذلك ان الحاجة للحديد شديدة ، وللخشب اشد ، وللفضة قليلة · وللذهب اقل فكان ترتيبها في الوجود موضوعاً حسب الحاجة الداعية اليها ☆ افلا ينظرون الى الخشب كيف كثر والى الحديد كيف كان بمقدار الحاجة موفراً ولم يكن للذهب من الحاجة الداعية ما للحديد

الحديد جعل عوارض يمسك خشب الحجرات ، والذهب يقضي بين المتبايعين في تنازع القيمة المبهمة في المبيعات ، والفضة في صغريات الحاجات ☆ الذهب سلطان وقاض كلي ، والفضة امير وقاض جزئي ، فكان الاول أقل وجوداً والثاني أوفر واكثر في الكرة الارضية ، وفي الطبقات الصخرية ☆ ولو ان الناس استبدلوا الذهب بالحديد في الماسكات والعوارض في الحجرات القطرية ، او جعلوا الحجرات في القطار من الحديد بدل الخشب لاختلط الامر ووقفت الحركات ،

وعطلت البنوك ، وحطم القطار ، ورجع الناس الى الهمجية ، وارتطموا في الاحوال الوحشية ، فكيف يسير القطار اذا كانت العوارض الماسكة لاجزاء الحجرات من خشب والحجرات من حديد ، أم كيف يتعامل الناس بالحديد ويفصلون قضاياهم بالنحاس ، وقد كثر وجودهما فرخص ثمنهما

تجلى الحق ووضح ألاّ نظام الا بوضع المعادن والاشجار في مواضعها ، وان استبدال أحدهما بالآخر ظلم وسوء ادارة وجهل بالنظام ، ألا ساء مثلاً الجاهلون الظالمون

هكذا تكون العقول البشرية ، انها نظمت تنظيماً جميلاً بحيث نرى ان الاذكياء في سائر الأمم يقلون كما قل الذهب دون سائر المعادن ، ونرى الصالحين للادارة العامة يكثرون كالحديد واكثر الناس قادرون على الاعمال الجسمية والصناعات اليدوية كالخشب في حجرات القطار وفي شبابيك النوافذ وأبواب الدار

وزع الذهب وسائر المعادن على الجبال الارضية ، ولم تخص ارضاً دون ارض وهكذا سائر المعادن غالباً * فهكذا العقول البشرية لم تخص أمة دون أمة ولا طائفة دون طائفة

ان العقول موزعة على النوع الانساني بمقدار توزيع المعادن والاشجار على الاقطار ، فلا حق لأمة ان تدعي ان جنسها أرقى الاجناس ، ولا ان قومها أرقى العالمين . فذلك جهل فاضح وخور وجنون * كذب العالمون ، ما أجهل الانسان ، يا ويحه ما اجهله

بالنظام، ما اضله عن السبيل، جهل فغوى، وكذب وطغى، فعذبه الله العذاب الاوفر. وانزل عليه صواعق غضبه وسلط عليه نار الغضب، فأحرقت افئدة الظالمين وسامتهم سوء العذاب بالعداوات والحرب والنضال لبئس ما يصنعون ☆ وهنا نتائج اربع

الأولى — ان الاشياء وضعت في الدنيا حسب الحاجة اليها كثرة وقلة، كالخشب والحديد والذهب، فكلما اشتدت الحاجة الى شيء كثر وجوده وكلما قلت قل وجوده

الثانية — انه كلما اشتدت الحاجة للشيء سهل تحصيله كالخشب، وكلما قلت الحاجة له صعب تحصيله كالذهب

الثالثة — كلما كثر الشيء رخص، وكلما قل غلا في اكثر الاحوال

الرابعة — متى وضع شيء في غير موضعه اختل النظام

هذه القواعد الاربع سارية في الماديات والمضويات ☆ العقول الانسانية جارية على هذه القاعدة ☆ فهل يحق لأمة من امم الأرض أن تدعي انها مختصة بالعقول الذهبية، فتنطلق امة أخرى، وتقول ضعوا خشبي موضع حديدكم وحديدي مكان ذهبكم، واجعلوا حديدكم خشباً، وذهبكم حديداً وكونوا اليَّ سامعين مطيعين

أوَلا تكون هذه الامة كالرجل الاحمق الذي يصنع حجرات القطار من الحديد، ويدعمها بالخشب، ويأمر الناس بالتعامل بالحديد بدل الذهب والفضة ☆ الا ساء مثلاً الطاغون الجاهلون ☆ أو لا يعلم الانسان انهُ اذا عطل بعض العقول الانسانية، كان كمن حرم الناس

من استخراج الذهب من معادنه الجبلية ، فيقل الذهب في العالمين ، ويكثر الشجار بين المتغاضين ☆ حرص الناس على المعادن وفرطوا في العقول ☆ جهلوا والله ، ان الانسان لظلوم كفار ☆ تواطأ الناس على استخراج المعادن ، وتحملوا المشاق ولما يألوا جهداً في تحصيلها ، فهل دأبوا في استخراج العقول الانسانية ، كما دأبوا في تحصيل القطع المعدنية ☆ أوَلا يعلمون ان الغنم بالغرم ، وان اشق الاشياء تحصيلاً انفعها ☆ وهلاّ علموا ان العقول البشرية أعظم لهم نفعاً ، وابقى سعادة ☆ عرف الناس كل شيء الا عقولهم ، وفهموا كل شيء الا نفوسهم ☆ الا أن الانسان لجهول كنور ☆ سيسوس الناس في مستقبل الزمان اممهم بما ساس الله به خلقه ☆ فالله وضع الميزان واحكم النظام ، وقام بالعدل ، وجعل هذه الخليقة المنظمة كتاباً للسياسة يقرؤه الناس ان كانوا يعقلون ☆ هذا ميزان الخليقة فزنوا بهِ اعمالكم ولا تكونوا ظالمين

المذكرة السابعة عشرة

« جاموسة الناعورة »

جلست مع اصدقاء في وسط روضة صغيرة وفيها ناعورة تديرها جاموسة ، عيناها في غطاء لا تبصران ، ولكن أذناها تسمعان ، وما أدراك ما تسمعان ، تسمعان صوت المراوة ترن ضرباً على جسمها ، تسمعان صليل الجرس ليوهمها ، ان ضربة ستؤلمها ☆ و بينما هي كذلك اذا غطاء عينيها انكشف قليلاً ، فأبصرت ☆ فلما ابصرت وقفت ،

فأخذ السائق يضربها وظلت الجاموسة في موقفها ☆ كبرت نفساً أن تسير ☆ وظلت العصى على جنبها تسيل ☆ فقال صاحب الجاموسة ما العمل ، فيما ألم ☆ فقلت يا هذا لا يصبر على الذل الا الجاهلون ، ولا يرضى بالهوان المبصرون

الجاموسة كالامم المغلوبة ، وغطاء عينيها اشبه شيء بغطاء ظلام الجهل المسدول على عقول الامم الضعيفة ، والسائق كالامم الغالبة ، فغش عينيها بالغطاء ، فانها تسير بلا تناء ، ففعل السائق فدارت

الانسان ظن جهلاً انهُ ليس نوعاً واحداً فقام قوم مقام السادة وقام آخرون مقام العبيد ، والحيوان ، فغشوا ابصارهم وحرموهم من العلم ، وقالوا لهم كونوا عبيداً اذلاء ☆ الا ان الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ☆ الا ساء ما يفعل الجاهلون

الفصل الرابع عشر

« الجمع المحتشد وعالم الارض والمريخ وتحليل المدنية العصرية »

بينا أنا نائم ليلة العشرين من شهر يوليو اذا صاحبي مقبل اليَّ في حال تلوح كانما لونها ريش الطاووس بهجة وجمالاً ، فترى سواداً يتخلله بريق ، يغشاه لمعان يعلوه لون ذهبي ، يحيط به بياض ، منقش في دوائر شمشية بهجـة اشبه بألوان العقيق والمرجان والزمرذ ، وعلى رأسهِ تاج يضيء سناه للناظرين مكلل بكل ما جمل وغلا من الياقوت

والمرجان والماس منظم دوائر منظومة من الجوهر داخلها مربعات ومخمسات ياقوتية مرتبة ترتيباً بديعاً ، فسلم وحيا ودنا وتدلى

وهنا أخذ أبي بحسن سلامه ، و بديع كلامه ، وجميل خطابه ، وعذب مؤانسته ☆ ومعهُ آخران واقفان خلفه ، خاضعان لأمره ، مطرقان اجلالاً له ☆ فسرنا والليل عاكف ، حتى ركبنا المركب المعهود ووصلنا الكوكب الجديد ☆ فلما ان توسطناه نظرت اذا قرى عالية الذرى فرأيت المدرسين في مدارسهم والمهندسين في أعمالهم والصانعين في مصانعهم وشاهدت قطارات البخار ، وآنست رسل الكلام من المسرة (التلفون) والبرق (التلغراف) ورأيت الناس يرغبون ولا يرهبون ، وهم بالشوق والحب يعملون ☆ وسمعت نغمات الآلات الدائرة وموسيقى العجلات في السكك الحديدية ، وكلها ذوات نغمات موسيقية ☆ فلو رأيت ثم رأيت فلاحاً يحمل فأساً ونغمات الآلات الرافعة الماء تشنف سمعه ، وهو في طرب وفرح وجذل وسعادة وحبور

فلما ان وصلنا ساحة القوم في ذلك القصر الفسيح الارجاء البديع البناء ، رأيت القوم مجتمعين والجمع محتشدين ، وهم ألوف وألوف ، صفوف خلفها صفوف ، وعلى وجوههم سيمى الحب وفي هيآتهم بهاء الوقار ، فسلمنا وسلموا واجلسنا على كراسي في ساحة المكان ☆ و بينما نحن جلوس اذ اقبل شيخ عظيم الهامة ، طويل القامة ، جليل القدر ، رفيع الذكر ☆ جلس بيننا و بين القوم وهم جميعاً له معظمون ولشيبتهِ وهيبتهِ مبجلون

فقلت لصاحبي من هذا فقال هذا عالم الارض والمريخ ٭ فقلت وكيف ذلك فقال أليس للحشرات فيما بينكم علماء ، قلت نعم ، قال فها هنا لكل شيء في العالم اخصائيون ، وهذا اخصائي في علم الارض والمريخ ٭ يدرس ما انتم عليه من الاحوال ، ليكون عبرة لهم ولمن بعدهم من الأجيال

ولقد جاؤا بهِ ليحل مشاكلكم السياسية ، وعقدكم الاجتماعية ، ويزيل المظالم الدولية ، وليكون مخبراً أميناً ، وصادقاً شهيداً ٭ ثم هو من وجه آخر يريد أن يهتدي الى بعض ما غاب عنهُ بسؤالك ، ويستخرج المجهول بجوابك ٭ فليس كل ما لديكم عنده بحاصل ٭ وما هو بكل دقيق وجليل عندكم بعالم ، فاصغ الى سؤاله واستعد لجوابه ، فتستفيد وتفيد ، ويسأل وتسأل ويعلم وتعلم

وهنا اصغت تلك الجموع ، وخشعت القلوب ، وخفتت الاصوات ، وابتدأ الشيخ يقول ٭ ايها الشخص لقد بلغني عنك الليلة ما بلغني فقيل لي انك أسد من الآساد ، أفحق ما يقولون أم باطل ما يدعون ٭ فقلت كلا ومن فلق الحب والنوى ٭ ان المخلوقات على سطح كرتنا على ثلاثة أقسام ، نبات رأسه اسفل في الطين ، وحيوان غير انسان رأسه متجهة للجوانب الاربعة ، الانسان رأسه أعلى ٭ فأنا من نوع الانسان ، فتبسم الشيخ وضحك وضحكوا وقال لعلكم كما قال شاعركم

اما الخيام فانها كخيامهم   وأرى رجال الحي غير رجاله

فاعترتني الدهشة وعجبت كيف يحفظ شعر شعرائنا ٭ وجاش

بخلدي ان هذه النفوس لها صلة بنفوسنا وعلم بآرائنا ، والا فكيف يعرف ما درسناه ويدرس ما قرأناه

ثم قال أيها الفتى انت اجبتني بالانسانية الجسمية ، ونحن نريد الانسانية المعنوية ، صورتكم صورة الانسان ، معدة للرقي الى عوالم العرفان ، وهل بعد ارتفاع الرأس من شرف في الجثمانية ، ولكنني وجهت سؤالي الى اخلاقكم وأعمالكم وآرائكم ونفوسكم ، أأنتم آساد ، قلت كلا ، فقال خبرني ماذا فعلتم بالانسانية ، وبماذا ارتقيتم عن الحيوان ٭ ان مقياس الانسانية يتجاوز اخلاق الحيوانية ، فقل لي بماذا علوتم على الحيوان ٭ فقلت زرعنا الحقول ، وانضجنا البقول ، وحفرنا الترع وأقمنا الجسور ، ونظمنا البلاد ، ونفعنا العباد ، وادرنا الآلات ، فسقت الحقل ، وحصدت الزرع ، وخاطت الثوب ، وفصلت النعل ، ونقلت المتاع ، وحملت الانسان ، والحيوان ، وتكلمنا بعد اميال بالبرق والتلفون ، بل ان الاشارة البرقية تطوف الكرة الارضية في سدس ثانية زمنية

قلت ذلك وهو يتبسم ويقول أنا اسألك عن الانسانية وانت تشرح لي الحيوانية ٭ ان الزرع والحصد والثوب يشارككم فيها الحيوان ، فهو يأكل ويلبس ويعيش ٭ وقصارى الأمر انكم محتاجون لما نقصكم ساعون لتلحقوا الحيوان ، فهو سهل الغذاء حاضر الملابس وانتم بتلكم الآلات والعدد الحديدية والعلوم تريدون ادراك شأوه فأنتم للحيوانية ساعون مضطرون ، وعلى الحياة مجبورون ٭ ولكني سألتك عن

الانسانية ، وما سرعة النقل والبريد وقرب التخاطب الا لتملأوا بطونكم وتكسوا جلودكم ، وتعولوا نساءكم وابناءكم ، فأنتم بهذا تسارعون في الحيوانية لا الانسانية * وما سرعة الخطا ورغد العيش ، وكثرة الالوان على المائدة ، ولا الذهب والفضة ، ولا الخيل المسومة ، ولا الانعام ولا الحرث ولا النسل الا حطام الطعام تشارككم فيها الانعام اكالة الحشيش ، كالنعجة والخروف والعنز والتيس والبقرة والجاموسة * ولو كانت سرعة السير انسانية لكانت الارانب أعظم منكم * وما سرعة البرق والبريد الا صوت امتد في الفضاء ، كما زاد صوت الجمل على النملة ، فلم يوجب له فخاراً ولم يدفع عنهُ عاراً * وما الآلات البخارية للانسان الا ارجل جديدة يجري عليها * فقصارى أمركم انكم زدتم حيوانية و بعدتم عن الانسانية * فاذا كان معنى الانسانية هي الحيوانية العظيمة ، فالفيل انسان بالنسبة للعنز وهذا لا يقول به العاقلون

ثم أراني خريطة فيها صورة جيوش حرب السبعين ، وحرب الروس مع الترك واليابان وغير ذلك * وقال كيف قطعتم هذه الرؤوس وأزلتم تلك النفوس * فقلت ان لنا مدارس فيها الفنون الحربية ، والآلات الدفاعية ، وكيفية الكر والفر ، والاقبال والادبار ، ولقد وصلنا اليوم الى اربع درجات في الحرب ، السفن الغاطسة المائية ، والسفن الجارية فوق البحر ، والجيوش المنظمة البرية ، والمناطيد الجوية * ان العالم الانساني اليوم زادت قوته ووصل الى ان اكتشف المنطاد ليحارب في الجو

فعجب الشيخ كل العجب ٭ ثم اشار الى احد الواقفين باشارة فغاب خمس دقائق وجاء ومعه حيوان هائل عظيم الجثة له أرجل يمشي بها مثبت فيها عجل ، أسرع من القطار له اجنحة فمشى امامي وجرى بالعجلة أسرع من القطار وطار في الجو بالاجنحة وهو محدب الانياب والمخالب ٭ فقال أنتم كهذا الحيوان ، انه يطير ويجري ، ويعدو ، ويسبح في البحر ، ويغطس في الماء ، ويأكل ، ويعيش ، وصوته بعيد المدى يسمعه المشرقان ، فقال اذن لست بانسان

حينئذٍ زويت لي الدنيا كلها وأصبح لديَّ الغربي والشرقي وسائر النوع الانساني في مستوى واحد ، فأخذت اذن افتخر باعمال العلماء في جميع الملل والنحل ، وابتدأت بالانبياء ، وذكرت اعمالهم وعلومهم وهديهم ، قال انا أعلم بهم منك ، ولكن أوصافك لبني جنسك دلتنى على انكم لم تتجاوزوا الحيوانية قيد شبر ، ولم تسمعوا كلامهم ولم تعملوا به ٭ ولعلكم اكتفيتم بظواهر الرسوم ، وعجزتم عن الصدق والاخلاص وسائر الاعمال الباطنة ٭ فقلت فينا المخترعون والمكتشفون في سائر الفنون (كاسحق نيوتن) في الفلك وداروين في الفلسفة ٭ فقال هل منهم من احد حاول انتفاع الانسان كله ٭ قلت نعم اسبنسر الانجليزي وآخرون غائب عني اسماؤهم ٭ فقال دع عنك ذكر الفلاسفة والحكماء ، فليس بحكيم من قصر عقله على امة

الا انما الحكماء نواب الله عز وجل في ارضه ٭ فاذا رأيت المرء مغرماً بسعادة الامم ، دائباً لراحتهم ، مكباً على دفع الاذى عنهم فاعلم

انما هو الحكيم النائب عن ربه ٭ ومن عداه من علماء الامم فانما هم رجال صناعة كالتجار والزراع والموسيقيين واحزابهم ٭ فقلت وعندنا من العلماء العلامة (كاميل فلامريون) الفرنساوي يجد في اكتشاف طبقات الأرض لنفع الانسان ٭ قال عمل شريف ولكنهُ سعى للحيوانية ، هل سعى أحد في تخفيف الحرب ، قلت اقوام يقال لهم الاشتراكيون ، وقد قال اديسون الامريكي ان الحرب ستبطل بافلاس الدول ، فانهنَّ اذا أثقلت كواهلهنَّ بالديون ، وصفرت جيوب الرعايا من الدراهم ، ثارت في وجوه الحكام ، وأبطلت الحرب ٭ فانغض رأسه وقال كما تتناطح الكباش والأعنز والثيران ، فانها لا تزال في نطاح حتى تضعف احداها او يتساقط المتناطحان

أين الانسان ، ان اقوال علمائكم دلتني على خيبة لأمل فيكم ، لا عقول ، أين العقول ، لقد وضح الحق واستبان السبيل ، انكم آساد من أقبح الآساد ٭ فاذ كانت نتائج العقل البهيمية والسبعية فانكم أنعام وآساد فلا تتعالوا على الحيوان ٭ وقولوا نحن حيوان معنى انسان حساً ٭ ألا لا خير في الجسوم ، ولا مدار على الصور ، انما الأمر كل الأمر في الارواح والاعمال والآراء ٭ هنالك طفقت ادافع عن الانسان بالقضايا المعروفة ٭ فقلت أليس الأقوى له حق الاشراف على الأضعف ٭ أليس في النمل سادة وعبيد ٭ أليس النبات الأقوى يبيد الأضعف ، اذا اجتمعا ٭ ان هذه قضايا بحثها علماؤنا ، وليست تقبل النقض ولا التأويل ٭ فقال كم من قوي

وضعيف جمعتهما السنن الطبيعية ، وأقامتهما النواميس الكونية ☆ ألم ترَ ان الفيل والنمل تعيش في مكان واحد فوق الشجرة وتحتها وفي ثنايا الارض ☆ فقلت ان ذلك بحواجز طبيعية ☆ فقال وما منعكم ان تجنحوا الى حواجز بعقولكم وأسوار تحد عاديات بعضكم عن بعض ☆ ولئن رأيتم الباشق اكل العصفور ، واكل العصفور الدود ، واكل الدود جسم الانسان ، واكل الانسان العصفور ، ثم شاهدتم الاسد يسطو على الغزال والأرنب فيأكلهما ، فليس معنى ذلك أن يقتل الانسان الانسان او يقهره بلا حق ☆ وانما هو نظام واجب ☆ فان اكلان اللحوم من الطيور والوحوش حكم عليها ان لا تأكل الا اللحوم ، فوظيفتها في العالم الحيواني وظيفة الاطباء في العالم الانساني

ان الوحوش الكاسرة والطيور الجارحة تصد عنكم هجمات الميكروبات الضارة بالوباء العام الناجم من جثث الحيوانات الميتة ☆ فلولاها لخلت الارض من ساكنيها واصبحت الدار تنعى بانيها ☆ فأما اتخاذ النمل لها عبيداً فما اشبهه الا باتخاذكم العجول والبقر من جنس الحيوان ، فانها تربيها على نبات وتمتص منها عصاراتها ☆ فأما اذا حاربت نملاً مثلها فليس ذلك فضيلة تؤخذ عنها ، ولا حكمة تقلد فيها

ولو انكم يا معشر الانسان قلدتم الحيوان في سائر أعماله لوجب عليكم ان تأكلوا الحشائش والحبوب ولا تخبزون ولا تطحنون

ان شأنكم ان تأتوا بحجة على دعواكم واهية داحضة لتستروا بها عوراتكم وتواروا بها سوءاتكم ☆ من اين أتيتم بهذه القضية الفارغة ،

يا بني الانسان ☆ فهل استعبادكم الامم وقتلكم الانفس وتيتيمكم الاطفال ازاحة للوباء ، كما فعلت كواسر الطير وسباع البر ☆ قضيتكم في الطبيعة غريبة ☆ ما اكثر اوهامكم وأقل علومكم ، واجهل عقلاءكم

يا معشر الانسان ☆ الحيوان يمشي على رجلين ، ويغني بصوتهِ ، وانتم اتخـذتم العجلات للسير والسمر في البحر وغنيتم بالاعواد ، واستعنتم على الطرب بما حولكم من الناميات النباتية والحيوانية ☆ فاذا سألناكم قلتم اخترعنـا وعقلنا ونحن ارقى من الحيوان ☆ فاذا عذب بعضكم بعضاً ، وغشت ظلمات ليل الجشع وجه نهار الرحمة المضيء في قلوبكم ، فظلمتم وقتلتم وانقلبتم اساداً ونموراً ، قلنا لماذا جهلتم ، احسبتم ان هذه قضية طبيعية كما تفعل الوحوش الكواسر

السباع والآساد لحكمة مقدرة ☆ وما حكمتكم انتم يا أيها الانسان ☆ ان قضية القتل والاستعباد بجهلكم احدثتموها ، وبعقلكم المغرور اخترعتموها ☆ أليس لكل حيوان رأس ، قلت نعم ، قال فهل رأيت يوماً رأس حمار على جسم ثور ، أو رأس معز على جسم أسد قلت كلا ، قال ولو انهُ وضع رأس احدهما مكان الآخر أفلا يكون الخلط والخبط في هيئة الحركات والسكنات والامور المعاشية ، قلت بلى ☆ قال ألم يكن للغربان حكومة جمهورية ، قلت بلى ☆ قال ولكثير من الطير ، قلت بلى ، قال وهل شاهدت النحل ، أليس له حكومة منظمة قلت بلى ، قال فالزنابير قلت بلى ، قال فالحيتان في البحر قلت بلى ، قال فكلاب الماء التي تبني قرى على شواطئ الانهار مركبات من

بيوت ذات طبقتين عليا وسفلى قلت بلى ، قال فهل رأيت امة من هذه الامم غادرت امكنتها ، وطغت على اخواتها من جنسها ، فظلمته وقتلته أو سخرته ليجلب قوتها، قلت كلا * قال أرأيت الزنابير أليست مؤذية لكم شريرة فاسقة فاجرة قلت بلى * قال أغادرت اعشاشها وحاربت اخواتها، قلت لم أرَ ذلك ، ولكنها تحارب النحل، وتشرب عسله * قال انهُ من غير جنسها

فقلت لقد قرأت في كتاب داروين ان الأقوى يبيد الأضعف من الجنس الواحد كالخطاطيف * قال لئن صح هذا فليس حجة لكم * فليس الخطاف في حاجة الى الخطاف، وأنت تعلم انكم مضطرون الى الاجتماع والاتحاد في مشارق الارض ومغاربها، وابادة امة أو رجل أو امرأة يحدث نقصاً في مجموعكم الانساني * قال ألست تشعر بألم لما يصيب الامم النائية عنك، قلت بلى ، قال ألست تشعر بما يصنعه صانع اجنبي عن بلادك ودينك ولغتك قلت بلى ، قال ألست تسر لما تسمع من شجاعة الشجاع ، وعفة العفيف ، وفضيلة الفاضل ، وعلم العليم ، قلت بلى * قال ألست تنقبض لجهل الجاهل وجبن الجبان وفجور الفاسق ورذيلة الناقص من أي امة و بلدة، قلت بلى * قال اذن يلحقك من نوع الانسان الفرح والترح والسعادة والشقاء والمنفعة والضر ، قلت نعم * قال ذلك ليس في الحيوان * فلئن أباد الحيوان الحيوان فأنتم في حال أشرف من حاله ، واجعل قلبك ميزان سياستكم ، وشعورك مقياس عدلكم

قلت اذن تريد أن يكون الناس امة واحدة ، فتجمع بين القلوب والاجسام والارواح ، وقد اختلفت لغاتنا ودياناتنا وعقائدنا وممالكنا ، وقد كتب علينا ان نكون «في حرب ونضال أمد الدهر معذبون» قال أليس الحرب للقوت والمسكن والملبس ، فهل غير ذلك ، قلت لا ٭ قال انكم تحاربون لتساووا أخس الحيوان من الدود والمكروب ، فانها تأكل وتعيش ٭ ما لهذا خلقتم ، وانكم عن طريق الحق عدلتم ٭ انكم بهذا الحرب والضرب والعداء تعلمون الكسل والجهل ٭ أما الكسل فان امرءًا عمل عملاً فسطا عليه آخر فانتهبهُ فهو الكسول ٭ تعلمون ابناءكم أن يكونوا عالة على غيرهم ، تهدمون صروح الصناعات في الامم المغلوبة ، وتنيمون الغالب على فراش وثير

واني لأضرب لك مثلاً ، هذه الممالك المتمدينة الأمريكية ، أليست مركبة من ممالك كثيرة ، قلت بلى ، قال فالمملكة من أيالات قلت بلى ، قال فالأيلة من قرى ، قلت بلى ، قال فالقرى من بيوت ، قلت بلى ٭ قال أليس سكان البرارى والقفار يعيشون قبائل قبائل ، وكل واحدة ترى سعدها في ان تهضم حق جارتها ، وتهلك حرثها ونسلها ، ويقول شاعركم ويغني مفتخرهم بما يقول عمرو بن كلثوم

ونشرب ان وردنا الماء صفوا ... ويشرب غيرنا كدراً وطينا

اذا بلغ الفطام لنا صبي ... تخر له الجبابر ساجدينا

لنا الدنيا ومن امسى عليها ... ونبطش حين نبطش قادرينا

قلت بلى ٭ قال فلو جعلنا الممالك المتحدة قبائل كالتي في البادية

لبلغت الف قبيلة او يزيدون ٭ قال أوَ ليسوا الآن اسعد حالاً ، وانعم بالاً ، لو كانوا أشذاذاً متمزقين ، يقتل بعضهم بعضاً ، ويلعن بعضهم بعضاً ، ومأواهم العذاب وما لهم من ناصرين ، قلت بلى ٭ قال أفلا يفخر اليوم كل رجل منهم بأنهُ امريكي ، قلت بلى ، قال أفلا تعد الامم اليوم قبائل متوحشة ، كل قبيلة تنازع جارتها ، وتناوئ قرينتها ، وانها لو تضامت لأصبحت ممالك متحدة واسرة واحدة ، يعلم عالمها جاهلها ، ويرحم قويها ضعيفها ، فتكون سعادتهم اوفر ، وخيرهم اكثر ، وعزهم اوسع ، وهم جميعاً على سرر متقابلين

الطبيعة واسرارها محجوبة عنكم ، ولن تنالوها الا باتحادكم على استخراجها وتمالئكم على اظهارها ، ومقامكم في العالم مقام رفيع ، ولكنكم جهلتم انفسكم ، وتربصتم للشر ، وارتبتم في الخير ، وغرتكم الأماني ، حتى صرتم في الأرض صاغرين ٭ قلت ليس الانسان معذباً للانسان ، انما هو معلم له ومرشد وهاد ، والامم الراقية ترشد المقهورة ٭ فقال قد اجبتنا من قبل بما افاد انكم ظالمون طاغون ، ولقد غلبت عليك صفة اممكم الأرضية ، فأجبت بالاجابة اللفظية ، وحققت ان لكم قولاً يخالف العمل ، وظاهراً يخالف الباطن ، تقولون كما اخبرتنا ولا تفعلون ٭ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ٭ ولقد مزجتم صفات الآساد بأخلاق الذئاب ، ووضعتم القوة العالية في مصاف الحيوان

الآساد أشرف منكم نفوساً واطيب قلوباً ، فان ظاهرها باطنها ،

وباطنها ظاهرها ٭ فأما انتم فباطنكم الفطري فيه الرحمة ، وظاهركم من قبله العذاب ، فتلونتم وعذبتم وذقتم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أخزى

انكم رحماء طبعاً ، فاما ان ألفتم الصيد والحرب والفتك والقتل صار عادة ، والعادات تلحق بالطبائع ، فتصير ألزم من الشرائع ، ولا تمتاز عن الخلقة الاولية للعالمين ٭ الناس في حاجة الى الناس ، فاجتمعت القبائل والبلدان ، والممالك ، فتعاونوا ، واختص كل بعمل لينفع الجميع ، وتولدت من ذلك المطامع فنشأ الخصام والجدال والقتال فالحرب فأصبح خلقا فيكم ، انهُ ليس من طبعكم ، ان طبعكم المعاونة ٭ فالحرب عارض يزول

ما أجهل الانسان يجتمع مع الانسان للتعاون ، فلما طمع وشره وجهل أخذ يستعد لمكافحة اخيه ليتخذ منزله وغذاءه وارضه ٭ ليس هذا طبعاً ، هذه عارضة واهية زائلة ٭ ومن عجب أن يدع الطبيعة واسرارها ، والحكمة وثمارها ، ويستثمر ما غرس اخوه ٭ عار عليكم اي عار ، وجهل فاضح ، وفساد واضح

الفصل الخامس عشر

« فى الوحدات الانسانية من اللغة والدين والوطن والجنس »
« والمعاهدات والمصاهرات والملك الجامع والاب »
« الاكبر والاجتماع فى اللون وغير ذلك »

و بينما نحن في الحديث ، اذا رجل كأنهُ خادم قدم ومعهُ صورتان آدميتان فناولهما الى ذلك الشيخ ، فأخذهما وقلبهما ، واطلعني عليهما ، اذا هما صورتا آدميين ابيض واسود ، ثم قال ان هاتين الصورتين كانتا تلعبان لعباً مزعجاً ، في هذه السنة يوم اربعة يوليو سنة ١٩١٠ ، وكان يوماً مشهوداً ، وحولهما جمع عظيم من السود والبيض ، فهل عندك علم بهما و بأخبارهما ، قلت نعم ، ان الاسود يسمى جاك جنسون الاسود والابيض يسمى جفريس ☼ فقال خبرني عن حالهما ، وعن حال الجمع المحتشد حولهما ، ولا تكتم عني شيئاً ، فاني موقن اني أفهم حالـكم الاجتماعي بهذه الحادثة واخبارهـا ☼ فاني اعرف الاشياء بسيماها ، واستنتج من صغار الامور كبارها ، ومن أقلها اكثرها ، ومن أحقرها أعظمها

فقلت ان ألواننا بني آدم مختلفة ، فمنا الابيض والاسود والاصفر والنحاسي ☼ وكل طائفة تسكن أماكن من المعمورة وقد يتجاورون ☼ وهذان الرجلان متجاوران في مملكة اسمها بلغاتنـا أمريكا ☼ ولقد تجاولا في الملاكمة لينظر الجمع المحتشد ايهما أقوى جسماً ، واطول يداً ،

وأشد بطشاً ، فمن غلب فله القدح المعلى ، وقصب السبق في المال والشرف * ولقد غلب الاسود الأبيض ، فغضب البيض على السود ، وأخذوا يؤذونهم بالقول والعمل واليد واللسان

فقال أهذه اخلاقكم وآدابكم * أتدري لماذا يتخاصمون ، وعلام يتجادلون * اعلم انكم يا بني آدم عند العقلاء صبيان ، لا تعرفون الا العرض ، ولا تهتمون بالجوهر ، ومن تعصب لمجرد اللون فانهُ لا يعلم الحقائق ولا ينظر في أهم الامور * واذا كانت هذه اخلاقكم فانكم لا تعلمون من الانسانية شيئاً * قد اتحدتم في الارواح والحواس الخمس والاعضاء الظاهرة والباطنة ، ثم اختلفت الالوان فأصمت آذانكم وغشت على قلوبكم ، فأدركتم الخلاف وجهلتم الوفاق ، ولم تعلموا كيف تتحدون

وأنا اقص لك قصص احوالكم * أأنتم تعرفون نعمة الهواء ، وهل تحسون بفضل ضوء الشمس ، وهل تقولون الحمد لله ، فتفرحون بالسماء ونجومها والأرض وبحارها ، وكثرة اشجارها وانهارها وسحابها * واذا اتجهتم الى ربكم في خلواتكم فخبرني ، أتحسون في افئدتكم بالشكر على النجوم وجمالها والنار وايرائها ، وهذه العجائب المشتركة بينكم ، قلت اننا نشكر على كل ما اختصصنا بهِ من مال وجاه وشرف ، واذا عطشنا حمدنا الله على الماء فاذا كان موفراً حاضراً لم نحس بشكره ولم نفقه نعمته ، قال فأنتم اذن عبيد منكودون لا تعرفون النعم الاَّ بمنعها ولا تفقهون الحكم والفضائل والآلاء العامة

اخبرني اذا منع الهواء فكم زمن تعيش ، قلت ثلاث دقائق ، قال فالماء ، قلت ثلاثة أيام ، قال فالخبز ، قلت اياماً كثيرة ، قال فأيها ألزم ، قلت الهواء ، قال ثم ماذا ، قلت الماء ، قال ثم ماذا ، قلت الخبز ، قال ثم ماذا ، قلت الفاكهة ونحوها * قال فعلام تحزنون ، وعلام تشكرون ، قلت على أقلها طلباً ، وأشدنا فيها نصباً ، واكثرنا في حزن على مالا يحتاجه في يومه وانما يكون زينة او ذخيرة لغد او لولد

قال اخلاقكم اخلاق حيوانية ، ورب السموات العلية * لو انكم بعقولكم ناظرون ، وللحقائق مقدرون ، لعقلتم العطايا الضرورية ، ولم تجزعوا على ما فاتكم من الفضلات ، وما هو كنز لما هو آتٍ * فمن يحزن لمال مفقود ، او لرياسة أو لذهب او فضة ، وهو غافل عن هذه السماء وجمالها ، والأرض وبهائها ، والهواء ونسيمه ، بحيث لا يحس بنعمتها ولا يقنع عقله بقيمتها وانما هو غافل الا عما خص بهِ ، جاهل الا بما كنز فهو حري أن يتغاضى عن الروح الانسانية ، والاشتراك في الاعضاء الجسمية ، والمنافع البشرية ، ويتلهى بسواد الجلد وبياضه ، أو يتعصب لمن تلون عقله بدين أو عقيدة تخالف مشربه ، او سكن في قارته أو عاش في مملكته ، او تكلم بلغته ، أو عاهده على الكر والفر والضر والنفع ، او صاهره للاقدام والاحجام ، كل ذلك لجهلكم يا معشر بني الانسان

ان اللغة والوطن ، والدين والمعاهدة الدولية ومصاهرة الملوك وتلون الجلد ، كل ذلك لا يغير الانسانية ولا يخل بالقضية * هذا

فهمته من قضية الاسود والابيض ، واذن ضاع الحق فيما بينكم ، ولا عدل في الارض * فقلت لقد بين روسو من علماء فرانسا عقده الاجتماعي ، موضحاً فيه كيف تنتخب الامة اعضاءها ونوابها ، وكيف يولون الرؤساء والوزراء ، وأبان انهم مسئولون ، فيعزلون اذا ضلوا الطريق ، وحادوا عن الحق ، ومالوا عن الصراط السوي ، فقامت قائمة الجمهوريات في الأمم ومنها ممالك ملوكية ، وشايعه منتسكيو في رأيه ، ثم نازعه في سلطة القضاء ، فحكم ان لا يُعزل القضاة ما داموا احياء ، على شريطة صدقهم وعلمهم وجعل امرهم لنواب الامة ، والتشريع للنواب ، وسلطة التنفيذ لمن يولون ، والقضاء حراً لا سلطان عليه الا للامة * وهذا المنهج سار عليه كثير من الأمم

فقال هذه عارضة من عوارض النظام الانساني ، وجزئية من جزئيات علم الاجتماع في الأرض * وما هو الا انهُ مثل حال الصبيان في لعبهم ، اذ يتفقون ويتحدون على اكثرهم نشاطاً وافصحهم لساناً ، واحبهم لاخوانه ، واعطفهم على مجموعهم ، فيصطفونهم ، ويقلدونهم ، امور لعبهم ، ونظام عملهم ، حتى اذا حادوا عن الجادة ولوا غيرهم مكانهم * فما قاله روسو ومنتسكيو تعليم للكبار ما ستر عنهم الجهل والشهوات والمصائب والتعاليم الباردة الحاجبة للعقول عن فطرتها ، والصادة للنفوس عن حكمتها

فالناس في طفولتهم مطبوعون على النظام والجمهوريات ، فيصادفهم في طريقهم ويعارضهم في سيرهم رجل الدين المقلد ، وعالم السياسة ،

والتربية ، والعادات ، وسوء الملكات ، فتنسيه فطرته ، وتوقعه في حيرته ، فذكره اولئك العلماء بفطرته * وهذا ليس الا عارضة من عوارض حياتكم الانسانية ، فهل هذه صورتكم عند التعصب للاوطان واللغات وما اشبهها

وليس روسو ومنتسكيو واضرابهم بناظرين للنوع الانساني ورقيه * انما دفعوا جزءا عارضاً ، وازاحوا ظلما يسيراً * والانسان لا يزال في ظلمه جاهلاً باغياً حاسداً محارباً * وهل هنالك قانون يشمل الممالك وسائر الدول * فقلت عندنا الشرائع والقوانين في الممالك * فقال وهل هناك قانون يشمل الممالك وسائر الدول بحيث لا يظلمون ولا يظلمون ، وقد علمت ما لديكم من المدافع والبارود والحصون * وبالاجمال ان الذي حرض البيض على السود الاقبال على الاعراض ، والجهل بجواهر الاشياء

ان التعاليم في مدارس الكرة الارضية ناقص مبتور ، والا فبالله ، ما الذي جعل هؤلاء البيض يغضبون على السود ، أليس لما يفعله معلموكم ، يقولون جنس ابيض وجنس اسود واحمر الخ ، والحقيقة انكم نوع واحد ، لا يفرقه لون الجلد ولا العقيدة في القلب ، ولا تباعد المكان ولا تعاهد الملوك ، ولا اختلاف اللغات * وان المعلمين لجهلهم يفضلون لوناً على لون ، وامة على امة * عيب وجهل فاضح ، يوغرون صدور الصبيان المساكين

الصبيان يخلقون على الفطرة ، وتعليم الامم في مدارسها مشحون

بالنقص والجهل ، يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضاً * فهذا هو السر في حربكم وجهلكم ، وان يقتل بعضكم بعضاً وافتخاركم بما انتم فيه تخوضون * فما حياتكم الا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والدول والمدافع والبارود * كل ذلك على القوت واللباس وما يؤدي اليهما من متاع * والحمار والارنب والنعجة قد كفيت ذلك ، فأكلت وشربت ، ولبست ، وانتم بما تعملون تظنون انكم اشرف الحيوان وأعلى طوائفه ، وانتم لا تشعرون

او لا تخجلون أن تروا النعجتين تلعبـان وترتعان وتأكلان ، احداهما بيضاء والاخرى سوداء ولم يعقهما لونهما عن ان تأتلفا * بل انهما نظرتا لجوهرهما لا لعوارضهما * أولا ترون البقرة السوداء والحمراء ترتعان في روض واحد * أو لا تشاهدون الحمام الاسود والابيض وهو يطير بلا عداء ولا نفور

قتل الانسان اليوم ما اكفره * كيف تحجزكم الاوطان ان تتقاربوا وقد أحس أهل الشرق بما اصاب أهل الغرب من الزلزال في ايطاليا ، فرحمهم الصديق والعدو ، والبعيد والقريب ، ولم يصدهم حاجز الدين ولا اللغات ، ولا الاوطان * الا فلتقرءوا فطرتكم ، ولتفهموا عقولكم ، وكيف تحجزكم اللغات وانتم ترون الطيور لكل طائفة لغتها في مشارق الأرض ومغاربهـا ، ولكم انتم لغة واحدة لغة التصوير التي عمت مدارسكم في سائر ممالك الارض

ولقد كان التعبير عن صور المحسوسات والمعقولات اول لغاتكم ،

فاما ان تفننتم في مآكلكم ، ومشاربكم ومعارفكم اصطلح كل فريق على مقاطع وضعها للتعبير عن تلك الصور المشاهدة ، فتصورتم الحروف الهجائية الدالة على الصور دلالة اصطلاحية على المعاني ، فهل الاختلاف في التعبير يدعو للبغض والنفور

المعاني هي المحسوسات والمعقولات ، وانتم مستعدون جميعاً لفهمها ☆ فهل اختلاف لباسها ، والعبارة عنها باللغات ينسيكم فطرتكم ، ويجعلكم فرقاً ☆ وهل تكره ابنك وأخاك اذا ما لبسا غير لباسك أو تزيّيا بخلاف ازيائك ، ان هذا الا ضلال مبين ☆ انكم ما ادركتم سر دياناتكم ☆ ان أفاضلكم واشرافكم ، وهم الانبيـاء رأوا ان كل فريق منكم يسكن ارضاً معلومة يتحدون على غيرهم ، ويجعلون المكان عصبية ، والقرابة سلاحاً ، ويتخذون المصاهرة والوطنية سلاحاً يحاربون بهما من عداهم ، فقام انبياؤكم ينذرونكم سوء المنقلب ، وقالوا لا تعبدوا الا الله واحبوا سائر البشر ، فأنتم اخوان لا يحجزكم عن الاخوة مكان ، ولا تصدكم قرابة ، فاتخذتم تلك الديانات والعقائد اسلحة تحاربون بها من خالفكم في عقيدة او دين

ولقد جعل الله عز وجل مصاهرة الاباعد ليتحد الناس ، وليعلموا انهم كبني رجل واحد ، وامرأة واحدة ، وحرم عليكم اخواتكم وبناتكم وكثيراً من محارمكم ، لانكم تحبونهم ويحبونكم بالقرابة ، وحلل لكم ان تتزوجوا من الاباعد لتتواصلوا ويتكاثر الاحباب ، فالقريب لقرابتهِ والبعيد لمصاهرته ☆ فلما ان فعلتم ذلك جعلتموها سلاحاً تشهرونهُ على

من عاداكم ، كما اتخذتم اختلاف اللغات والديانات والاماكن ، وذلك لما طبع على قلوبكم من الطمع والجشع وسوء الملكة وتربيتكم في مدارسكم ومنازلكم ، وانتم في عذاب الخزي تعيشون

الفصل السادس عشر

« ايضاح مسألة الاقوى والاضعف واننا نفعل فعل الحيوان »

فلما ان سمعت منهُ ذلك امتعضت أشد الامتعاض ، وقلت والله لأدافعنَّ ، واقاومنَّ ، ولا ادعه يعيّرني بجنسي واخواني * لقد سبنا سباً فاحشاً ، وسوف ينشر في مجلاتهم وجرائدهم ، واكون أنا سبباً في سب هذا النوع الانساني * واسوءتاه ، ويا للعار ، ويا للشنار * فقلت كيف تقول ان الحيوان ارقى منـا ، ونحن نقرأ الحكمة ، ونعرف الفضيلة ، ونحكم بالعقل ، ونقول الصدق ، وفينا أشرف الحكماء ، وأفاضل العلماء ، والصالحون ، والادباء ، والشعراء

فقال وهو يتبسم ، انظر ، فرفعت رأسي ، اذا مقمعة من حديد مكسوة حريراً ابيض * فقلت ما هذه * فقال هذه آدابكم ، واخلاقكم وحسن معاشرتكم * انكم ظالمون ، لكنكم تدهنون * اذ يضرب بعضكم بعضاً بمقامع من حديد بمكر وخداع ، وكذب وزور ، فتناولونهم المر مغلفاً بالحلاوة ، ويشربون العلقم في صورة العسل ، وتسطو الامة القوية على الضعيفة فتظلمها ، وتسومها سوء العذاب ، وهي تتظاهر لها

بالمحبة والاخلاص ٭ ففعلها مثال المقمعة ، وقولها مثال الحرير الكاسي لها ، و باطنكم الظلم وظاهركم العدل

فما اسوأ اخلاقكم ٭ الا أن الآساد لا شرف منكم ، فان ظاهرها باطنها ، و باطنها ظاهرها ، دأبها الصدق ، ودأ بكم النفاق ، فأخلاقكم فاسدة دنيئة ثعلبية ، فليتكم لم تكونوا ، وما اقبح سياستكم ، واشنع ظلمكم ، ان الانسان لظلوم كفار

ثم قال فائتني بغير هذا ان كنت من الصادقين ، فقلت ، ان طبيعتنا لا تتجاوز الناموس الأرضي ، وكله اهلاك وتدمير ، والاقوي يأكل الأضعف ، فاذا سرنا على سنننا المعهود فلا جناح علينا ، ولا اثم ، ولا تثريب ٭ ألا ترى ان العصافير والقنابر والخطاطيف وغيرها تأكل الجراد والنحل والذباب والبق وما شاكله ٭ ثم ان البواشق والشواهين وما شاكلها تصطاد العصافير والقنابر وتأكلها ، ثم ان البزاة والصقور والعقبان تصطادها وتأكلها ، ثم اذا ماتت اكلها صغارها من النمل والذباب والديدان ٭ وهكذا سيرتنا ، فاننا نأكل لحم الجدي والحملان والغنم والبقر والطير وغيرها ، ثم اذا متنا اكلنا الدود في قبورنا والنمل والذباب وغيره ، فيأكل صغار الحيوان كبارها ، و يأكل كبارها صغارها ٭ فعالمنا الذي عشنا فيه مسوق بطبعه الى التغلب والافتراس ، وان يأكل بعضه بعضاً و يرجع آخره الى اوله ، واوله الى آخره

عند ذلك رأيت حملة الاقلام والكتاب ومكاتبي الجرائد جميعاً

ينظرون الي شزرا ، وقامت ضجة بالمكان وتكلموا بلغة أجهلها ، فسألت صديقي أن يترجمه فأحجم وقال * انهم لا يعجبهم هذا القول * وقد عدوه رأياً ضعيفاً، اساسه الوهم ، وعماده الخيال ، وسقفه الجشع والطمع وجهل الحكمة * فقال اظن هذه اكبر حججكم ، وأقوى ادلتكم ، ولذلك كررتموها واعدتموها ، فافهموها حتى تعلم حقيقتها ، ولا تحتجوا بها مرة أخرى

ان ما ذكرته من أكل العصفور الجراد ، وأكل الباشق العصفور ، وأكل العقاب الباشق ، ثم أكل الدود والنمل الباشق ، وأكل العصفور الدود انما ذلك تكوين لدائرة من دوائر وجودكم * فانك تراه هكذا ، دود عصفور باشق عقاب دود ، وهكذا يرجع آخرها لأولها ، وأولها لآخرها * ان هذا نظام طبيعي ، وحكمة عجيبة ، وجمال في النظام ، كما دارت السنة فصارت ربيعاً وصيفاً وخريفاً وشتاء ، وكما تخلقون من ضعف ، ثم يكون بعد ضعفكم قوة ، ثم يكون بعد قوتكم ضعف ، فترجع آخرتكم الى أولاكم * وكما يتكون النبات من العناصر ويزهر ويثمر ، ويعود مفرقاً اليها ثانياً * وكما يغتذي النبات بالعناصر ، والحيوان بالنبات ، والانسان بالحيوان ، ويرجع الحيوان الى التراب كرة أخرى ، وهكذ رأى فلاسفة الامة الاسلامية

ولقد استنتج ابيقور اليوناني ، وتبعه دروين الانجليزي ان الاضعف طعمة للاشرف الاكمل ، وقاسوا نظام الانسان على هذا الحيوان ، ووضعوا الامم الضعيفة والصغيرة في مرتبة الدودة ، والامم

القوية في مرتبة العصفورة ، والتي هي اشد قوة في مرتبة الباشق ، ثم في مرتبة الصقور ، ونظما على ذلك نظريتهما ، فرجعا بالانسان الى مرتبة دنيئة ، تأباها الفطرة ، ويدحضها العقل

ألا انكم يا بني آدم نوع واحد لا انواع ، ولكم ناموس وقانون خاص لا تتعدونه ٭ فأنتم كجسم واحد ونفس واحدة ٭ الا ترى ان شاعر الشرقيين يحبه الغربيون ، وعالم الغربيين يحبه الشرقيون ٭ فهل وصل الحيوان هذه المزية من العطف والحب في نوع واحد فضلا عن الانواع ، وهل يظن ان نمل الشرق يعلم ما تكنه صدور نمل الغرب ٭ أفليس جنسكم اشد عطفاً واغزر حباً ٭ اليس البخار والكهرباء والتلغراف الذي لا سلك له الساري بريده بالاثير اول سلم من التعارف والمحبة ٭ أيعقل مثل ذلك الحيوان كالنمل والنحل ٭ أفليس الشرقي اضحى يكلم الغربي وكل في داره ٭ وسيأتي يوم يسمع الغربي غناء الشرقي ، والشرقي غناء الغربي في وقت واحد ٭ فهل تريد برهاناً بعد هذا على انكم اشد قرباً ، واكثر عطفاً ، بنظركم بعضكم لبعض من نوع واحد من الحيوان ، فضلا عن الاصناف ٭ فأذا رأيت الحمامة تحب الحمامة ، وان اختلف المكان وتغاير اللون ، وهما لا تستطيعان فهماً كما تفهمون ، ولا عقلاً كما تعقلون ، أفلستم انتم احق بالاقتراب ، وأولى بالتحاب ، ولا يعوقكم دين ولا لغة ولا وطن

أوَلا تعلمون انكم كجسم واحد ، وكل امرىء منكم كشريان ، وكل امة كعضو من أعضائهِ ٭ فكما ان العين لو نطقت لقالت اني

احب الرجل ، والرجل لو نطقت لقالت اني احرص على حياة العين وكلاهما تقول انا خادمان للمعدة والفم واللسان ، والحلقوم والكبد والقلب والامعاء الدقاق والغلاظ ، لو نطقت كل واحدة لقالت انا خادمات طائعات محبات لمجموع الجسم ، وما منا الا له مقام معلوم * فهكذا فلتكن اممكم وافرادكم ، ولتعلموهم في مدارسكم الحب

فقلت وكيف يكون ذلك ، فقال سنريكه في مدارسنا الابتدائية فأما اكل الحيوان بعضهُ بعضاً كما ترى في الدائرة الفائتة التي لم يفلت منها انسان فذلك نظام طبيعي * ولو ان السباع حرم عليها ان تاكل لحوم آكلات الحشائش ، وطرد الدود ، فلم يتعاط لحم الانسان والحيوان في ذلك النظام الجثماني لباد الانسان والحيوان في يوم او بعض يوم ، لما يداخله من الميكروب العائش في المواد العفنة الجسمية * فاكل تلك الرمم الميتة رحمة ونعمة عليكم ، وتلك السباع والديدان جاءت مطهرات ، كأنها أطباء ارضكم * بل هي افضل من الاطباء عملاً ، واعظم نفعاً

ألا ترى ان الديدان والذباب والبق والخنافس تقل في دكان البزاز والحداد والنجار ، وتكثر في دكان القصاب والسمان واللبان والدباس ، او في السماد والسرقين * فاذا امتصت تلك العفونات واغتذت بها صفا الجو ، وطاب الهواء ، وسلم من الوباء * ثم تكون تلك الحيوانات اغذية لما هو اكبر منها

وهكذا تقاس حياة التنين في البحر والسباع والكواسج والتماسيح *

فسباع البر وتمساح البحر ، وعقـاب الجو ، كل تلك مصلحة الجو والارض والبحر بما تأكل من الرمم الخامدة ، والجثث الهامدة ٭ فاما افتراسها للاحياء مما هو اضعف منها بطشاً واقلها حيلة فذلك ضر قليل محتمل في جانب المنافع الكثيرة ، والفوائد الغزيرة

على ان آكلات الحشائش كثيرة الذرية تملأ الافاق وما يؤكل حيـاً منها قليل جـداً ، ويعتبر ذلك تقليلاً لأزدحامها في الصحارى والقفار ٭ فقلت ان الذئاب تأكل الذئب المريض اذا ايست من حياته ، وعامت بدنو مماته ٭ فما منع الامة القوية من الامم البشرية ان تسطو على الضعيفة فتبتلعها ، وتدير شأنها اذا أيست من صلاحها كما فعلت الذئاب في اخيهن المريض ٭ وما منع الانسان القوي ان يقتل الضعيف ليريحه من ألم الحياة ، كما فعل الذؤبان ٭ فقال وهلا انتهجتم سبيلاً اشرف ، ونهجتم نهج النمل في عملها ، فانها اذا مرضت احداهنَّ اخذنَ يداوينها بالعقاقير ويعالجنها بما تصل يد استطاعتهنَّ ، ويغذينها احسن الغذاء

أفتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير ، وتستنزلون من ذروة الفضيلة الى وهدة الرذيلة ٭ وكيف تقلدون الذئاب الظالمة وتدعون النمل الرحيمة ٭ على انكم افضل من الحيوانين ، وأعلى من النوعين ٭ فلتكونوا اكثر منهما عطفاً ، وارق لطفاً ، وأعلى كعباً ، واجل وابقى

فقلت له ان بقاء الانفع والاصلح في الدنيا قضية اتفق عليها الشرقي والغربي ٭ قال فهل الانفع والاصلح ان تقتل الامة الكبيرة

الصغيرة ، ويلتهم القوي الضعيف ، أهكذا فهم حكماؤكم * قلت نعم ، قال كلا ، الانفع للوجود الانساني ان تخص كل أمة وطائفة وفرد بما خلق له ، ويسير على ما تقتضيه فطرته بارشاد العقل والحكمة والفضيلة ، كما ترى اعضاء الجسد الواحد * وهل ترى افتراس الاسد للانسان انفع للوجود ، واهلاك الميكروب القاتل للانسان خيراً وابقى من ابقائه حياً

انتم ذوو قوى ثلاث ، شهوة غذائية كالنبات ، وقوة غضبية كالآساد ، وقوة عقلية ، وهي كمال الانسانية ، وكل قوة اشرف مما قبلها ، وأحط مما بعدها * فاذا سلطتم قوة العقل على القوتين ، وجعلتم انسانكم سائراً على سنته ، واخضعتم الشهوات والجشع والطمع والغضب وما نتج عنها من الحديد والبارود ، والقتال والجنود ، فأنكم تكونون قوماً فاضلين ، وتكون ارضكم كلها فاضلة ، فأما انتم اليوم فأنكم اساد مكبرون ، وجهال متكلفون

هب ان الفضيلة في الابادة ، وان الاقوى من الانسان اولى بالوجود من سواه ، فما بالكم تصطفون اقوى الرجال للهلاك ، من الجنود المدربين ، والقواد الماهرين * لقد اخطأتم والله المرمى ، وكيف تقتلون القواد ، وتعزلون الامراء ، من الامم التي تقاتلونها ، وتخلفونهم على اممهم * فهلا عشتم بسلام ، وراقبتم الحكمة الناموسية ، فانها سترسل على الارض جنودها ، وتستهلك بالوباء والامراض ما لا يصلح للوجود * فأما أنتم فان نظامكم قضى بقتل

الاقوياء في القتال ، و بقاء الضعفاء مع ربات الحجال ، فما أجهل الانسان * ألم تروا الحيوان ، أما قرأتم صحيفة الاكوان

جهلتم والله اقبح جهل ، ساء مثلاً ما كنتم تفعلون * لكل امة من امم النمل وامم النحل وامم كلاب البحر وامم الغربان وغيرها قواد وامراء من انفسهن * ولم يدع الناموس العام هذه الامم بلا رئيس يقوم عليها ، وحافظ يتولى شؤونها * الوجود محكم وما ظالم الا الآدميون

يدعي الاغبياء منكم ان امة كذا لا تصلح لحكم نفسها ، وقد شاهدوا النحل والزنابير في الخرابات التي خربوها قائمة بنظام جمهوري

فقلت له ان الحكمة التي ألهمت النحل والنمل أن تعيش جماعات ، هي التي أوحت الى عقلاء الامم فساقتهم الى احتلال بلاد الضعفاء * فقال أفّ لكم ، وكان الانسان اكثر شيء جدلا * أنتم عكستم القضية * ان الحياة بين الانسان خاصة مشتركة فوق سطح الكرة الارضية ، فوجب أن تتحاب الامم الشرقية والغربية و يكون لهم ناموس عام وقانون واحد وصحبة عامة * ذلك هو الذي أوجبتهُ الحكمة ، ولو احتاج نوع من الحيوان لذلك النظام ، ما تأخرت جماعاتها عن الاتحاد في مشارق الارض ومغاربها ، ولكنكم اليوم حرمتم نعمة حياة الحيوان ، ولم ترتقوا الى غرفات سعادة الانسان * فانتم كالمتدين الذي خرج عن التقليد ، وحرم فضيلة الحكمة ، فاضحى حائرا فلا هو من العامة المقلدين ، ولا هو من الحكماء المحققين *

فهكذا أنتم اليوم ، فلا بقيتم مع الحيوان في راحة ، ولا ارتقيتم الى مراتب الانسان وسعادته ٭ فانتم اليوم عن المعالي مبعدون ، وفي عذاب جهنم الخزي والعداوة جاثمون ٭ صمٌّ ، بكمٌ ، عميٌ فهم لا يتقدمون ولا يرجعون

حياة العصفور بجسم الجرادة ، وجسم العصفور حياة الباشق ، وليس في قتل الانسان حياتك ٭ انت تحيا بصناعة وتجارة وعلم وحكمة ، وما من امة من امم الانسان الا وهي متعلمة عما قبلها معلمة لما بعدها فاذا اكل الحيوان جسم الحيوان ، فللانسان بعد موت اخيه ان يرث علمه وحكمته ، ويقرأ قضايا التشريح في داخل جسمه ٭ فللانسان عن اخيه المائت حكمته وعلمه ٭ وللحيوان جسمه

وما مثل الامة الفاتكة بغيرها الا كمثل رجل يملك ثوراً بهِ يحرث الأرض ، ويسقي الزرع ، فأغراه طمعه ، ودفعه جشعه ، واوحى اليه جهله ، ان يعجل بالفائدة المرغوبة جزافاً دفعة واحدة ، فذبحه واكله هو واولاده ، ففرح يومين ، وحزن عامين

ان اممكم اليوم قصيرو النظر ، لا يعلمون العواقب ٭ واني ما رأيت جنساً في العالم الكوكبي اسوأ سيرة منكم ، ولا أقل فضيلة ، لا تنظرون للعواقب ، ولا تدخرون الاخ للنوائب ، وذلك لنقص تعليمكم في المدارس ، وتحريفكم كلم النواميس الطبيعية عن مواضعها ، ومغادرتكم فطرتكم العالية ، وانخفاضكم الى اسفل الدركات وادنى الدرجات ٭ ألا ساء مثلاً الانسان الأرضي ، الا انهم هم الغافلون

أو لا تعلمون ان الانسان كلما كثرت افراده زادت ثمراته ، على نسبة الاعداد المضاعفة التصاعدية المسماة (المتوالية الهندسية المتصاعدة) ☆ فكلما زاد العدد كثر المدد ☆ و بتكاثر الامم تتكاثر الخيرات ، ولو ان امة أبادت امة او أوقفت عنها واضعفت حركتها فانها تقطع من جسم الانسانية العام شريانا نابضاً ، أو عضواً عاملاً ، فتبطئ الانسانية قرونا ، حتى تلد لكم بدلها فتعيشون ناقصين ☆ فربما نشأ فيها من العقول والآراء والصناعات ما تعم بركاته الكرة كلها

ومن عجب ان اممكم لا يدركون بعقولهم ان اهتضام امة منهم لأمـة أخرى نقص لمجموعهم ، وقلة في ثمراتهم وسوء في اخلاقهم ، وقدوة لشبانهم ، وحزن لشيوخهم ، وعقلائهم وحكمائهم

فاذا سطا الحيوان على الحيوان فأكلهُ فقد علمت حكمته ونظامه ، ولا ترى حيواناً آخر يساعده ، اذ لا حكمة في ذلك ، ولا نظام يقتضيه ، والانسان يرى أخاه واقعاً في التهلكة ، فلا يعينهُ الا لشهوة يملؤها ، او جوعة يسدها

من عجب ان الغربان تساعد الغربان ☆ فاذا آذيت خلية نحل قاومك النحل فآذاك ، وهكذا الزنابير ، وحيوان القيطس يفتك بمن يقتل احداها

ولقد علمت ان نوع الانسان نعمة على بعضه كجسم واحد فكان الأجدر بهِ أن تحرص كل امة على اختها ليظهر فضلها ، و يعز شرفها ، فقد وضح البرهان ، وتجلى الحق ، وسطع نور الهدى ، وقام الدليل

على ان بعضهم ظهير لبعض ، فهم على سطح الكرة كوارة واحدة وقرية نمل واحدة لشدة حاجة بعضهم الى بعض ، فهلا منعت الامم بعضها عن بعض بلا نظر الى دين أو لغة

ولئن اتحدت طائفة من اممكم على اصلاح جزيرة كريت لما بينهن من صلة لدين ، فلماذا لم يتحدوا على اصلاح نوع الانسان ، وكلهم رجل واحد ، وما ارضكم الا جزيرة صغيرة في وسط البحر اللجي الذي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ☆ ومن حولكم الحيوانات الكاسرة ، والميكروب المميت ، وحوادث الايام ، ومزعجات الانام ، وفتكات البراكين ، الهادمة لمجدكم ، البالعة لمدنكم

انكم امة واحدة ، فلمَ لم تتحد تلك الدول على رقي نوع الانسان حتى تقاوموا جميعاً ما تغشيكم بهِ المياه في طغيانها من انهارها ، والبحار من امواجها ، والبراكين من هدمها وتخريبها ☆ فما اسوأ حال الانسان ، مسكين ، واي مسكين ☆ مسكين ضعيف ، كثر وباؤه وامراضه وخانه صديقه ، ولم يرحمه عدوه

أما فيكم عقلاء ، أما فيكم رحماء ، عند ذلك بكى وبكيت ، وضج الجمع المحتشد ، ورمى كتاب الجرائد بأقلامهم وبكوا رحمــة علينا ، وسكن التأديب ، والتوبيخ والتقريع ورفعوا طرفهم الى السماء ، وطلبوا من الله رحمة أهل الغبراء ☆ وقالوا اللهم ارحم هذا الانسان المسكين

الفصل السابع عشر

« على اى قاعدة تبنى سياسة الامم »

قلت اني مقتنع ان نظامنا فاسد ، وجمعياتنا ناقصة ، وسأقص هذا القصص على اخواني في مشارق الارض ومغاربها ، فأسألك بحق ما وهبك الله من العلم والحكمة ان توقفني على الاساس المتين ، لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعقلون ، فقال لي الم تقرأ كتاب (كَنت) الالماني على التعليم ، قلت انا لا اعرف اللغة الالمانيـة وانما قرأته بالانجليزية ترجمة السيدة (انتى تشرتون) قال ألا تذكر ما قاله في المقدمة العامة على التعليم اذ يقول ٭ لم يعلم الانسان الا الانسان ، فهو المعلم والمتعلم ٭ ولو ان عالماً أعلى منه القى عليه دروس العلم ابرزت كوامن ارائه ، وعواطفه وفواضله

وقال في نفس المقدمة في موضع آخر : مسألتان لم تحلا الان ، ولم يبتدع لهما حل ، الحكومات العادلة ، والتعليم

وقال في مقام آخر ، ان الفضائل والعلوم كامنه في النفس ، كما كمنت الالوان والازهار والاوراق في البذرة ، فاستخرجت بالحرث والسقي والتعهد ٭ ولولا ان في البذرة اللون والثمر ما ظهرا للعيان ، ولا ظفر بهما الانسان

فهكذا عقل الانسان ، يعوزه التعليم حتى يرتقي الى سماء فضيلته ، ويعلو عن ارض رذيلته ، ويرقى الى سماء الحكمتين ، الجسمية والعقلية

هذا ما قاله في مواضع من مقدمة ذلك الكتاب ٭ وقد ارتأى فيها ان الامم اصبح عليها ان تجد ، وعلى سائر الافراد ان يجتهدوا ، حتى تبدو كوامن العقول البشرية ، والاخلاق والفضائل ، ولكن لم يبين كيف السبيل الى هذه المناهج الشريفة التي بها يسعد الانسان

انا سنشرحها لك شرحاً جميلاً ٭ ان مسألة الحكومات والتعليم متضامنتان لا تحل احداهما الاَّ مع الأخرى ٭ فنشرح لك سياسة الأمم اولاً ، ثم نتبعها بالتعليم ، لتعلم انهما اختان وصنوان وفرقدان لا يفترقان ٭ وان احداهما كالعين المبصرة ، والأخرى كالأذن السامعة فانهما يجريان في حياة الامم مجرى الطعام والشراب فنقول :

يقول (كنت) انكم لا تنالون سعادتكم ، ولا تستخرجون كنوز علومكم الا اذا صدر علمكم من عالم أعلى ، فالله هو المعلم ، وقد وضع لكم كتاباً واضحاً ظاهراً بيناً ، وهو هذا العالم الذي به يؤمن اهل الارض قاطبة ، وهو الرق المنشور ، فاعقلوه وافهموه لعلكم تهتدون ٭ احجم علماؤكم وتأخر حكماؤكم الاقدمون والمحدثون عن الجد في ارتقاء الأمم ، وحل مشكلة نظام الحكومات والتعليم ، لسد الشهوات والمطامع بين عقول الأمم والعدل في القضية

فاما العلوم التي لا تكلفهم هدى النفس ، وانما تتعلق بما لا يملأ البطن و يسد العوز كالكواكب والافلاك فان الأمم تتلقاها وتستقبلها قبولاً حسناً ، وتفرح بها ، كمثل مسألة ابعاد الكواكب ونظامها عند العرب ، فقد طبقها أولئك العلماء على فن الموسيقى ، وقدروا ابعاد

الارض والهواء والقمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشتري وزحل ، وكما فعل العالم (بود) اذ اكتشف قانوناً سمّوه قانون (بود) في سنة ١٨٠١ واتمه (بيزى) اذ أبان ان بعد كل سيار مضاعف لما قبله كالارض والزهرة والمريخ الخ ، كما هو واضح في كتاب اللورد اقبري الانجليزي في جمال الطبيعة * تقبل العلماء ذلك قبولاً حسناً ، وفرحوا واستبشروا بما شرح العلماء من العرب والافرنج

اما اكتشاف حل للتربية والعدل في الامم فانتم عنه محجوبون * وما صدكم الا الشهوات الحاجبة عن السعادة * فها انا الآن أضع لكم نظام الحكومات مقتبساً من نظام السماوات لتبلغه لأخوانك ابنـاء الانسان

انظروا الى العالم الذي حولكم من الكواكب والحيوان وجسم الانسان ، ثم اجعلوا مدنيتكم وتعليمكم على ما تستخرجون وما تستنتجون وادرسوا فطرتكم الروحيـة تجدوها مطابقة لها وموافقة لنظامها * قلت اوضح لي هذا المقام ، قال انظر فنظرت ، اذا نجمة (اركتروس) وهي اكبر من الشمس عشرين مرة ، ولا يصل نورها الارض الا في مائتي سنة ، والضوء يجري في الدقيقـة نحو عشر ملايين من الاميال تقريباً . قلت قد رأيتها * فقال هذه النجمة اكبر من شمسكم عشرين مرة ، وشمسكم اكبر من ارضكم مليوناً وثلث مليون ، فتكون اكبر من ارضكم سبعا وعشرين مليون مرة * قلت نعم * قال انظر كيف ساغ النظام السماوي ارضكم مع

هذا الكوكب * ارضكم صغيرة، بل ذرة. ما انتم شيء مذكور على ظهرها * ومع ذلك ساد النظام، والتأمت المدارات. وقام كل كوكب فدار في فلكه لا يتعداه * فشمسكم الصغيرة وانجمها وسياراتها وتوابعها كل له مقام معلوم * لا ظلم اليوم. ان الحساب لسريع * ان النظام لدقيق * ولو ان الاعظم يطغي على الاصغر لهلكت ارضكم . ولقامت قيامتكم ولكن النظام جميل

قلت اوضح المقام فان البون ما بين السياسة والكواكب شاسع والشقة بعيدة * فقال ان لكل كوكب مداراً ونظاماً . فلا يطغي احدهما على الاخر . ولا يحطمه . ويسيرها بنظام وميقات معلوم

ذلك نظام الله الذي اتقن تلك المدارات وحسبها، فلم يطغ كوكب على كوكب . ولم يحطم الكبير الصغير * ولو ان الامر كان فوضى لاجتذب الاكبر الاصغر ولاصبحت ارضكم قارة من قارات نجمة (اركتروس) ولكانت ارضكم حجراً من حجارتها وانتم جميعاً لون ذلك الحجر

ان العناية العالية ارسلت المحبة على الكواكب فجرت ودارت دوران العشق والغرام * والحب القى عليها دروس الوله والهيام . فدار بعضها على بعض ولم يبغ اكبرها على اصغرها

ولو انكم عرفتم ما في نفوسكم من المحبة والعطف والعشق والشوق وحب بنى آدم اخوانكم لألفيتم ان نظام ارواحكم مستمد من ذلك الحب العالي الذي تسمونه جاذبية * فالانسان محب للانسان ، يحب

الانسان العالم والجميل والشجاع والشريف والكريم ، من اي ملة ونحلة وامة ، فذلك عشق كعشق الكواكب * فمن هنا عرفتم ارواحكم وعواطفكم ، فسنوا سنن النظام الاجتماعي على مقتضى تلك الكواكب * ولتكن كل امة منكم كوكباً يحب الأعلى الادنى ، ويتحابون ويتوادون ولا يطغي بعضها على بعض * ولتكن الامة الكبرى لأخواتها الصغيرات كالشمس للسيارات حولها تلقي عليها اشعة علمها لا تبتغي منها جزاء ولا شكوراً * وكما ان الشمس ترسل اشعتها على السيارات وما للسيارات عليها من فضل ، هكذا فلتفعل الامم الكبيرة تجاه الامم الصغيرة * وكفاها شرفاً انها بناتها تدور حولها * وعار على الامم الكبرى ان تظلم الصغرى ، وعار على الامم المتعلمة ان تذل الجاهلة

ولقد علمت مما ورد لي ان الأمم الكبيرة تنزع السلاح من الصغيرة ، وتحجب عنها اشعة العلم ، وتبقيها فقيرة تجعلها خدماً لها ، وان عندكم امة لا تبلغ الا نحو اربعة ملايين اعطيت امة تبلغ ٤٠٢ مليوناً ، ومنعتها العلم والحكمة ، وألقت بينها العداوة والبغضاء ، وهذا عار وتأخر ، لأن اولئك الملايين ان استناروا أفادوا المجموع الانساني اضعافاً مضاعفة ، فاذا اختصت امة بقهرهم كالدواب فقد حجبت نورهم عن سائر الامم ، وهو نقص في انسانيتكم ، وشقاء لجامعتكم * أتدري لو ان كوكباً تخطى دائرته ماذا يكون * تتماوج الكواكب ، ويضل التوازن ، ثم تتحطم ، ويكون فساد النظام ، كما فسد نظامكم الانساني

بجشع الامم ، وحرصها على المادة الغذائية * ولتعلم انهم ما داموا لا يراعون الا المادة ، ولا يطيعون وجدانهم وفطرتهم السامية الحقيقية ، ويقولون لا يراعى الا ما سد الجوع وكسا الجلد فان نظامكم يبقى فاسداً ، حتى تهلكوا ، أو تبيدوا ، ويؤتى بخلق جديد ، لأنكم لا وزن لكم ولا قيمة ، ولا شرف عند العالم السماوي فانكم جاهلون ظالمون

انكم قتلتم عواطفكم ورحمتكم ، واني ارشدك أن تنشر قولنا في انحاء العالم ، فان لرجال السياسية عواطف وشرفاً وحباً يكتمونها في قلوبهم ، ويدعونها جانباً ، ثم يقولون لا نتبع العواطف ، بل نجري مع العقل * ولو ازالوا الشهوات ، ولم يسيروا على اهواء الجهال من اممهم ، وذوي الجشع والطمع من الذين يكنزون الذهب والفضة لوجدوا ان العطف شعبة من شعب العقول والارواح * ثم انظروا الى عقولكم وارواحكم من وجهة أخرى

ان الكرة الارضية نبتت فيها الاغذية والفواكه والادوية والملابس ، ووزعت على اقطارها وارجائها ، واختص كل نبات وشجر ببقعة ، بحيث لا ينبت الا فيها ، كمثل النخل لا ينبت في اوروبا ، وهو ينبت في الشرق * وترى ما احتجتم اليه من الاغذية وافراً حاصلاً كثيراً ، وما قلت حاجتكم له قل كالأدوية ، وما ندرت له الضرورة صار نادراً ، كالسم النابت ، كما ان الماء كثير ، وأقل منه الغذاء * فالأول يقل النصب في تحصيله ، ويكثر العناء والطلب والبحث في الثاني * فهل فهمت ما قررناه ، قلت نعم

قال فهكذا ترى الاخلاق والصناعات موزعة مفرقة على الحيوان ، فمنه الناسج كالعنكبوت ، ومدخر العسل وصانع الشمع كالنحل ، وباني المساكن كالخطاطيف وكلاب البحر ، ومغرد كالبلبل وغيره من سائر الطيور المغردة ، وهذه مسألة أخرى

فأما انتم يا معشر الانسان فان فطركم غرست فيها سائر الغرائز ☆ وانتم وان لاصقتم القرد في صورة شكله وتقليده ونفسه فلقد لاصقتم الطاووس في جماله والببغاء في تشكيل صوته وسرعة تقليده ، والكروان والكنارى والبلبل وسائر الطيور المغردة في حسن اصواتها ، والفرس في كره وفره وذكائهِ ، والعنكبوت في هندستهِ ، والنحل في عسله ، فانكم تعصرون القصب لتستخرجوا العسل ، فأنتم نوع واحد ، أشربت انفسكم الانسانية عواطف واخلاق نفوس الحيوان ، ولم يكن ذلك الا لتصيطروا بنفسكم الانسانية على غرائزكم الطبيعية العملية ☆ ومتى سلطتم العقل عليها تعلمت وابرزت مكنونات المخلوقات التي حولها ، فتسوسون كالنمل ، وتزرعون كزرعها ، وتعيشون جماعات كما يعيش حمار الحبشة واضرابه ، وكما تعيش جماعات الطيور زمراً زمراً ، ولتمتازوا عنها بهذا العقل الشريف العالي ، فتكونوا امة واحدة ☆ وهذه هي الفضيلة التي بها تمتازون ، والشرف الذي بهِ تعلون ☆ فأما الآن فلا شرف للانسان

المنافع والفوائد والثمرات مفرقة على سطح الأرض ، وعقولكم وزعت عليها الغرائز قلة وكثرة على مقدار الحاجات ☆ ولو انكم بحثتم

وفتشتم ودققتم لوجدتم لكل امة كما لكل بقعة من الأرض استعداداً ، ولكل رجل أو امرأة فكراً وغريزة لعمل ، بحيث لو استخرجت تلك الغرائز وسيقت لما خلقت له لسعد الانسان سعادته الممكنة ، ولوجدتم فيكم عقول الحكماء والسواس قليلة والعاملين والزارعين والصانعين كثيرة ، كنباتات الاغذية في الارض ، ولألفيتم لكل عمل اناساً يبرعون فيه

ان الانسانية العامة كمدرسة تتعلم فيها الغرائز العملية الصناعية ، والعقل الانساني سياج وقانون عام ، وحصن يمنع طغيان الغرائز والشهوات والأميال * فهذا معنى الانسانية ، وهذا مستوى فضائلها وشرفها وفضلها

الانسان كله جسم واحد تام النظام * فكما ان له عيناً واذناً وانفاً ومعدة وامعاء وكبداً وطحالاً وشرياناً ووريداً ورجلاً ويداً ، فهكذا المجموع الانساني غرائز مستعدة للحكمة والعلم والصناعة والاعمال الجثمانية

ولست اقول ان الفرد يصلح لعمل لا يصلح لسواه ، كلا ، فذلك يكذبهُ العيان * ألا ان كل فرد يصلح أن يعلم كل حرفة وصنعة ، هذا لا ريب فيه * وانما كلامنا كله في أيهم أشد استعداداً واكثر قابلية ، فوضع قولنا في الافراد والامم بالقرب والبعد والصعوبة والسهولة والقوة والضعف * وان اول حل للمسألة الاجتماعيـة اقتراب عدد الذكور من عدد النسوان في مشارق الأرض ومغاربها بحيث لا تخلو قرية ولا امة من نسوان وذكران يسدون الحاجة ويقومون بالتناسل

فانظر وتعجب كيف شبهت اممكم بالشموس والكواكب . وكيف شاكلت عقولكم نظام نبات الأرض على سطحها ، ونظام جسمكم ، وضارعت غرائزكم غرائز الحيوان ، فهل بعد هذا من بيان ☆ أفلا تفهم بعد هذا ان المسألة اصبحت محلولة مفهومة ، يقول (كانت) الالماني ليتعلم الانســان مما هو أعلى ، فها كم تعلموا من العالم امامكم ☆ ها هي النواميس الطبيعية ، والقوانين النظامية

انكم مختلفون ألواناً وغرائز وميولاً متقاربون حباً وعطفاً وشغفاً ☆ انكم جسم واحد . فلتجتهدوا في التعلم حتى يحب بعضكم بعضاً ، ويألف بعضكم بعضاً ، فما ابعدكم الا تعليم مدارسكم وكلياتكم البغضاء والكراهة ، فاستبدلوا الذي هو خير بالذي هو ادنى

فقلت وكيف يتسنى لنا زرع المحبة والمودة في القلوب ، بعد ان خامرت الكراهة النفوس ، وخالطت العقول ، واحاطت بالغرائز ، وصارت صفات بالنفوس قائمة . وطبائع بالأرواح عالقة ☆ فقال قد ضرب لكم مثل محسوس في اكثر الأمم والممالك ☆ أليس اكثر الديانات والعادات يحرم ان تتزوجوا الأم والأخت ونحوهما ، قلت بلى ☆ قال أفليس بعض الديانات يحلل ذاك قلت بلى ☆ قال فهل يأنف ملك سيام مثلاً ان يتزوج اخته ، قلت كلا ☆ فقال لماذا ، قلت لأنهُ حلال عندهم ☆ قال وهب انكم أبيح لكم زواج الامهات والاخوات ، معاشر النصارى واليهود والمسلمين ، أفليست العـادة تصدكم والأنفة تمنعكم والخجل يردعكم ، قلت بلى ☆ قال أفليس ذلك دليلاً على ان الشهوة الانسانية

البهيمية لا تفرق بين القريب والبعيد والمحارم والاجانب · بدليل قوم من نوع الانسان استباحوا هذا وجوَّزوه · قلت بلى ☆ قال خبرني أليس منكم اشرار جهلاء فاسقون فهل سمعت عن أفسق الفساق فيكم يغشى من حرمت عليهِ قلت لا ، قال فكذلك هذا برهاناً على ان نوع الانسان مستعد بالتعليم الى اشرف غاية · واعلى منصب وارقى سعادة فلو ان الأمم بثت في تعليم مدارسها · وتلقين ابنائها محبة اخوانهم بني الانسان · وألفوا لهم الروايات وشخصوها في الملاهي · وجعلوها تقبيحاً للحرب والضرب · وجعلوا الفخار والشرف لمن حاز قصب السبق في نفع نوع الانسان · فمن كان اكثر عملاً وأقل ضرراً فله القدح المعلى في الفضل والشرف والكرم · فعند ذلك يبتدئ الانسان في درس غريزته ونيل سعادتهِ

فاما الانسان الآن فانهُ معذب مهان ذليل لا شرف عنده الاَّ في غريزتهِ · ولا خير الاَّ في فطرتهِ

وقصارى القول ان بناء سياسة الانسان على قاعدة توزيع الاعمال على الفطر الانسانية في الافراد والجماعات · وعلى تهذيب النفوس واصلاحها · وادخال علم الحب العام في قلوب الناشئين · وتنفيرهم من الحرب · واعلامهم بمنافع المحبة العامة · ونواتجها النافعة للمجموع الانساني

ألا وان منزلة هذا العلم من علم الاقتصاد كمنزلة علم الأصول من علم الفقه · وآداب اللغة من النحو · والهيئة من الفلك ☆ فعلمنا باحث عن نظام الأمم وسياستها العامة · وعلم الاقتصاد باحث عن نظام ثروتها

ونمو تجارتها وترويج بضاعتها و بيع سلعها ، ونسبتهـا الى ثروة الأمم الأخرى ، واستعداد الدول والأمم في الاعمال العامة

فليكن لكل أمة قسطها من العمل ، وقسطها من الصناعة ، وقسطها من الأرض ☆ وليعم التعليم سائر الأمم والممالك ☆ ليكن في جميع الممالك مدارس متشابهة فيها صور العلوم والصناعات تعرض على الاطفال ☆ فمن برع في فن او احبهُ علمه ☆ واذن يصبح العالم الانساني أمة واحدة وجسماً واحداً له اعضاء لكل عضو عمـله الخاص ☆ هذا ما اردت بيانه في هذا المقام

الفصل الثامن عشر

فى درس تعليم الاطفال الحب العام

هنالك طلبت ان افهم طريقة الحب العام في مدارسهم ☆ فقلت لقد وعدتم ان تروني طريقة الحب في مدارسكم ، قال نعم ، واشار الى شاب ، كأنه كوكب دري ، عليه ثياب بيض ، وفي يده كرة بيضاء مضيئة ، فذهب امامي وسار حتى وصلنا الى مدرسة ، فأدخلني قاعة والمعلم راسم على السبورة صورة انسان ، وهو يريهم الاعضاء عضواً عضواً ويشرحها شرحاً وافياً لغرض علم التشريح ، ثم يكر راجعاً ويقول انظروا فيريهم اسماء الامم الكوكبية ، مرسومة كل واحـدة على عضو منها ☆ وهو يقول هذه الأمة تجلب لنا ملابسنا من الاصواف

والاوبار ، ثم ينتقلُ الى أخري على عضوآخر ويقول ان هؤلاء منا بمنزلة المعـدة ، فان لديها اغذية وفاكهة * ثم يضع يده على الرجل ويقول ان هذه الامة المسماة كذا ابرع جنساً في وضع الآلاتالبخارية

وبعد ان اتم درسه ، واحكم وصفه واجاد مدحه ، قال فنحن وهم في الحياة كجسم واحد ، لنا روح واحدة * ولو ان امة من هذه الامم ضعف امرها ، او قل علمها ، او نقصت صناعتها لحصل لمجموع جنسنا خالل وألم ، ولأصبحنا كجسم نزل به الضر ، فيعيش في اسقام واوجاع وآلام

واعلموا ايها الابناء الاحباء ان من الامم في الكواكب الاخرى من جهلوا مقدار انفسهم ، فأخذوا يتخبطون في النظام ، ويظن كل منهم ان يعيش بالقوة والغلبة ، فيفعل فعل المجنون يفقأ عينه ، ويحيا حياة العميان ، ولذلك تروىهم لا يغمدون سيوفهم ، ولا ينامون ولا يدعون فرصة للسلاح الا زادوه واعدوا العدد للكفاح والسلاح

ثم ابرز لهم صورة انسان اعمى وانسان آخر مقطوع اليد وانسان مقطوع الرجل * وقل يا ابنائي انهم تارة يكونون كهذا الاعمى لا قائد له * وتارة يكونون كهذا المقطوع اليد ، فتقل صناعاتهم * وتارة يكونون كهذا المقطوع الرجل ، فلا يجدون من يسهل لهم سبل النقل بين البلدان المتنائية المترامية الاطراف ، المتباعدة الاكناف * وتراهم يجهلون فطرهم ، ولا يعرفون قيمة ما اعطوا من ارضهم الواسعة ، فيكبكبون ويزدحمون في بقعة ، فاذا ضاقت بهم الحيل ، وضاقت

عليهم انفسهم اقتتلوا بالعصا والسيف ٭ وترى الامة تحارب الامة ٠ والأرض واسعة فلا يعمرونها

ومن عجب ان كثيراً من اراضي الممالك الظالمة قد تترك بلا زرع لتبقى بوراً نزهة للمالكين ٠ ومرتعاً للوحوش والانعام ليصطاد المالكون وينعم المترفون ٭ وطوراً تدعى الامة القوية زوراً وبهتاناً على أخرى غافلة او ضعيفة دعوى باطلة ٠ فتقاتلها على ارضها جهلاً وظلماً ٠ ثم تكذب وتقول ٭ انى ارقيهم ٠ اني اعلمهم ٠ وهي لا تخجل من الكذب والزور

فقال صبي من الصبيان اذا علموهم فكيف يسيطرون عليهم ٭ فقال الاستاذ يدعون انهم لا يصلحون لحكومة انفسهم ٭ فقطب الصبي وجهه وقال ٭ اذن هؤلاء أقل انسانية وعقلاً من الحمير ٠ لانها لها جمعيات تعيش معاً ٠ وأقل عقلاً وادراكاً من الزنابير ٭ فاذن هؤلاء ليسوا من البشر ٠ ولا من الحشرات ٠ فمن اي العالم هم ٭ فقال الاستاذ هذه ليست دعوى صادقة ٭ ولو صدقوا لعلموا ٠ ولم يسيطروا ولكنهم كاذبون ٭ فقال الصبي يا سيدي فأولئك الظالمون الطاغون ليسوا من نوع الانسان ايضاً لانهم لا شرف لهم ٠ وهم كاذبون ٭ فقال انهم انسان جاهل

ثم قال فاحترسوا يا ابنائي من بغض عشيرتكم وبني جنسكم ٭ ولقد وزعنا اممنا على كرتنا الكوكبية ٠ وخصصنا كل طائفة بعملها ٭ فليس تستغني امة عن امة ٠ ولا فرد عن فرد ٭ وانما ضربت لكم هذا

المثل لتعلموا نعمة الله عليكم · وما اوتيتم من نظام وسعادة · ولتعرفوا وتعلموا شرفكم اذا قارنتم نظامكم العالي الفاضل بنظامهم الفاسد الخالي من الخير ٭ ولقد اصبحت اممنا الكوكبية متحابة متعاشقة متوادة · كل يحب أخاه · ويعلم ان سعادته بحياته وشقاءه بفقره ٭ ولقد صرفنا قواتنا في استثمار وعمارة ارضنا · وصرفوا قواهم في ايذاء بعضهم · والاستحواذ على ما ملكوا ظلماً وعدواناً وكسلاً · وبعداً عن الفضيلة والشرف · وجهلاً بحكم هذا الكون

فقال صبي اين عقولهم ٭ فقال يا بني غلبتها الشهوات · وطمستها العداوات وحجبتها · انواع المطامع · وغشتها ظلمات الهلع وانواع البدع والضلالات · واكثرهم لا يكادون يعقلون صم بكم عمي فهم لا يبصرون ٭ فاستعدوا ايها الابناء لسعادتكم · واستبشروا بعزكم ٭ واعلموا ان اكرم امة على كوكبنا امة كانت اكثر نفعاً · واعز نفساً · واوفر عملاً

ثم دق الجرس فانصرفوا يبتسمون وهم من أهل الأرض يسخرون ٭ فدلف اليَّ ذلك الشاب ودلفت معهُ الى رحبة المدرسة وفنائها الواسع · فألفيت رياضا بديعة وبهجة وجمالاً ونور الشمس يتلألأ في الطرقات · وعلى اوراق الاشجار · وفي ثنايا الاغصان ٭ نور بهيج في خضرة وزرقة واصفرار · ورأيت بدائع الازهار تتمايل طرباً يميناً وشمالاً واماماً وخلفاً ٭ وكان الحشرات الطائفات في خلالها ذهب بهي مصنوع من نور الشمس · وبعضها ازرق · كأنهُ مصنوع

من لون الزرقة السماوية وله عيون مستديرات محوطـة بلون ذهبي بديع ، وهناك ما لا يقدر الواصفون قدره ، ولا يتناول العارفون سره ، ولا يستطيعون ان يقصوا خبره ، ولا يطمعوا في استكناه خبره

هنالك نظرت نظام حديقة المدرسة فألفيتها خريطة جغرافية ٭ ألفيتها طرقاً رملية ، ورياضاً سندسية زبرجدية ٭ فترى مسافات من الرمل خاليات من الاشجار ٭ تمثل البحـار المالحة ، وتكاد الصنعة الهندسية في بطاحها تمثل المحيط ، ومحيط المحيط وهيئة الأمواج ، وزرقة الماء ، وابيضاض حواشيه الفضية ٭ وترى الدوحات تمثل الامم امة امة مقيسة قياس الدرجات العرضية والطولية ٭ فترى الصبيان يلعبون الكرة في تلك الرحبات الرملية ، حول تلك الرياض الدولية ، والقارات الخضراوية ، فترى الشابين يتسابقان ، ويقول احدهما للآخر سر معي شوطاً من مملكة (الصين) مثلاً الى مملكة الروس

ثم وقفوا بغتة وانشدوا نشيداً لم أفهمه ، وموسيقاهم تصدح فطربت طرباً واغشي عليَّ ، وغبت عن الشهادة الى الاحلام ٭ وقلت هكذا يكون الجمال والسعادة والهناء ٭ العين في مناظر بهجة ، ومحاسن بديعة ، والاذن في جو من الموسيقى الكوكبية البهية ، والقلب في بحر العرفان والانوار ، فهل بعد هـذا بهاء وجمال ٭ وهل يبلغ الانسان هذه السعادة ، لمثل هذا فليعمل العاملون

وبينما أنا غارق في الجمال والبهاء والغناء والموسيقى اذا رجل عظيم الهامة طويل القامة أخذ يوقظني ، وقال قم ، فاستيقظت من احلام

الى احلام ، ومن عالم الخيال الى عالم الخيال ، وقال قد غشتك الانوار ، واحاطت بك نغمات الاوتار ، وتجلى على عقلك نور الحكمة ، وارتديت بالوقار ، فغشى على عقلك واحيط بقلبك ☆ فهل تدري ما معنى الغناء وما الشعر الموزون الذي بهِ غنى المغنون ☆ فقلت لا ، واسعدك الله ☆ فقال ذلك الشعر الدولي ، والحب الالهي ☆ انا نربي شباننا على المحبة العامة بحيث نوقظ فيهم عاطفة اخوية ، ومحبة جنسية ، لينالوا السعادتين ، ويفرحوا باللذتين

فقلت وهل هذا الغناء ونغمات الموسيقى داعية لمحبة الدول القاصية ، والامم النائية ، وان حال بينكم وبينهم بعد الشقة ، وطول المدة ، وفصلهم عن اقطاركم جبال عظيمة ، وتخوم شاسعة ، وسهول رملية ، وضروب حجرية

فقال انما مثل الحب في نوعنا العالي الشريف كمثل الكهرباء لا تثور الا بالعرك ، ولا تظهر الا بالاحتكاك ☆ فالحب نار في الاشجار ان اوريتهُ ظهر ، وان تركته استتر ☆ الحب الانساني ساكن في القلوب ، ثابت في العقول ، قائم بالارواح ، واكثر الناس لا يعقلون ، ولا يعرفون ☆ ها انتم هؤلاء ابرز لكم الحب العام في سائر الاجسام ☆ فقلت ماذا تريد بالحب العام ☆ فقال الماء والنار والكهرباء والاثير ☆ الماء لا يخلو منهُ هواء في جميع الاجواء ، انهُ لبخار طائر ، وهو رطوبة غائصة في الطين ☆ والنار جزء من الماء ، وهو المسمى اكسوجين ، وهي جزء من الاحجار في سائر الاقطار والقرى والامصار ☆ والكهرباء

حب لا يذر عنصراً ولا مركباً ولا ماءً ولا نباتاً ولا جامداً ولا سائلاً ٭ والاثير اصل الكائنات وعنصر المركبات ، وهو في كل مكان ، وفوق كل زمان ٭ الكهرباء ما ظهرت لكم ، ولا امدتكم بالذخيرة والماء ، والدِلاب والقطار الا بقوة بحثكم عنها وتفتيشكم في ثنايا المركبات ، حتى عرفتم موجبها وسالبها ، ومستقرها ومستودعها ٭ فهل تظنون ان الحب يعمكم بلا بحث ولا تنقيب ولا جد ولا تشمير

ايقن ايها الانسي الصغير انهُ يوم تقوم قائمة المحبة بينكم ، وتثور عاطفة القرب في جنسكم تنالون من السعادة والهناء اضعاف اضعاف ما جنيتم من فوائد الكهرباء ٭ ذلك هو اليوم الذي فيه تعقلون ، وفي سعادته تفرحون ، وتمرحون ٭ وقد آن أوان سعادتكم ، واستخراج الحب من فطرتكم ، كما استنبطتم الماء ، واوريتم النار من الاحجار ، واثرتم الكهرباء من الزجاج والماء ، وارسلتم البريد في طريق الاثير بلا سلك تنصبونه ولا قدر تغلونه ، ولا فحم توقدونه ٭ فأوقدوا اليوم نار قلوبكم ، واستخرجوا نور ارواحكم ، وهلموا الى سعادتكم ، وقوموا الى شرفكم وانسانيتكم ، وتمتعوا بحبكم وشمروا عن ساعد جدكم ، وكونوا بالعلم والعقل فرحين ، حتى تكونوا من أصحاب اليمين ٭ فهذه المغاني التي سمعت ، والمعاني التي بها طربت نقدح بها نار المحبة ، ونجتلي بها نور المودة ٭ فهذا تفسير ما اطربك تذكرة لك ولقومك فسوف تعقلون

وهنالك قضى التلاميذ لعبهم ، واتموا رياضتهم ، وسمعت رنات

مطربة ونغمات مبهجة * فتنزل التلاميذ الى حجراتهم راجعين ، ودلفوا الى اماكنهم فرحين

فقلت ياللعجب ، هذه الاجراس المدرسية ، ذات نغمات شجية من ذات المثالث والمثاني ، لتسر نفوس المتعلمين ، وترقى بعقول الناشئين

ثم سمعت نغمات خفية ، ورنات شجية ، تتخلل الفصول من آن الى آن ، فأخذتني هزة الطرب ، وزاد بي العجب * وقلت ما هذا الجمال والبهاء والحسن

وهناك كان التعارف بالشيخ الوقور السيد « جامون » بعد طول شوقي اليه * ثم انطلق معي الى الحجرات فرأينا الاساتذة ، اذا آنسوا في التلاميذ سآمة او ملال امروا ان يضرب على الاوتار ، فيطربونهم ويمرحون ، ولدروسهم ينشطون

فأذكرني ذلك التدريس شعراء الربابة في البلاد الشرقية ، فانهم يطربون السامعين بشعرهم وموسيقاهم * فعلمت ان في الارض ثاراً جهلها المتأخرون ، وان للعلم سبيلا جميلا ، وللتعلم طرقاً اجل مما عليه اكثر المعلمين * وبالاجمال ان التعليم وصل في مدارسهم الى درجات عالـية ، بحيث تعشقه النفوس ، وتألفه العقول ، كما تألف الغــذاء والغناء

فهذا ما فهمته فيما رأيته وسمعته ، فلما ان خرجنا من المدرسة ، والدروس قائمــة في اوقات العمل ، مشى ومشيت في رحباتهــا ، وباحات بساتينها الباسقة الاشجار ، الزهية الافنان ، اذا عامل من

عملة البستان ارسله الناطور الى روضة ليسقيها بالماء ، فآنست شجرة ورد زاهرة الزهور ، واغصانها الخضر النضرات ، المحلاة بأوراقها الزبرجدية ، واقراطها العقيقية كأنها تتقدم اليَّ بالزهرات الوردية

ان في الشجرة مئات منها ، ولو رأيت ثم رأيتهنّ يشبهنَ ايدي الغانيات ، يهدين الباقات الزهرية ، لزوار دوحتها ، وقصاد ساحاتها ، وشاهدت في يد العامل انبوباً فضياً بهياً ، يتدفق الماء منهُ و يتقاذف بين ثنايا الاشجار ، وفي طبقات الحشائش السندسية

ومن عجب ان الماء في آن انصبابه على ارض الدوحة ترى فيه ألوان قوس قزح ، من اصفر فاقع وازرق زاهر واخضر ناضر واحمر قان و برتقالي زاهر و بنفسجي بهيج * وكأن الماء بلور في تحليل ألوان الشمس السبعة

وفوق ذلك شاهدت في ثنايا تلك الألوان الخطوط السود الشمسية ، تتقاطع اثناء تلك الألوان البهية ، فزاد تعجبي ، وعلمت ان تركيب مادتهم على طريقة تكفل ابراز الحقائق العلمية ، واظهار العجائب الحكمية

فلما رآني السيد (جامون) مطرقاً مفكراً قال لعلك سحرك المنظر ، وسرك المشهد * قلت ، اي ، والله * قال ألم تكن لكم يا أهل الارض عبرة * انظر انظر كيف تقدمت الشجرات لكم بوردها العندمي * تأملوا اخلاق الورد ، وجمال الزهر * ما لكم عن الجمال غافلين ، وعن الفضيلة عادلين ، وعلى الرذيلة عاكفين * ألم ترَ الماء وهو يتدفق

منصباً على الارض ، كيف تراه خطوطاً مائية جارية ، لا يقهر قويها ضعيفها ولا غليظها دقيقها ، ولا يتعدى كبارها على صغارها ☆ وذلك ان الماء رفع في أعلى مكان ، كما سيرفع بالتعليم نوع الانسان ☆ فلذلك أخذ كل خط مائي مكانه ونال طلبه مما استعد له من العمل والسبيل

ان الانسان اذا تعلمت جماعاته ، وقام كل امرئ وامة بما جبلت عليه نفوسهم ، وما يليق بعقولهم ، عمل كل على مكانته ، وجروا الى غاياتهم ، جرى هذه السائلات الماشية الى ارضها ☆ فأما اذا بقيت على فطرتها ، وتمكنت طبيعتها ، بغى بعضها على بعض ، كما يجري الماء في الانهار

فقلت له لقد رفعت الشجر علينا ، واكبرت الماء المنصب عنا ، ونحن أفضل من الحيوان ، وارقى من الجماد ، وأعلى من النبات

فقال لقد فعل النبات ما خلق له ، وانفذ الحيوان ما اعد له ، وجرى الجماد لغايته ☆ فأما انتم فلم تزالوا جاهلين خاملين ، انتم لا تعلمون لِمَ خلقتم ، انكم في ذلك مختلفون ☆ أفرأيتم الشجر الذي من فاكهته تأكلون ، انهُ لا سمع له ولا بصر ولا شم ولا ذوق ولا عقل ولا رجل بها يمشي ولا يد بها يبطش ، واوتي كل ما اشتهاه من غذاء ودواء وحياة ☆ أفرأيتم الحيوان الذي بهِ تنتفعون ، انهُ اوتي حواس واعضاء وآلات بها يسعى ، وهو درجات بعضها فوق بعض بمقدار الحاجة وما تقوم به الحياة ☆ فلا تظنوا انتم والحيوان ان مواهبكم وعقولكم وحواسكم خلقت الا لاتمام ما نقصكم من مواد الحياة

فقلت كأنك تريد اننا لم نرتق عن الجماد الا بالآلام والتعب ، وان عقل العاقل وسمع السامع و بصر المبصر دلالة على نقص اعتراه ، فاتخذ تلك الحواس وسائط ليبلغ شأو النبات ، وما هو ببالغه

قال بعض ذلك قد كان ، ولكن الحكمة الكبرى والفائدة العظمى للنصب الذي عالجتموه ، والعمل الذي سلكتموه ، والعقول المركوزة ، والغرائز الموضوعة ، والحواس المضيئة ، والاعضاء المعينة ان تتعلموا الاستقلال والحرية ، وترفعوا بأنفسكم وترقوا بعقولكم عن الدنايا ولا تعولوا على الطبع والجبلَّة

فقلت وكيف ذلك ، قال ان النبات لا حياة ولا حس له الا على مقدار حاجته ، وهو موفى المادة غزير الرزق ، والحيوان أقل منهُ رزقاً واكثر نصباً * انتم اكثر نصباً واقل حظاً من القسمين

ذلك لانكم تتعلمون كيف تعتمدون على ارواحكم وعقولكم ونفوسكم * فاذا فاضت نفوسكم وقبضت ارواحكم الى عالم غير هذا كانت أقرب الى الحرية ، وابعد عن الذل بما لها من القوة والملكة الفاضلة ، والكبرياء عن المادة ، والتدبير والعقل المنير بمقدار نصبكم وتعبكم ، وكثرة حاجاتكم * فما عقولكم وما حياتكم الدنيا الا مدرسة تنمو فيها العقول ، والا كانت هذه الحياة لعبة صبيانية * فالعمل والعقل والتفكر والتأمل والتدبير ، كل ذلك ترقية لعقولكم ، لتكونوا في عالم ارقى * فالنبات وان كان موفر المادة ، حسن الصورة ، جميل الهيئة ،

ليس يحس بعناء ولا نصب ، ولا ألم ولا تعب ، فان نفسه ضعيفة ضئيلة ليست حرة

وهكذا نفوس الحيوان ، فهي وان كانت أعلى مقاماً ، وارقى نظاماً ، من نفوس النبات ، فهي لا تزال ادنى من نفس الانسان على تلك النسبة المفهومة

فقلت هذا رأي غريب ، ما سمعت به في العالم الارضي * فقال ان هذا نص عليه العلامة القطب الشيرازي في كتابه المسمى بالاسفار ، وهو اربعة اجزاء * واني رأيتك تقرأ هذا الكتاب ، ولكنك نسيت هذا المقام

ثم قال اذا فهمت هذا فلتعلم ان الامم الارضية الغاصبة حق غيرها جاهلة ضعيفة الرأي لا يعلمون لمَ خلقوا * انهم يعتمدون على ما كسبه غيرهم ، فتنحط نفوسهم ، وينطفي نور عقولهم * فالحروب والخداع ، وزور السياسة ، كل ذلك حاط لعقولهم ، منزل لها من سموها * جهلت الامم الغاصبة ، والله ، مساكين ، مساكين * انهم يعلمون ابناءهم الكسل ، ويظنون انهم عاملون * يقولون كونوا كاذبين مرتشين غاصبين في صورة مصلحين

لأضرب لك مثلاً رجلاً كان له ابن شرير سرق من ختنه متاعاً غالياً ، فامتعض الختن وكلم ابا الصبي ، فتعصب ذلك الاب الغر لابنه وقال أومثل ولدي يتهم ، وهو ذو عز وشمم * فتأصلت ملكة السرقة فيه فسرق مال ابيه ، فأصبح من النادمين

هكذا تلك الامم المسكينة الضالة الفاجعة لغيرها ، دخلت عليها الحيلة ، وداهمتها الغفلة ، وغشت على عقولها الضلالات والخرافات ، فظنت غلبة غيرها حرية ، والظلم مدنية ، وهم يهلكون غيرهم ، وما يهلكون الاّ انفسهم وما يشعرون * فسيرجع ابناؤهم بعد حين ، وقد نمت فيهم الرذيلة والطمع ، وحكمت على عقولهم سخيمة الشره ، فمزقت اممهم على مدى الزمان كما جرى لدولة الفرس والرومان * فهل الامم اليوم منتهون

الانسان اليوم يظن انه مسارع للحرية ، كلا والله لا حرية لمن يأكل كسب الكاسبين ، وينتشل متاع غيره * وقد بينا لك ان دروسكم الدنيوية ، وحياتكم الانسانية ، لا فضل فيها الا للحرية ، وهي لكم أعلى مزية

ثم قال ، أيحمد السفر عندكم ام يذم ، وهل أمر به علماء التربية *

قلت انهُ حسن مرغوب فيه * وأما قول علماء التربية فاني لا اذكره في هذا الشأن * فقال تذكر فقلت ، آه نعم قرأت في كتاب اميل القرن التاسع عشر ان السياحات والسفر من أعلى مقامات التربية الجسمية والعقلية ، فانهُ داعية للحرية * فان الرجل الذي لا يرى الامم القاصية ، ولا يعرف احوالها ، ونظاماتها القائمة ، يظل خائفاً جزعاً ، وجباناً هلعاً ، فلا يألف الا وطنه وكان اشبه بالشاة والشجرة فيحق عليه ظلم الظالمين ، ويطغى عليه كل جبار عنيد

فقال فأنتم ايها الناس في سفر سائرون ، فالانسانية في الحقيقة

هي السفر الاكبر والشرف الأعظم ✿ فاذا اخلدتم الى الأرض واثاقلتم فيها باتكالكم على مال غيركم فانكم بهــذا تظلمون انفسكم ، وتهلكون اممكم

اذا علمت ان حرية الانسان داعية لسعادته فهل لك أن تعلم ان احوالكم الانسانية ونصبها وتعبها داعية الى أن تكون العقول محررة من الرق والعبودية مما تألفون بالنقلة من حال الى حال ✿ فاذا فارقت الروح الجسد كانت في رَوح وراحة ✿ وكلما كانت اكثر عوائق غشتها غواش طبيعية ، كما كانت في الحياة الانسانية الدنيوية ✿ هذا ما تدل عليه المقدمات الطبيعية

فلما ان اتم حكمته ، واكمل نصيحته رجعت الى نفسي ، وفكرت في سري ، وقلت يا ليت شعري ، هذا عجب عجاب ، من هؤلاء الذين يذكّرونني ، أنا الآن في المنام ، أنا في حلم ✿ لـكن الذي أراه حقائق ، والذي اسمعه من ادق الدقائق ✿ ومن عجب ان اولئك يقولون ما أعلم ، ويعلمون ما اقول ✿ وما ادري لعــل هؤلاء القوم الذين اعشقهم ، واهيم بقولهم ، واغرم بصورهم ، وادهش بحكمهم ، واسر لقولهم ، هم صور عقلية ، واشخاص مجردون من نفسي ✿ ان ادمغتنا فيها هيئة مدرسة تعليمية وصورة نظامات (نادَية) شورية ✿ فما من امرئ الا أحس في عقله بقوة تحدث الصور ، وتحلل المركبات وتركب المحلولات ، وتلك القوة المصورة (١)

ويعلم ان هناك قوة ترتب المقدمات ، وتنتج النتائج ، وتفهم الحساب ،

وتعرف الهندسة ، وتقرأ الطبيعة وهي المسماة بالقوة المفكرة (٢)

وكل ذلك في العقل مخزون وفي النفس موجود وهي القوة الحافظة (٣)

وقد يتذكر الانسان بعد ضلته ، ويحضر الشيء بعد غيبته ، بقوة اسمها المذكرة (٤)

وهذه القوى ذات علائق واتحاد وافتراق ، والقوة الحاكمة عليها تسمى القوة العاقلة (٥)

وهي المدبرة لتلك الجماعات ، والقائمـة لتدبير تلك السياسات ، والمتممة لتلك النظامات

ان عقلي مملكة واسعة من رئيس ومرءوس ، وحاكم ومحكوم ، وطائع ومطاع * فالقوة الحاكمة تخضع لها تلك القوى * والانسان يعلم من نفسه عواطف ومنازع واوامر ونواهي * وفوق هؤلاء في نفوسنا زاجر واعظ يخفض ويرفع ويعطي ويمنع * فلعل هؤلاء قوى عقلي تشكلت كأنها سائلة مجيبة آمرة مأمورة

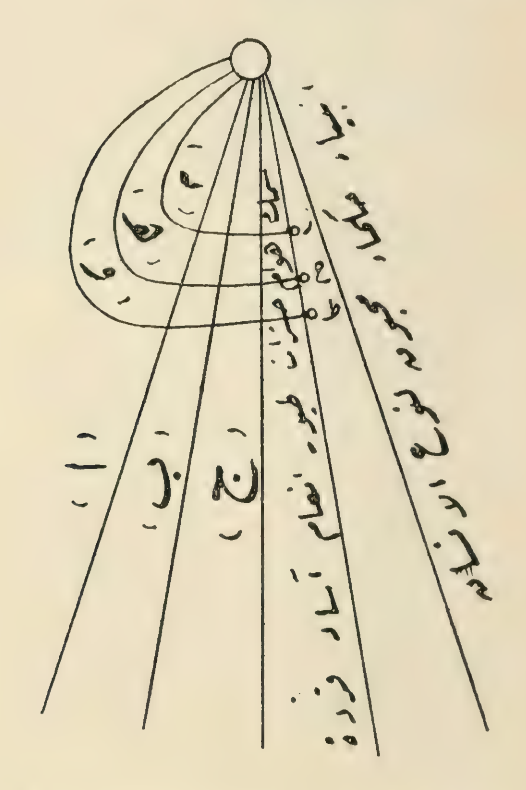
وما اشبه هذه المحاورات بما يحس بهِ المرء في سائر الحالات * أو لعل هؤلاء قوم ناسبوا عقلي وكانوا على مشربي ، فاقتربوا من روحي فخالطوها ودنوا من نفسي فخاطبوها * وسواء كان الحق الآخرة او الأولى فليس يهم الانسان الا العظات * فان كان الخطاب من النفس الى النفس ، او القول صادراً من غيري اليَّ فالنتيجة محمودة ، والعاقبة مقصودة ، والغاية شريفة ، وهي السلام العـام ، في نوع

الانسان ٭ وقد ظهرت الشؤون الاجتماعية في هذه المحاورات المناسبة ، وعلى العقول فهمها ، وعلى الامم نشرها ، بين الخواص في سائر الامم والممالك في مشارق الأرض ومغاربها ليسير على منوالها العالمون ، ويفقهها المتعلمون

ثم نظرت فاذا السيد جامون أمامي فقلت يا ليت قومي يعلمون ٭ ليت اخواني بني آدم يرون ما رأيت ويسمعون ما سمعت ٭ ولو انهم جاءوا هذه الارض الفيحاء لتعلموا من علمائها وتفقهوا من حكمائها ٭ ولماذا حرم ابناء آدم هـذا النور والحب والعشق ٭ ويا ليت شعرى ماذا أفاد العلم والتعليم ، وماذا احدث الكليات ، انهـا لم تخرج الا اعداء ، ولم تداوِ داء

فقال لي ، أعلم ان قلوبكم فيها عنصر الغضب وعنصر الحب ٭ فانكم عالم من البهائم والملائكة مركبون ، ولكم الامر فيما ترغبون ، فان اردتم الاسدية ، والحياة الحيوانية ، فلكم ما تشتهون ٭ وان شئتم المحبة الاخوية فشأنكم وما تعملون ٭ وقد سلكتم السبيل الأدنى واثرتم ثائرة الغضب والقهر ٭ ولمـا شاهدتم الاسد في الغابات ، والكلاب في الطرقات ، والذئاب العاويات ، عمدتم الى فطركم فقدحتم نار الغضب واوريتم زناد الغلب ، وشططتم في سيركم ، وبعدتم في غوركم ، وزعمتم انكم صادقون ، والى المدنية ساعون ، كلا ، والله ٭ قد كان زيد يقاتل عمراً ، فضم زيد له آلافاً وآلافاً ، وكونوا جمعية ، واجتمعوا امة ، وصنعوا كرة من نار الغضب ، وسهماً مسموماً من بأس الظلم ،

وارسلوها بشواظ من نار الى آلاف مؤلفة مع عمرو وامم مؤدبة ، فأتلفوا اجسامهم ، ومزقوا جمعياتهم ، ثم أخـذوا يسلقونهم بألسنة حداد * ألا انكم لآساد وأي آساد * واني لأضرب لكم مثلين اثنين تذكرة لكم وهداية لأممكم ، مثلاً لحالكم اليوم ، ومثلاً لكم اذا ارتقيتم والى المحبة اهتديتم (المثال الاول)



ا ، ب ، ج ، هم الكسالى والظالمون المستبدون بمال أوجاه أو

غيرها — د ، ه ، و ، هؤلاء هم المتعلمون الذين تنزلوا بالشهوات اسفل من الحيوان بالمكر والكذب والجبن وغيرها مما لم يجمعه حيوان ولكن فيهم فضيلة يرقون بها عن الحيوان واليهـا الاشارة بحروف ز ، ح ، ط

فقال انظر ، فنظرت * فقال ان تعاليمكم مشوهة ناقصة ، مزيج من علم ودين واخلاق وعصبية وتنازع وتدافع

فهذه الخطوط الثلاثة المعوجة مثال لبعض القائمين بسياسة الامم ممن تخرجوا من المدارس الكلية في الشرق والغرب * فانهم جمعوا بين فضيلة الملائكة بالاحسان والحب العام و بين رذائل اسفل من عالم الحيوان ، وادنى من طبقات البهائم * فبينما ترى الرجل عالماً جليلاً مغرماً بالخير ، ارفع من الحيوان تلقاه ، ماكراً كاذباً فاتكاً ، فهو بالاولى ارقى من الحيوان ، و بالاخرى اسفل منهُ في هاوية النقصان * وترى الأسد لا يعلو الى فضيلته ، ولا ينحط الى رذيلته * فالخط الأوسط رسمناه وحدة تقاس عليها الانسانية ، فما علا فهو انسان ، وما سفل فهو شيطان * واشرفكم اليوم جمع بين النقيضين ، ومزج بين الضدين * فهو من وجه ارقى من الحيوان ، ومن آخر اسفل كالشيطان ، فذهب شره بخيره ، وقبحه بحسنه ، ورديئه بجيده ، وأسفله بعاليهِ

وأما الخطوط الثلاثة المستقيمة خلف الخط الأوسط فانها تمثل حال الانسان الذي عاش شريراً ، وفرح بما يصيب الناس من اذى ،

وقر عيناً بمساويهم ، حتى اذا سمع بنعمة انعم الله بها على غيره ساءته ، أو اصيب بمصيبة سرته ، ويأكل بالسرقة ، ويعيش بالخيانة ، تسبيحه الكذب ، وصلاته الغيبة ، وزكاته النميمة

فهل رأيت حيواناً جمع سائر صنوف الشرور والرذائل على مثاله * وهل علمت ضبعاً او كلباً اتصف بخلاله ، قلت كلا * قال اولئك اسفل من الحيوان ، وهم امثال الشيطان * ثم قال واذا نظرت الى نسائكم الجاهلات ، وعامتكم السفهاء ، واراذلكم الأدنياء ، وغوغائكم الحمقاء ، فانك تراهم دائماً يكيدون ، ويمكرون ، ويكذبون * فكيف يمدح بهذه الخلال التي عرفها الجاهلون من تعلموا في كلياتكم ، فيقولون ، سواس ماهرون وقواد قاهرون * اختلفت الاسماء ، والمسمى واحد * بل العبيد والاذلاء والجبناء في ذلك المكر اساتذتهم ، وهم فيه ائمتهم الاولون

هذا تاريخ حياتكم ومثال خصالكم * الغضب في جبلتكم وقد اثرتموه حتى اوقد نار الحرب في ارضكم ، وجعلكم سلفاً ومثلاً للآخرين * وانت تعلم ان في علم الطبائع اعضاءً اثرية يحيى بها الحيوان حيناً ، ثم تصير فيه آثاراً ودلائل ، بعد ان كانت ذات أعمال نافعة مادية

فلو انكم يا معشر الانسان وجهتم هممكم العلية ، ونفوسكم القدسية الى اثارة ثائرة الحب الانساني ، والتعاشق الودي لأصبحتم في الارض

اخواناً، ولغدا ذلك الغضب الانســاني اشبه بالغدد الاثرية في الاجسام الحيوانية

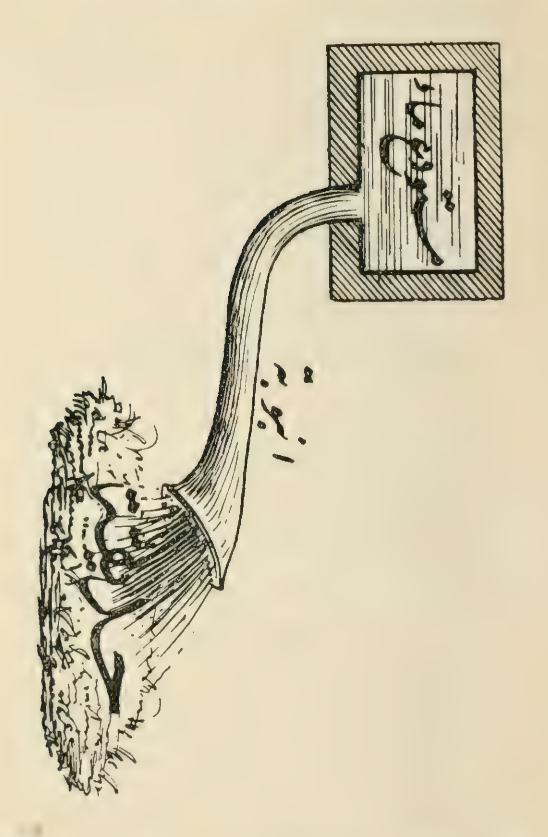
فقلت اني اريد ان اعلم ايضاح هذا المثل كيف رسمته، وعلى اي ناموس طبيعي وضعته ٭ فقال ذلك مثل رقاص الساعة (البندول) الساقط من أعلى الى اسفل وفي اطرافه كرات الرصاص متجهاً نحو الارض الجاذبة كما تجذب الطبيعة الارضيــة ما حولها من الاجسام ٭ فتعاليم كلياتكم ومدارسكم ترفع اخلاقكم الى الأعلى، ولكنكم لا تزالون في الشهوات منغمسين، وتتنزلون عن درجة الحيوان جاهلين

ألا ترى كيف رفعت الرؤوس الثلاثة عن الخط الحيواني بالتعليم عند ز . ح . ط، وارتطمت من اسافلها في اوحال الظلم وسجين الرذائل عند د . ه . و

واما ثلاثة الخطوط المستقيمة شمال الخط الحيواني فذلك مثل ضرب للذين يتعلمون في مدارس اللصوص أو يتبعون خطوات الظالمين، وطعامهم من فضلات موائدهم، ولا خير لهم الا فيما يسلبون وينهبون ٭ فمثلهم كمثل الضبع والثعلب يغتذيان بما ألقت الآساد، او كأنهم الحدا (جمع حداة) تتبع الرمم غادرتها العقبان، فتأكل فضلاتها، وتطعم عظمها المعروق ولحمها المنبوذ ٭ ذلك ايضاح المثل المسطور فيما رسمناه

تجلى الحق وظهر لذي عينين، و برح الخفاء ان في قدرة ابن آدم

ان يسامىَ الكواكب الدرية ، ويرقى الى الفضيلة والاخلاق العلية ،
ويسعد مع النفوس القدسية وذلك مثله في هذا الرسم



لعلك رأيت انابيب الماء المستمدة من مستودع مرتفع كيف ترى
تدفق مائها ، الم ترَ انها نضاخة يتدفق الماء منها بلا عوج ، وكأنهُ
سبيكة فضة اسطوانية ، حولها قطرات تجري على خطوط مستقيمة ،

لا يعدو عليها ذلك الماء الغزير لضعفها ، ولا يسطو عليها لدقتها ٭ بل تراها مندفعة متدفقة سائرة في طريق واحد ، جارية لغايتها ، واصلة الى مستوى الحدائق والجنات ، تسقيها جميعاً كلاً بقدره

فالمستودع مثل المدارس في الأمم المستقبلة حين يرفعون عقولهم الى مستوى الجمال البديع ، منابذين طبائع الأسدية ، عارجين الى افق الحب الخالص ، كما رأوا الكواكب والافلاك في العوالم العلوية ٭ فيتخرج التلاميذ على المبادئ الحبية ، ويعمرون الارض وهم اخوان متحابون ، على سر ر المحبة متكئون ، لا يمسهم فيها الا نصب الأعمال العلوية ، والحوادث الجوية ونظام الجمعية ، والتعاليم المدرسية ، ومنابذة الطبائع الجبلّية

واذاً تصير اخلاق المحبة عادة راسخة وطبيعة ثابتة ، مثل ما نبذ الناس زواج المحارم في اكثر الامم والممالك ٭ مع ان النساء متساويات وهنّ بالطبع مشتهيات فأصبح التخلق خلقاً ، والتطبع طبعاً ٭ هكذا في كل شؤونكم ستكونون ، ولأعدائكم تتوادون

الماء سائل وقد رأيتم ان الصنعة رفعته في مستودعه ، فنظمت حركاته ، واغدقت على الارض بركاته ٭ واذا كان المـاء بالصناعة اخرج عن مألوفه الطبيعي ، وارتفع عن مركزه الناموسي ، وقرأ دروس العلا فأداها ، وجرى على الارض فأرواها ، ثم ذهب الى الاشجار فأنماها ، أفأنتم أقل من الماء للرقي قبولاً ، أو انتم ألزم لفطركم المألوفة ، واحوالكم المعروفة ، من الماء لمجراه ، ومن البحر لمستودعه في مسراه ٭

ستكونون جميعاً عالمين ، و يصير الحب العام فيكم جبلة مألوفة ، وطريقة معروفة ، و يغدو ظلم الاعداء عاراً كظلم الابناء ، والغضب والحرب خزياً كالفجور بالمحارم من النساء

ولعمري ان من تحرج زواج محرمه (وهي وسائر النساء في الشهوة البهيمية سواء) لحري أن يخزى و يخجل من حرب انسان آخر على ظهر الغبراء ، متى لقن ذلك في صغره من الأهل والأصحاب ، والمخالطين والأحباب ، كما لقن احترام الام وحب الاخت محبة روحانية خالصة من الشهوات البهيمية

فالانسان مستعد للفضيلة والعرفان في قرن واحد من الزمان اذا شمرت الامم عن ساعد الجد وعممت التعليم ، وجعلته من المهد الى اللحد ، ونطقت بالمحبة العامة الألسن في المحافل والمدارس والمنازل وذكروا بالخزي والعار من ظلم وفتك وأورث الدمار

هذا مثلكم يا ايها الانسان ، في مستقبل الزمان * فقلت له ان السيد (ستيد) صاحب مجلة المجلات الانجليزية يسعى لنشر السلام العام بين الامم الراقية * فقال أيبذر في السباخ ، أيفرخ حيث لا افراخ

ان القلوب اذا تنافر ودها مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

وهل يحصد الناس وهم لم يزرعوا * وهل ينفع الدهان الجمل الأجرب على وبره . أو يحصد الناس الزرع بلا غرسه و بذره * فلتبذروا بذور المحبة في افئدة الطالبين في مدارس الارض شرقاً وغرباً ، واغمروها في ماء المحبة العامة قلباً قلباً ، وزجوها في نور الود في الصبا ،

ثم اجنوا بعد ذلك الثمرات ، واعقدوا فيما بينكم عقد المودات

ثم رفعت طرفي اذا حولي امم لايعلم الا الله عددهم جاءوا من كل حدب ينسلون ، لينظروا هذا الانسان الصغير كيف يكون ☆ فقلت ماذا تريد هذه الدهماء ، وما تبتغي الجماعة وهذا السواد المقبل ☆ فقال انهم جاءوا ليروك ☆ فقلت ماذا يقولون ، فقال يقولون انكم قرود الانسانية ، فقلت وما قرود الانسانية ، فقال حيوان نصفه بهيم ونصفه انسان ☆ وانتم الآن هكذا يا معشر بني آدم

ولكن آنست مشهداً جميلاً ما رأت عيني مثله ، آنست النظام والترتيب ، انست الجمال والنور ، آنستهم جميعاً على الكراسي صفوفاً لا يحصرها العد وهم لي ينظرون ، ومن صغر جثتي وقصر قامتي وجهل ابناء جنسي يتعجبون ☆ وعلمت انهم عرفوا ما دار بيننا من الكلام بالجرائد العلميـــة ، والمجلات الدورية ، وقد عرفت في وجوههم نضرة النعيم

فلما ان دنت الغزالة للغروب ، تأهب القوم للوثوب ، فلما ان اقبل الليل بجحفله واسدل الظلام على النور استاره وناء بكلكله ، آنست اللامعات الدرارى الحسان تتلألأ في جو السماء ، وتبهر الابصار بنورها الوضاء ، شاهدت فيها جمالاً لم أره ، وحسناً لم اشاهده

وبينما أنا اليها ناظر ولها مشاهد اذا فتاة تبهر القمر نوراً والكواكب حسناً ، ظاهرة في الجو ذاهبة جائية في الهواء ☆ فنظرتهـــا اذا عليها ملابس زرق سندسية صافية زهرية ، واخرى بنفسجية ☆ لو رأيت ثم

رأيت وجهاً مشرقاً بدرياً ، طل من طوق حللها الزرق البهية كما يطل البدر الطالع من طوق الحلة الزرقاء السماوية ، وهي تتغنى بأبيات وتنشدها بنغمات ، كأنها المثالث والمثاني، بأبلغ الالفاظ وارق المعاني ، ما سمعت نظيرها على الكرة الارضية من الآلات المطربة الشجية * لقد بهرني جمالها ، وغشى على ابي غناؤها ، فسمعت من نظمها ما ترجمته بالحرف الواحد

يا ايهـا الناس اسمعوا مني وعوا * قارنوا سعادتكم ورفاهيتكم ومدنيتكم بما اوتيت حشرة ابي دقيق من الغبطة والسعادة ، وما سخر لها من الكواكب بالضياء ، والماء بالسقاء ، والهواء بالتغذية ، والانسان بالخدمة ، والحيوان بالمساعدة

بمَ تفتخرون ، ان أعظم ما اوتيتم من السعادة أن حفرتم الانهار ، وسقيتم الاشجار ، وجنيتم الاثمار ، وادرتم الدولاب ، فنسج اللباس ، وخاط الجلباب ، ورفع الماء ، وطحن الحب ، وخبز العجين ، وجمعتم البخار ، واثرتم الكهرباء ، فدفعا القطار ، وارسلا البريد في البحار ، والقفار ، ورويا الاخبار ، وحللتم العناصر ، وصنعتم منها اجنحة طرتم بها في جو السماء ، ثم قهرتم الاعداء بالسلاح

هذا جل ما انتم به تفخرون ، واعظم ما به تستكبرون ، هذه ثمرات مدارسكم ، وغرس كلياتكم وماخص عقولكم ، وجهد فلاسفتكم ، وعلم حكمائكم اجمعين * حشرة ابى دقيق دبت على الارض ، وطارت في الجو ، وقد كسيت ريشاً جميلاً مزوقاً بهيا للناظرين * ها انتم ترونها

تسكن القصور الخضر من الاوراق النضرات ، والازهار الباهرات ، قد سخرت لها الشمس بضيائها ، والقمر بنوره ، والنجم بهدايته ، مرسلات اضواءها الى الارض ، تنمي النبات ، وتجري الماء كما سخرت لكم ، فأنتم وهي سواء ، تأكلون وتشربون ، ثم انكم مسخرون بآلاتكم وعقولكم وكلياتكم ، وما اوتيتم من معامل ومصانع وهندسة وحساب وآلات ميكانيكية (دولابية) ، فبذلك تزرعون ، وهن آكلات فرحات طربات ، مسخر لها طلاب العلم وعلماء الكليات في مشارق الارض ومغاربها

قل لقومك يا انسي انكم عندنا لم تسبقوا حشرة ابى دقيق البهية الطلعة الحسنة المنظر ، فان زعمتم انكم ارقى منها بعقولكم ومدارسكم وكلياتكم فخبرونا ما الذي بها صنعتم ، وما الذي به عن الحشرة امتزتم ، اكلتم واكلت ، شربتم وشربت ، لبستم ولبست ، سخرت لكم العلوم والآلات وسخرت لها ، خدمكم الناس والدواب طوعاً او كرهاً وخدمتموها ، فما بالكم تفخرون ، مشيتم على الارض وركبتم القطار ، وطرتم في الجو ، هكذا الحشرة زحفت دودة ثم مشت بأرجل ثم طارت في الجو ، فيم انتم ايها الناس تستكبرون * أهذا منتهى مدنيتكم * اذا كان هذا رأيكم ، فابكوا على عقولكم ، وكبروا اربعا لوفاتها ، وليكن اليوم آخر عهدنا بكم ، ايها الناس الأرضيون

الا انما فخركم الأعلى ومجدكم الأسمى ، وسعادتكم العليا ، وعزكم الأوفى ، ان يتصافح الشرقي والغربي ، والجنوبي والشمالي ، والاسود

والابيض ، ويكونوا اخواناً على سرر متقابلين ، وليكونوا لبعضهم احباباً فيسود السلام ، كما اعان الطبيب الياباني العالم الالماني في اكتشاف دواء الزهري في هذه الايام * فلولا تعلم اليابانيين ما برز منهم ذلك الطبيب الشرقي وساعد اخاه الغربي * ان في ذلك لآية لكم ان كنتم تعقلون ، كلما كثر المتعلمون الصادقون اتسع نطاق السعادة

الا ان هذا هو الفرق بين الانسان والحيوان * ولا خير في عقل لا يعلو بالعاقلين ، ولا شرف في فطانة تقعد بالفطنين * ولأضرب لك مثلاً آخر ، انكم يا بني آدم مع الحيوان اشبه شيء بالبندول ان ارسلته على حاله اشبه الحيوان الاعجم في ارساله ، وان حركته أخذ يهتز حركات الى يمينه او شماله * فحال الحيوان كحال البندول عند وقوفه * ان لها غرائز لا تتعداها وطرائق لا تنساها

فأما انتم فاطلق سراحكم ، فاهتززتم ذات اليمين وذات الشمال ، لما لكم من العقل الوافر ، والفكر الحاضر * فحركة اليمين تمثل الفضيلة والشرف ، وحركات الشمال تشبه الخسائس والرذائل بالترف * فأنتم خلقتم الاكاذيب ، واخلفتم المواعيد ، وخنتم العهود ، وخضعتم للملوك والاغنياء ، وحبستم الاموال ، واغليتم المهور ، وصنعتم الفجور ، ووشمتم الجلود ، وخرقتم الانوف بالحلي ، وفتحتم منافذ في الآذان للاقراط ، وهكذا مما اطال بهِ سبنسر في كتاب التربية بأنواع الزينة الجاهلية وتغاليتم في المآكل والمشارب والملابس ، وافرطتم في السلاح والكراع والقتال ، وعبدتم الصور والتماثيل ، واخذتم العادات المرسومة

عمن لا يعقلون من جهال الامم

اذا فعلتم هذا كله فانكم من أهل الشمال ، تنزلتم عن الحيوان ، واصبحتم من الأخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً ، وكانت حركات اهتزازكم الى حال اسفل من حال الحيوان

بئس ما يصنع الانسان ٭ انه كان ظلوماً جهولا ، قتل الانسان ما اكفره ، ان الانسان لظلوم كفار ، ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ٭ فاذا كان التحاب والتواد والفضيلة واغاثة الملهوف وصنع الجميل واغماد السيوف ، ومساعدة الامم القوية الضعيفة والعالمة الجاهلة ، واتحادهم وتضافرهم على استخراج المنافع الارضية والحكم الكونية ، فانكم بذلك تبلغون مراتب الانسانية ، وتربأون بأنفسكم عن حال الحيوانية ، وتكون حركاتكم ذات اليمين

فبلغ قومك ايها الانسي ما قلنا ، وافهمهم ان حركة بندولكم الانسانية هي اليوم شمالية ٭ وقد آن ان ترجع يمينية ، فيسود السلام والوئام ٭ لقد هديتم النجدين وخيرتم بين الطريقين ، وقد سرتم في شرهما طريقاً واضلهما سبيلاً ٭ فقد آن الاوان واستدار الزمان ، لتكونوا على صراط مستقيم ، كما خلقتم في أحسن تقويم

ثم اشارت الى ذلك الشيخ الأعظم السيد (جامون) وقالت انهُ سيلقى عليك قولاً فاستحضر و بلغهُ لأهل الأرض لعلهم يعقلون ٭ ثم غابت الحسناء عن الابصار ، وولت والقلوب معها ، بعد ان قام الجمع وودعها

الفصل التاسع عشر

« مجلس الحكماء وضرب الامثال الحسية للامور العقلية »

عند ذلك اشير عليَّ بالرياضة والنزهة في بعض نواحي الارض الكوكبية مع فتى يرشدني جميل المحيا حسن الشكل مرصع الحال بالدرر الحسان فمشى ومشيت ، حتى اذا اشرفنا على معهد عامي ، وناد حكمي ، يجتمع فيه حكماؤهم ويتناجى فيه شيوخهم ، فألفيته مكاناً واسع الارجاء ، بديع البناء مرفوعاً على العمد ، وهو من جواهر عجيبة ، تفوق ما نعرفه في ارضنا

فمنها ما هو كالياقوت الاحمر ، ومنها ما هو كالزبرجد الاخضر الزاهر ، تكاد بهجتها تأخذ بالابصار ٭ ومنها ما هو كالعقيق وكالمرجان ٭ ومنها ما هو الدر المشرق ضياؤه الزاهر اشراقه ٭ وتلك العمد تختلف اطوالها باختلاف اوضاعها ٭ انها تحمل سقفاً مرفوعاً كالقبة السماوية ، مشرقاً بالمصابيح المرتبة اوضاعها المزينة اشكالها ، كوضع نجوم السماء وترتيبها واحجامها المنظورة ، وبينهنَّ مصباح اشبه القمر في تربيعه الأول قد استضاء نصف دائرته

فلو رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيرا ، وتمثلت لك في ذلك السقف الازرق مصابيح اشباه الثريا ، واخرى تشبه المجرة في استطالتها وبياضها ، وترى فيها هيئة الدب الاصغر ، وصورة الدب الاكبر ، والنجمة القطبية

فعلوا ذلك حتى لا يحجب عنهم نور العلم واشراق الحكمة السماوية بسقف كوكبي ٭ وترى تلك الاعمدة دقيقة مرصعة بالاحجار الكريمة، مرسومة بأحجار ثمينة، بهيئة اشكال هندسية، متداخلة، الصور متضارعة في الجمال ٭ وكلما كان العمود اقرب الى وسط القبة فهو اطول٭ وكلما تناءى عنها فهو اقصر ٭ ومن رآها علم لأول وهلة انها زينة للناظرين ٭ وترى الحكماء في ذلك المكان على الكراسي جالسين، وقد اقبلوا اليه من كل حدب ينسلون عليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلل مرصعة بالجواهر واللآلئ والمرجان

وكان رئيس الحكماء في وسط الجماعة، وحوله الاول فالأول، وهم في روضة بهية ٭ فلو رأيت ثم رأيت اشجاراً ذات اوراق بيض ناصعة، كأنهنَّ الدر المكنون، يتخللها اوراق حمر قليلات، لم أتبين، أهي ازهار ام اوراق ٭ وتلك الاشجار صفوف منظمة تتبين تحتها فرشاً حمراً قانية ٭ وما ادري أذلك نبات متراكم، ام متاع منظم ٭ وذلك في وسط محيط يشاكل القطع الناقص

فلما نظرت في احدى البورتين شاهدت انواعاً من النبات حمراً مختلفات الاشكال، وكلما قربت الوسط آنست ما وصفناه من الاشكال الدرية، ذات الألوان البهية ٭ ولقد سمعت خطب الحكماء، وما ادري ماذا كانوا يقولون ٭ وقد كنت جالساً في زاوية بحيث اراهم ولا يروني٭ ولكن لم يتسن لي ان اميز وميض النور المشرق من الحلل والجواهر، والدرر المرصعة المجلوة للناظرين ٭ ولبثوا على ذلك ساعات متواليات

و بينما أنا كذلك اذ قال لي صاحبي ، لقد جاءني نبأ من الاستاذ الحكيم انهُ سيبعث لك بتلميـذه الأول ليلقى عليك العلم والحكمة ، و يعلمك ما لم تكن تعلمه بمقدار استعداد قومك في ارضك

وما اتم كلامهُ حتى جاء ذلك الرسول عليه ثياب خضر تشبه ثياب اهل الأرض ، قليلة البهجة والزينة ، فحياني وسلم عليَّ وآنسني ، وأخذ يسمعني من صنوف الحكمة عجباً مما يلائم طباعنا ويواتي امزجتنا ، اذ قال * لعلك تبينت الفرق بين زيي وزي هذا الجمع المحتشد ، فقلت نعم * فقال انهم أحسن بزة وابهج شكلاً ليتشاكل ما اوتيتَ من قليل الحكمة بما ازدانَ به من الملابس * ولتعلم ان الفرق بين الحكمتين الارضية والكوكبية كالفرق ما بين البزتين ، وان ما سمعته من الحكمة يسير بالاضافة الى حكمتنا كما ان ما لدينا من الحكمة قليل اذا قسناه بمن هم فوقنا قدراً وعلماً

يقول لك استاذنا قل لأولي الالباب من أهل الارض ، انكم امتزتم عن سائر نوع الانسـان بخاصة الذكاء والفطنة ، وجعلتم في الارض نوراً مضيئاً لتنقذوهم من الجهل المبين * فمـا مقامكم الا ايام قلائل تبثون فيها الحكمة ثم ترحلون * وانما مثلكم في نوع الانسان مثل الانسان في أنواع الحيوان

اولو الالباب كنجوم تشرق لتضيء على العالمين ، وشموس تطلع ثم تغيب عن الناظرين * فلينقذوا نوع الانسان من تهلكته ، ان الانسان لفي خسر عظيم * اولو الالباب انزلوا الى الارض لقصد

الانعام على اولئك الانعام الضالين ٭ لا مقام للعقلاء في الارض الا ليصنعوا الجميل، ويرحموا الجاهل، والنـاس كلهم ظلوم جهول ٭ فليرشدهم اولو الالباب للمحبة العامة، ليستخرجوا كنوز ارضهم، ويكونوا امة واحدة، ولتصبح الكرة الارضية كلها جنة دانية الجنى

فالانسان الحقيقي المستقبل من جمع بين الحس والمعنى، وجنى ثمرات الجنتين ٭ هذا هو الصراط المستقيم

ثم أخذ بيدي وسرنا حتى اشرفنا على واد فسيح اشبه الامكنة بأرضنا، فاعترتني الوحشة، واخذتني الدهشة، واستولت على الحيرة، واحسست اني خرجت من النعيم الى الجحيم، ومن السعـادة الى الشقاء المقيم

واول ما صادفني بيت فيه جرار مملوءة عسلاً مغطاة ظواهرها بأنواع الذباب المتكاثفة وهي تطن طنيناً، فقلت ما هذا، فقال هذه ضربت مثلاً لأحوالكم الاجتماعية، واخلاقكم الحيوانية، فان الرجل الفاضل يحيط بهِ المذبذبون الذامون كما يحيط الذباب بجرار العسل، وما هي بضارة الجرار، ولا بناقصات العسل، ففي ذلك عبرة للمفكرين

ثم انطلقنا الى روضة خضراء كأنها مرج ابن عامر ببلاد الشام، فأبصرت عقرباً صفراء كأنها تل كبير، نائمة في مزارع البرسيم وهي تأكله اكلاً لماً، وتطـارد رجلاً من الزارعين، فعجبت لعظمة جسمها، وكيف تأكل البرسيم وهو ليس لها بطعام . فقلت ما هذا؟ فقال ذلك الرجل العظيم يبذر في عقول الشبان الحكمة والموعظة الحسنة

فيؤذيه اعداؤه الالداء ، حسداً على فضيلته ، وهو ناج اذا كان من المخلصين

ثم انطلقنا ، فرأيت رجلاً معمماً واقفاً وقد احاطت به طيور سود من كل حدب تنسل ، وهي تتعاوون على انتزاع عمامته بمناقيرها ، وهو ممسك بها ، فلاهي عن رأسه رفعتها ، ولا هو مفرط في حفظها ، فقلت له ما هذا ؟ فقال هـذا مثل الرجل العظيم عندكم ، يحيط به الاعداء الحاسدون لينتزعوا شرفه ، فاذا ثبت على اخلاقه ومبادئه فانهُ من الفائزين

ثم هجم عليَّ النوم ، فقال سأنصرف لشأني ومتى استيقظت حضرت لديك ☆ فلما ان قمت من النوم الفيتني بين مزارع نضرات ، وحقول خضرات ، ولا انيس لي ، والليل مرخ سدوله ، متمطٍ بصلبه ، ناء بكلكله ، والنجوم زاهرة ، و بينهنَّ نجمة مشرقة ، صوب القطب الجنوبي ، فاجتمع بنفسي ضدان ، فرح بالجمال والانوار ، وخوف من وحدتي في الظلام ، فما اسرع ما حضر صاحبي اليَّ ، وسلم عليَّ ، وقال ان حالك الساعة اشبه بحال الحكماء في الامم المقهورة ، يفرحون بما آتاهم الله من حكمته ، وما شرفهم به من النظر في جماله وخلقته ، ويخافون من جهال السواس الذين يبغضون الحكماء حسداً لهم على مرتبتهم ، وما كان لهم ان يطفئوا انوار المصلحين

فلما ان اشرقت الغزالة ، وطلع النهار ، ركبنا ذات ألواح ودسر شراعية في بحر لجيّ ، كأنها تسير من ارض المشارق الى المغارب ،

وهي على الطراز الشرقي · تحمل قوماً ذوى منظر جميل · فاستوقف نظري ان رأيت نملاً يحيط بها من سائر جوانبها · فقلت ما هذا التمثيل · قال اما السفينة فالنجاة بالعلم · واما الراكبون فهم العلماء · واما النمل فهم رجال السياسة الصادقون · اولئك هم الذين يؤيدون العلماء المصلحين

ثم رست بنا السفينة على جزيرة خضرة نضرة · فرأيت رجلاً واقفاً · وفوق الرؤوس في جو السماء · طير ابيض كبير · مقدار جسم الانسان · وقد نطق باسمه بلسان عربي مبين · فنادى ذلك الرجل عليه · فنزل اليه · فقبل الرجل جناحيه · فقلت ما هذا ؟ فقال أما الرجل فمثال الحكماء والانبياء · واما الطير في جو السماء وما نطق باسم هذا الرجل · فمثال ذكره الحسن بين العالمين · وعموم علمه بين الشرقيين والغربيين * والله لا يضيع اجر المحسنين · فان كنت في شك من ذلك فأسأل عن قصص يوسف الصديق النبي · كيف عفَّ عن الخنا · وصبر على السجن والاذى · وعلم الصعاليك المسجونين الأدب · ولم ينسلخ عن آدابه وفضله · وعفا عن اخوته الذين كانوا له حاسدين · فأوتي الملك والحكمة واليقين

واسأل النبي محمداً صلى الله عليه وسلم · كيف صبر على أذى قريش ، وكيف صفح عمن آذوه من الاقربين ، وكيف اوتي الملك والشرف بين العالمين

ثم مشينا قليلاً فاذا رجل جالس على كرسي · قد كبرت عينه كأنما هي كرة مصور الجغرافيا في المدارس قدراً ورسماً وهيئة · وما ادري

كيف كان المنظر اذ ذاك حسناً مقبولاً لا مشوهاً مرذولاً ، وهو ينظر في السحاب ، والشمس قد توارت بالحجاب ، وقد صبغته بدمها المطلول ، وعندمها المحلول ، وكان السحاب قطعاً سوداً و بيضاً وصفراً وحمراً ، على نسبة اقترابه من الشمس وابتعاده عنها ، والنسمات لاعبات بأغصان النخيل والاعناب ، ولها غوير ، وصفير ، ونفحات مطربات ، وترى الاوراق تتصافح ، والأغصان تتعانق ، فطوراً تشب الى العلا ، وطوراً تتدلى ، وآونة تسكن النسمات ، فتسكن الحركات ، وتتقطع اللفتات ، وسمعت الرجل يقول :

« عجباً لجمالك ، وواهاً لصنعك وبهائك ، زوّقت السحاب ، ولونت السماء ، فوحق بهائك ، و بديع جمالك ، لألونَنّ قلوب الناس بالعلوم ، انت نظمت سمواتك ، وزخرفت جناتك ، ونصبت ميزانك ، فلأنظمنَ العلوم ، ولأزيننّ بها القلوب ، ولأنصبنَ ميزاناً عادلاً ، به يقوم الناس بالقسط والعدل ، ولأرفعنَ به الفضيلة ، ولأنزلنَ الرذيلة الى سجين »

واذ ذاك ، ظهر القمر ووضح نوره ، والحشرات معنيات ، في تلكم الخلوات ، فنظر نظرة اليه ، وقال « هذا هو المجد الرفيع ، والصنع البديع ، ما للانسان يبني ، ويهدم الدهر بناءه ، اعمار قصيرة ، واعمال كثيرة ، تقضي عليها المهلكات ، وتزيلها الموبقات مجد داثر ، وعمل بائر ، وشرف فاتر ، القمر عمل مجيد ، ومجد قديم جديد ، اين مجد الانسان ، انما الجمال في السموات ، لا عز في الحياة الدنيا ، انما العز في

البقاء ، انما حياتنا اشبه برسوم يقرؤها الصبيان . فاذا قرأوها ازالوها ، انما الحيـاة لعب ولهو وزينة . فلأصطفين من العمل ما يبقى نفعه ، ويعظم وقعه . اننا نعلّم في الارض تمريناً على الفضيلة . فاذا استحققنا الشرف اوتيناه

« ان النجوم والاقمار والشموس حروف كبيرة . تقرؤها ارواحنا الصغيرة لترتقي يوماً ما اليها ، وترفع بالفضيلة والعلم فوقها

« ليست الارض مستقراً لنا . فلننظمها لمن بعدنا . ليكون ذلك لنا مرانة . ولمن بعدنا سعادة ، فنرفع الى عليين ، ويقفى ابناؤنا على آثارنا مهرولين »

فعجبت لمقاله ، وقلت لمن معي . من هذا الذي نراه ؟ فقال ، ذلك الرجل من أهل ارضكم ، عقل الحكمة . وفكر في العالم . وقاس نظام الانسان على نظام العالم . وحقر الدنيا في عينه ، فاما عينه الكبيرة ، وما عليها من هيئة وزينة البلاد والاقاليم والبحار فذلك دلالة على احاطته بالنوع الانساني خبراً . ونظره للناس كأنهم امة واحدة ، في بقعة واحدة ، يتكلمون بلغة واحدة . وتلم شعثهم حكومة واحدة . فقلت وهل هؤلاء يكثرون في الارض ؟ فقال كلا بل يقلون . ألم ترَ الى وحدة الشمس والقمر ؟ وقد آن اوان أن يتعاقب امثال هذا في ارضكم ، حتى يهذبوا اممكم الجاهلة ، ويضعوا لها حكومات عاقلة . صالحة

فعجبت من مقاله ، وقررت عيناً لتبيـانه ، وقلت « لمثل هذا فليعمل العاملون »

⁂

ثم انطلقنا، اذا قبة كبيرة، صيغت من الدر الكوكبي، تدور على نفسها، مجعولة نصفين، منقسمين متميزين، أعلى واسفل، وهما يفترقان تارة ويجتمعان أخرى، ويبتعدان، ويقتربان، ويرتفعان وينخفاضن، فلمحت باطنها اذا هو نور باهر، وضوء ساطع، وسمعت رنات الموسيقى، ونغمات الموسيقار، وكأنما النور المشرق فيها، قد مزج بالغناء، او كان حركات الذرّات الضوئية، تولد النغمات الصوتية، والرنات المثنوية والمثلثية، مرتبة الداخل، مزينة بأجمل الاثاث وافخر الرياش، فيها ما لم تره العيون، من طرائف الفرش وبدائع الجمال

ولمحت فيها قوماً اعينهم في غطاء عن النظر للانوار، وآذانهم في صمم عن استماع النغمات، وبينهم شاب جميل الطلعـة، حسن الشكل، جميل المحيا، باسم الثغر، مبتهج القلب، ظاهرة على وجهه نضرة النعيم، وقد ألفيته ينظر الى من حوله، وهم في كآبتهم وشقاوتهم جاثمون، فيزيل الغطاء عن العيون، وما كان اسرع انسدالها، ويأمرهم بالاصغاء الى النغمات، وما كان اقرب ان تصم الآذان، وهم في الحزن خاشعون فسألت صديقي، ما هذا المنظر العجيب؟ فقال هذه القبة مثال هذا العالم الذي خلقتم فيه، فانه عند اولي الالباب، مصوغ من الجمال والحكمة والبهـاء، وما يعقلها الا العالمون، فصور للجاهل، وعبر عنه للغافل بالنور والموسيقى وانتم في الارض غافلون عن جماله، معرضون عن نظامه، فان الجمال يحيط بكم، فمن فوقكم نور ونظام، ومن جوانبكم ترتيب وبهاء وجمال، واما هؤلاء الذين

اعينهم في غطاء ، فهم ابناء جنسكم الآدميون ، فان هذا نبأ عظيم وبهاء انتم عنه معرضون ، واما هذا الشاب ، فانهُ مثال الحكماء الذين ادركوا مزايا الجمال ، وفهموا بعقولهم ما حولهم من الحسن والبهاء ، فهم في الحياة فرحون ، وبربهم واثقون ، ولاخوانهم راحمون ومعلمون . فقلت فصل ما اجملت ، واوضح ما ذكرت فقال اسمع الحكمة مني . وخذ العلم عني

الزهرة والنحلة

— شاهدنا نحلة وقعت على زهرة . فقلت ماذا تعني ؟ فقال أليس من العجب ان جملت الزهر ، المسماة (بالقزالية) ، وصغرت النحلة ، والهمت العلم ، فاشتارت العسل من تحت الانابيب . ثم انشأ يقول :

عجبت لنقش الزهر كيف تنوعت ... بدائعه فيما يسمى قزاليه
محكمة الزوجين فيها غرائب ... مدورة الصفين بالنظم حاليه
نقوش بديعات تريك دوائرا ... بها نضرات بالمحاسن باهيه
دوائر بيضاً فوق سود كأنها ... نجوم سماء بالعشيات زاهيه
وترنو الى الشمس المنيرة بالضحى ... وتغمض عينا بالاصائل ساهيه
تقول وقد تاهت بفرط جمالها ... من الشفق الغربي صيغ جماليه
فما لرجال العلم عني اعرضوا ... ومفتاح عقل العالمين ببابيه
وما لكم لا تفقهون محاسني ... وقد ادرك الاعلام سر طباعيه
ثغور ابتسام في جمال وبهجة ... واسداء معروف لراجي عطائيه

وكم حشرات طاف طائف وفدها   فكان قراها الشهد في سوح داريه

☆
☆ ☆

البستان والسماء

٢ — ثم قال ما اجهلكم بالجمال ، وما ابعدكم عن الحكمة ، وما اقربكم للجاهلين ، خبرني رعاك الله ، لو ان امرءًا منكم خير بين النظر في السماء وجمالها ، و بين التمتع بالنظر في البساتين وازهارها ، فأي المنظرين اجمل لديه ، فقلت البساتين ، فقال أتدري لماذا استبدلتم الذي هو ادنى بالذي هو خير ؟ قلت كلا ☆ قال لانكم لا تعرفون النعم الا بامتناعها ، ولا تحبون الا ما كنتم عنهُ مبعدين ، ثم نظر نظرة الى السماء والنجوم وانشأ ما ترجمته من الانجليزية

اضيءْ يا ايها النجم الصغير   فشأنك في غرابته كبير
وفوق رؤوسنا ابدا تسير   كمثل الماس رصع في السماء
اذا ما الشمس غابت في دجاها   و بل النبت في الدنيا نداها
ترينـا الضوء يلمع في رباها   اضيءْ يا نجم في غسق الدجاء
ظهرت بموكب وسط السماء   وترجى النور منك على البناء
بناظرك المصوغ من السناء   فلا تخبو بغير سنـا ذكاء
تضيءُ الارض من أعلى سماها   وتهدى من يسافر في فناها
فماذا انت يا باهي سناها   اضيءْ فالله خصك بالضياء

☆
☆ ☆

الهواء والغذاء

٣ – ثم قال انكم لا تعقلون نعمة الهواء ، وتفهمون نعمة الغذاء ، وخيرهما اولهما ، وما حمدتم الله على الهواء ، وحمدتموه على ما اعطاكم بعد منع من الغذاء ، فما اجهل اكثر العالمين

٭ ٭ ٭

الاطباء والمرضى

٤ – وعلى هذا المثال ، الاطباء والمرضى ، فترى الناس لجهلهم بالطب ، وحكم هذا العالم البديع ، يحقرون مالا يعقلون من المنافع العجيبة في العقاقير الطبيـة التي تحيط بهم عن ايمانهم وشمائلهم وفي دورهم وحقولهم ، فاضطر اطباؤكم ان يكتبوها بلغة لا يعقلها المرضى الجاهلون ، وزينوا لهم اغشيتها ، وزوقوها ، ليقبلها اولئك الغافلون

٭ ٭ ٭

العلماء والجهال

٥ — وهكذا الجهال ، لا يعقلون الحكم فيما يحيط بهم ، وفيما يسمعون من الاحاديث والحكايات في سمرهم . فيضطر العلماء ان يسندوا القول لعظمائهم ، ويروه عن كبرائهم من سائر الملل والنحل ، والامم والاجناس ، ثم يصوغونه في مقال جميل

٭ ٭ ٭

الأمم المغلوبة

٦ — وترى بعض المتعلمين من الامم المغلوبة ، يصمون آذانهم عما لم يسمعوه من الغالبين ، كان المدافع والعلم مقترنان ، وتراهم يقلدونهم في حركاتهم وسكناتهم ، وخمرهم ولهوهم ، ولعبهم ، يظنون ان غلبتهم لهم نتيجة هذه الشناعات ، وعلوهم عليهم من أجل هـذه المخزيات فتباً لقوم لا يعقلون ، وأفٍ وتفٍ لمن لا يفهمون

☆ ☆ ☆

الاصنام

٧ — كانت تنصب التماثيل وتقام الصور ، رموزاً على المعاني ، ودلالة على الفضائل ، فجهل الناس مقصودها ، وتخذوها آلهة فعبدوها ، واجتمعوا حولها وقدسوها

☆ ☆ ☆

الرسل

٨ — فجاءت لكم رسل ، نكسوا الاصنام ، وأزالوا تلك الاعلام ، ووجهوكم للتعقل والتفكير ، والتعليم والتهذيب ، فطالت عليكم الآماد ، وقست القلوب ، فعلقتم بالالفاظ فحفظتموهـا ، وظننتم انها تنجي في الدارين ، وأنتم لا تعقلون لها معنى ، ولا تفهمون لها مغزى ، وصار اكثركم يدور كما يدور الحمار في رحاه ، لا يجـد

عن المدار بهِ محيصاً ، وما من أمة الا تداوت بكلمات كتابها المقدس فظنت مجرد التلاوة بلا تفكير منجية ، وتعليق كتابهـا على الرأس شافية ، وغفلتم عن شفاء عقولكم بالمعاني وسعادتكم في الدنيا بالتفكير

☆☆☆

الحـكومات

٩ – ولكم نظمت لكم الحكومات ، لتحفظ أمنكم ، وترفع شأنكم وترتق فتقكم ، فظننتم في الملوك مثل ما كنتم تظنون في الاصنام ، وانقدتم انقياد العميان ، وخضعتم للظالمين ، فأف لهذا الانسان

☆☆☆

جهل الناس عجائب الرموز ، وحكمة الظلمة والنور ، والظل والحرور ، جهلوا مزية الديانات ووقفوا عند ظاهر الكلمات .

ومن جهل هذه الكائنات ، وضل عن هذه المخلوقات ، فاحرِ بهِ ان يجهل سر نظام الحكومات ☆ الا فليعم التعليم والتعقل في انحاء الكرة الارضية

ألا فليعقل الناس ما حولهم ، ان حياتكم اليوم عار وألف عار ، أزيلوا ما لديكم من النظامات العتيقة الفاسدة ، واستبدلوها بخير منها ، فالعلم عجيب ، والله سميع قريب ، ونظام هذا العالم بديع ، والعقل الانساني شريف رفيع

☆☆☆

الخمر والخراب

١٠ — هل قرأت ما سطره الفرنسي هنري في الخمر ، وعلاقته بالشرقيين ؟ قلت بلى انهُ يقول ، ان الخمر أمضى سلاح يحصد بهِ نسل الشرقيين ، وأنكى جيش يبيد الوثنيين والمسلمين ، انهُ ضعف الجسد ، وموت العدد ، وفقد المدد ، وضياع البلد ، ورق الولد ، وذل الابد ☼ ثم أخذ بيدي وانطلقنا اذا رجل بيده زجاجتان احداهما مملوءة بالنار ، والاخرى بالماء ، فقلت ما هذا ؟ فقال هذا مثال الحاكم الاجنبي في الامم الجاهلة ، يسقي من زجاجة الماء أبناء بلاده ، ومن زجاجة النار أبناء الأمة المحكومة ، فيذيع الخمر ، ويبيح الميسر لعلهم ينقرضون ويقلون ، فما أجهل الرجلين ، الغاش والمغشوش ، هلا عرف هذا الحاكم الجهول ان الناس اخوان ، هلا عرف ان الناس كجسد واحد ، فتباً لجهال بني الانسان ، انهم قوم طاغون ، أنتم جهال بالجمال واكثر الناس في غفلة وجهل عظيم ، صم ، بكم ، عمي ، فهم لا يعقلون ، ما أقبح سيرتكم وأضلكم يا بني آدم في العالمين

☼ ☼ ☼

الحروف الكبيرة والصغيرة

١١ — النــاس لا يعقلون الا الحروف الصغيرة ، ولا يفقهون الكبيرة ، لضعف فطنهم ، وقلة فهمهم ، وموت نفوسهم ☼ الشمس القمر والنجوم ، والجبــال والشجر ، والدواب والبحار ، والسحاب

والانهار، وما فوقها وما تحتها، هـذا لعمرك هو الحروف الكبيرة ۞ لما ضعف تعليمكم، قصرت عقولكم على الحروف الابجدية، وكلماتها الرسمية، وظننتم انكم بالكون عالمون، وبمـا في الأرض والسماء محيطون، ولكن اكثركم عن الحقائق معرضون

۞ ۞ ۞

الغراب والعود

١٢ — ثم قال انظر، فنظرت، اذا غراب يحمل عوداً يطير بهِ في الجو الى عش في شجرة في اعلى أغصانها، حيث الهواء جميل، والنسيم عليل، فقلت ماذا تعني؟ فقال هذه الطيور اتخذت من الأعواد والنسالة ودقائق الأشياء التي يحقرها النـاس بيتاً مزخرفاً محصناً بديعاً ناعم الباطن، أسكنت فيهِ ابناءها ۞ فقلت ماذا تريد بهذا، فقال لو أن الناس عقلوا لبنوا لأنفسهم، وشيدوا لأرواحهم بيوتاً من الحـكمة والفضيلة، فمرت عليها الحوادث مرور العواصف على عش هذا الطائر وأفراخه ۞ الغراب في حرز حريز ۞ فقلت لكن المصائب مرة المذاق كالفقر والفراق فقال :

۞ ۞ ۞

الليل والنهار

١٣ — ألست ترضى بنظام الليل والنهـار، والظل والحرور، والموت والحياة، والحيوان والجماد، والزرع والحصاد، والبرّ والبحر،

والصحو والمطر، والسفر والحضر؟ فقلت بلى اني أعرف بعض حكمها، قال مثـل النفوس مثل الآفاق، تجمع الضدين، وتولد النقيضين، كالقبض والبسط، والحزن والفرح، والضيق والشدائد، والآلام واللذات، فارضَ نظام نفسك كما رضيت بما في الآفاق

السرجين والحدائق

١٤ — قلت ما أغمض هذا المقال، وما أبعد هذا المثال، فقال سر بنا في هذا الصراط المستقيم، فلما سرنا رأيت نخلاً يميس في وسط مزارع نضرات، وأشجار خضرات، وأعناب وجنات

كأن النخيل الباسقات وقد بدت لناظرها حسناً قبـاب زبرجد
وقد علقت من حولها زينـة لها قناديل ياقوت بامراس عسجد

فقال لعلك أعجبت بهذا الجمال، قلت بلى ما أجمله، قال فانظر فيما حول هذه الجنات، فنظرت اذا تلال من السرجين، وآكام من القاذورات فاحسست بانقباض، فقال ماذا ترى؟ قلت منظر عرى من الجمال، وتسربل بالوبال، فقال لقد حكَّمت حاسة البصر، وعزلت قوة البصيرة، ولو انك فكرت، لعلمت ان هذه النخلات، وأثمارها ولاشجار وجناها، والمزارع وبهاها، ثمرات تلك التلال، بل تلك البلحات الحمر والصفر، والرطب الاسود، والتفاح الملوَّن، البهي العجيب، هي نفس تلك الآكام المنبوذة، والتلال المركومة، صنعتها اليد الالهية، وزوَّقتها الحـكمة الربانيـة، وصاغتها ودورتها ولوَّنتها

ومزجتها بالحلاوة ، فهذا المكروه هو المحبوب ، وهذا المنبوذ هو المطلوب وفي الأرض أمم عريقة في الجهل والوحشية كما تزعمون ، وسيقرأون العلوم كما تقرأون ، وترون منهم منظراً جميلاً ، كهذه التلال صارت بالصنعة والاعتناء ثمراً جنيا

وهكذا فاتعلموا ان الشرّ والمصائب في بني الانسان ، أشبه الاشياء بهذه التلال والآكام ، فاذا رويتموها بماء العلم ، و بذرتم فيها بذور الحكمة أثمرت لكم ثمراً طيباً ، وجنى دانياً ، فمن هذه التلال صنعت الأثمار ، و بالعبرة نمت العقول وصحت الافكار

ثم انطلقنا حتى أشرفنا على بستان جميل بديع ، خلفه سهل منبسط وراءه نهر تجري فيه المنشئات كالاعلام ، ومن ورائه جبل شاهق صعب المرتقى ، طامس الاعلام

فقال انظر ، فنظرت اذا ست مناظر تجلت لعيني بغتة ، أشبه شيء بما رآه الحكيم قابس اليوناني في العصور القديمة ، والدهور البعيدة ، قبل دولة الرومان والعرب والافرنج المعاصرين

١٥ — المنظر الاول — نساء جميلات كأنهن مومسات

١٦ — المنظر الثاني — نساء قبيحات الوجوه ، قالصات الاهدام ، عاريات الرؤوس ، مسكينات ، يخمشنَ وجوههنَّ ، ويضربنَ صدورهنَّ ، وينتفنَ شعورهنَّ

١٧ — المنظر الثالث — نساء اديبات ، مجردات عن الزينة ، ساكتات ساكنات ، وهنَّ مشيرات الى الجبل

١٨ — المنظر الرابع — ثلاث نساء كاللاتي في المنظر الثالث

١٩ — المنظر الخامس — السفن الجاريات ، تغدو وتروح في النهر ولها شرع تزجيها الرياح وآلات دائرات بالبخار ، في باطنها منتظمات

٢٠ — المنظر السادس — نساء جميلات ، بهيات المناظر ، حسان الوجوه ، محليات بالدرر كأنهنَّ شموس مشرقات فوق الجبل واقفات بأيديهنَّ تيجان بهيات ، بالجواهر مرصعات ، فلو رأيتهنَّ لقلت ، شموس في ايديهنَّ بدور ، وهناك أناس يهرولون في ذلك السهل يشير اليهم اولئك النساء بأيديهنَّ

فعجبت من هذه المناظر ، وجهلت مرجع تلك الضمائر

فقال ، أما النساء الجميلات الواقفات في اول الحديقة ، فانهنَّ تصوير لحال الشهوات الانسانية ، اذ يظن الناس انها سعادات ، وما هي بسعادات ، فالاغذية والتزوج ، وما أشبهها شملت الانسان والنبات والحيوان ، فهي ليست حقيقة السعادة ، وانما هي أشراك نصبت لقوام الابدان وولادة الولدان ، فمن ظن انها غاية السعادة وانهك فيها قواه صار لها عبداً خاضعاً ، وصارت نفسه كما ترى في المنظر الثاني

وأما هؤلاء النساء اللاتي يخمشنَ الوجوه ، ويضربنَ الصدور ، وينتفنَ الشعور ، فذلك مثال اولئك الذين ملكتهم الشهوات حتى ظنوها سعادات ، فأنفقوا اموالهم ، واصبحت ديارهم قاعاً صفصفاً ،

خوالي من الدرهم والدينار ، فصاروا لصوصاً سارقين ، او مزورين او لاوطانهم خائنين ، او لاصدقائهم خادعين ، اولئك هم الفجار الآثمون

وأما هؤلاء النسوة اللاتي تراهنَّ خاليات من الزينة وهنَّ يشرنَ الى ما فوق الجبل فهنَّ مثال العلوم التي يقرأها النـاس في المدارس الشرقيـة والغربية ، كالرياضيات والطبيعيات ، والآداب والشعر ، والموسيقى والتنجيم ، واكثر الفنون العلمية ، يظنها الناس سعادات وما هي بسعادات ، ان هي الاّ مقدمات والسعادات نتائج

فقلت ، لئن سلمنا لك ان الشهوات بعيدة عن السعادات لانها تستعبد الجهال فما بالنا نصدق ان العلوم ليست سعادات، فقال لا تعجل وتربص شرح المنظر الرابع

فأما ما تراه في السهل المنبطح من تلك النساء الثـلاث اللاتي تجردنَ من الزينة ، وهنَّ ساكنات ساكتات ، فتلك مثـال العفة والصبر ، وقوة العزيمة ، انهنَّ لشديدات على الانفس ، بالعفة تصان الشهوات ، وبالصبر تنـال أعلى الدرجات ، فاذا احكمتم آدابكم ، وصنتم شهواتكم ، ارتقيتم الى أوج السعادة

فاما ما تراه في المنظر الخامس من السفن الجاريات في البحر كالاعلام ، وما فيهنَّ من الادوات التي تتحرك بالكهرباء والبخار ، وما عليهنَّ من الشرع المنتفخة بالرياح الهابات ، فلتعلم ان المال والجاه والملك والولد وسائر ما تملكونه من اعراض الدنيا وكذا العلوم والمعارف

من الحساب والهندسة والطب والآداب والموسيقى والشعر والتصوير وغيرها كالتجارة والزراعة وسائر الصناعات منزلتها منزلة هذه الشرع المزجية لهذه السفن الجاريات الممثلات لاجسامكم

انكم يا أهل الارض لم ترضوا بالرياح الهابة ان تتحكم في سفنكم بل عمدتم الى المـاء فاسخنتموه والى بخاره فاثرتموه ، وهكذا مزجتم العناصر واستخرجتم منها الكهرباء فجرت السفائن بأمركم ، وسارت بتقديركم

فما احراكم الا تقفوا عند المال ، ولا تشغلوا بالعرض عن الجوهر ، وان تعمدوا الى الفضيلة والحكمة حتى تنفتح اعين بصائركم ، وتشرق الحكمة من قلوبكم ، حتى اذا عصفت عواصف الحدثان ، وتقلب الجديدان ، وذهب الأطيبان ، وتألبت المؤتفكات ، رجعتم الى قلوبكم ، ونلتم سعادتكم ، كما سيرتم السفن بأمثال هذه الصنائع

فقلت اذن لا قيمة للمال ، ولا فضيلة في العلوم ، ولا خير في البنين والاصحاب ، فقال يا هذا كل ما ذكرته عون على السعادة عند ذي الفضيلة ، فمن حرم الفضيلة كانت كل هـذه وبالاً عليه ومن حازها كانت مدداً لسعادته ، وزيادة في جماله وبهجته ، فالجاهل قليل الثمرات ، والفقير عديم المبرات ، املأ القلب والعقل علماً ، واليد مالاً ، واستعن بالأصحاب وكن كما تشاء في الدنيا ، على شريطة ان تتم حكمتك ، وتبقى عفتك ، وتظهر شجاعتك ، فالمال والعلوم والجاه والولد ، تصلح لخيرك وشرك ، ونفعك وضرك ، وكما يحزن العنين لحرمان الولدان ، يشقى الوالد بابنه الكسلان

وكما ترى في الجهلاء من هم لاخوانهم خادعون، ولأوطانهم خائنون، فهكذا ترى في الشعراء والادباء والعلمــاء من ينافقون، ويمكرون، ويخادعون اخوانهم وهم في الشقاء خالدون، وكما ترى الصعلوك يحزن لذلته، ويشقى لرثاثة حالته، كذلك ترى الملوك والامراء في شقاء دائم، فاذا اتسمت نفسك بالفضيلة فالمال والجاه والعلوم بها اولى لتكون شجرة جميلة الازهار غزيرة الاثمار نضرة الجمال

أما هذا المنظر السادس وهو النساء اللاتي تراهنَّ فوق الجبل فانهنَّ يمثلنَ الحكمة والفضيلة التي اشارت لهــا تلك العلوم وسهلت سبيلها الاخلاق، ويقطع السبيل عنها الشهوات، فاسع اليها، ولا تنم بالجهل عنها فانك اذن تكون من السعداء المصلحين

وما العلوم الادبية الا كالترجمان يفهم الحكمة وما أقل العاقلين

وكما ان معرفة اللغات الاجنبية وسيلة للعلوم لا مقصودة بالذات، فهكذا العلوم مقصودة لغيرها، وهي الحكمة والسعادة والفضيلة، فمن اصغى الى نصائح تلك النساء المشيرات لقمة الجبل الممثلات للعلوم، رقى اليه وحظى بالتاج والجمال، وما أقل السعداء سعادة حقة في العالمين

ألا وان السعادة سعادتان، سعادة وقتية، وسعادة دائمة. فسعادة الجهلاء وقتية. كالذي يتخطى عقبة الى عقبه. ويعبر خندقاً فيقابله خندق. وذلك بالحظوظ الوقتية من المال والجاه والعبيد والسلطان وامثالها. وأما السعادة الدائمة فهي التي نصبوها من انفسهم وخبأوها في عقولهم واودعوها في ارواحهم. وهناك سعادة عامة تجمع الامم جمعاء

وهي ان تتعاون الامم على عمارة الارض، وسيصلها نوع الانسان في مستقبل الازمان

☆ ☆ ☆

النفس

٢١ — ثم انطلق بي حتى علونا الجبل بعد ما كادت نفوسنا عند الغلصمة، وشاهدنا من آيات الجمال والبهاء والحسن مالا يحلم بها اكثر العالمين، ولبسنا التاجين، ونلنا الحسنيين، ورأيت جنة خضراء زينة للناظرين، لا استطيع وصفها، ولا اعلم كنهها، قد ازينت للمدكرين واعدت للعاقلين المفكرين، فلما سرنا بجانب خليج من جلجانها، ماؤه لجين، ذي ضفتين خضراوين زبرجديتين نظر الى بخار مائه يصعد في الجو بحرارة الشمس، فتبسم ضاحكاً كالمستهزئين، ثم لوى كشحاً كالساخرين، فقلت مِمَ تضحك ؟ فقال :

انظر البخار، اذ علا في الجو وطار، فان بعض علماء النفس عندكم يزعمون انها نفثة من نفثات الجسم، وعرض عرض لامتزاج العناصر، ومزاج الذرات المتفاعلات، فكأنهُ هذا البخار المتطاير، ولو صح ما قالوه لنسي العاقل اليوم ما قرأه امس، ولمحيت سطور لوحه بالطمس، وكيف ينام الرجل ويستيقظ ثم يتذكر ما فعله في امس الدابر، ويحصر في عقله ما وعاه من ايام صباه، ويجمع القديم والحديث في بخار ضعيف، ومن تذكر بعد النوم ما عمل من قبله،

فسوف يذكر عند الموت وبعده، ما سطر في لوح عقله، ولو كان ذلك اللوح كهذا البخار، ما بقي يوماً او بعض يوم، وكيف يبقى امداً طويلاً والجسم يتبدل في بضع سنين ؟ فما اكثر الجاهلين من الآدميين

الماء اكسوجين واودروجين، والحرارة الشمسية اخرجت بخاره، والجسم اجزاء وعناصر تتقد ناراً بالتفاعل، وتعرض لها عوارض بالتمازج، واعراض الاجسام من الحرارة الغريزية والمفاعلات الكيماوية، كاعراض الماء بالحرارة الشمسية، فاذا تجدد اول العرضين بالمشاهدة والعيان فما احرى ثانيهما بالتجدد وما احقه بالدثور، وكيف تبقى اراؤكم وعلومكم واخلاقكم ومحباتكم طول الحياة والجسم دائم التحليل والتركيب واعراضه متجددات على اعداد اللحظات ان في ذلك لآيات للمتفكرين

النفس شقيقة المادة، انهما اختان تارة تجتمعان واخرى تفترقان، ولكل منهما صور واعراض، فليعتبر العقلاء، وليتذكر اولو الالباب

ثم قال اننا نضرب لأطفالنا الامثال بمثل ما شاهدت الآن * ثم أبصرت آساداً كآسادنا وأسلاك التلغراف ممتدة على الاعمدة الخشبية * فقال ان هذه عندنا كمحال الآثار عندكم، فاذا اردنا تدريب ابنائنا على الاستنتاج في احوال كوكبنا او الكواكب الاخرى، اريناهم اشكالها، ونصبنا لهم اثارها، وقلنا لهم اكتبوا عليها بأسلوب كما سأريك الان، تطبيقاً على المشاهدة والعيان * الا فاسمع الحكمة مني، وخذ العلم عني، واعلم انه ضل ابن آدم بخصلتين، فضل المنطق،

وفضل السلاح * فأما فضل المنطق ، فأنه اذا رام اهتضام حق ، او غصب ملك ، عمد الى الاقوال فزينها ، وقصد الى الكتابة فنمقها ، ولبس الحق بالباطل ، وأبرز الكذب في صورة الصدق ، وزخرف القول زوراً ، فيرفع من شأن نفسه ، ويحط من حق غيره ، في المجالس والطرقات ، والمعابد ، وعلى صفحات الجرائد ، وينشر ذلك فيما شاء من دولة ، ويفيض به فيما اراد من امة . حتى يخيل للسامع انه حق ، فيعطف على القائل ، ويذعن للقول ، لا سيما في هذا الزمان ، الذي تفرعت فيه فروع البريد البخاري ، والبرق السلكي ، والبريد الاثيري ، بتلغراف (مركونى)

واعتبر ذلك في الأمم الغالبة ، فتراها تكذب وتنشر الاقاويل المنفرة عن الامم الضعيفة ، لتستمرئ ابتلاعها ، وتسوغ هضمها ، ظلماً وزوراً * وما اسرع تصديق الناس ، وما اكثر خطأهم ، وما أشدّ جهلهم ، فان اكثر الناس لا يعلمون

فأما فضل السلاح ، فذلك ان ابن آدم دافع عن نفسه قديماً ، تارةً بالحجر ، وأخرى بالعصا ، وآونة بالمدر ، وطوراً بالحديد ، ووقتاً بالرصاص ، فظن ذلك الامر الاضطراري جبلة راسخة ، والعارض ملكة ثابتة ، فتوغل فيه ، واخذ يتفنن في السلاح والكراع * جعل ذلك مقدماً على غيره من الاغذية والادوية والملابس

جهل الانسان أصله ، ان الانسان لكثير النسيان * كانت الحرب للمدافعة ، فاتخذها للمطاردة * وقام المدني على نهج الوحشي ، فهو ظلوم

وابن ظلوم · جهول وابن جهول ٭ كفور وابن كفور ، كان الكلام للافهام · فجعله للخصام ، واهتضام الحقوق · وخراب المدن · واخافة الامنين ٭ فلعمرك لقد ضل ابن آدم بخصلتين فضل المنطق وفضل السلاح

هذا ما اردت ان تعتبر به من الآساد والاسلاك البرقية وهو المنظر الثاني والعشرون ثم انظر الى هذه الاسلاك من وجه آخر وهو :

وحدة الانسان

نوع الانسان كرجل واحد ، ودليلنا على ذلك اسلاك التلغراف الممتدة في الهواء ٭ ألا ترى انها اشبه شيء بتلك الاسلاك الشعرية ، التي تنوف على ثلاثة آلاف عصب شعري ، تبتدئ من تجويفي الاذنين ، وتتصل برملات صغيرات قد لا ترى با كبر المجاهر المعظمة ، وجميعها واصلة الى الدماغ ، فاذا ورد على الاذن صوت التقطه عصب من تلك الاعصاب الدقيقة المتصلة برملة من تلك الرملات واوصله الى الدماغ فأحسَّ به الانسان ، ولكل صوت سلك عصبي من تلك الاعصاب يوصله الى الدماغ ، وما اكثر أنواع الاصوات في العالم ، وما اكثر الاسلاك العصبية . فلكل صوت من تلك الاصوات عصب من تلك الاعصاب ، كما ان لكل عرق من عروق النخلة عملاً خاصاً في التغذية ، اذ تجتلب العناصر الارضية ، وتوصلها الى اجزاء النخلة العلوية

ولما كانت اجزاء النخلة كثيرة من اغصان والياف وجمار و بلح ونوى وجذع، كثرت الفروع ودقت ووزعت الأعمال عليها توزيعاً متقناً ، واتصلت عروقها الأرضية بطوائف من الأنابيب الدقيقة الممتدة في جذع النخلة الواصلة الى الاغصان والالياف والجمار الى آخره ، هكذا كانت الاصوات الواصلة الى آذان الانسان السارية في الاسلاك العصبية ، المبثوثة في الأذن الواصلة الى الرأس ، وهكذا كانت اسلاك التلغراف ، توصل الاخبار من امة الى امة ، ومن قرية الى قرية ، ومن انسان الى انسان

فوضح ان الانسان كله شخص واحد ، له اسلاك خارجية تشابه الاسلاك الداخلية ✲ وهل الحيوان له في هذا نظير ، وهل له وحدة تجمع اشتاته كما جمعت الانسان

لا جرم ان الانسان أقرب للاتحاد ✲ فقتاله وحربه جهل فاضح وظلم واضح وغفلة عن الصراط المستقيم ثم قال

الماديات والمعنويات

الجنس البشري الارضي تردد بين عاملين ، المادة والروح ✲ فأما البوذيون والبرهميون ومن على شاكلتهم من الصين والهند ، ومن نحا نحوهم من بعض متأخري المسلمين وقدماء المسيحيين ، فانهم احبوا التجرد عن المادة ، والتخلي عن الشهوة ، والانقطاع الى العقل والتبتل ، والدخول في باحات الارواح وساحات الخيال ✲ ومن كانت هذه

حالهم ، تألبت عليهم الامم ، وغلبتهم الطاغية

واما الماديون من الرومان و بعض فلاسفة الافرنج الذين جنحت هممهم الى تقوية المادة ، فأولئك الذين يرقبون غفلة غيرهم ، وينكلون بهم ، ويؤذونهم اذى شديداً ، ويعذبونهم عذاباً أليماً ثم تدور الدائرة عليهم ، اذا طغوا و بغوا فيصبحون في ديارهم جاثمين

الا وان طريقنا الذي نختاره ان تأتلف القلوب وتتحد النفوس وتتعاشق الارواح ويصبح الانسان كله كانسان واحد ناظم أمر الجسم والروح ، ثم ليتحدوا في اعمالهم ثم قال

الوحشية

الوحشية في العالم صنفان ، طبيعية وصناعية ٭ فوحشية الآساد والصقور اقتضتها الطبيعة الكونية ، والحكم النظامية ، لتزاحم الناس والحيوان ، لازالة الرمم ، ودفع الغمم ، المعفنة للهواء ، المميتة للاحياء ٭ ووحشية الانسان صناعية جاهلية ، اكسبته اياها عوائد الجاهلين ولصقت بهِ لصوق العار للفاسقين ، وعادات السوء للغاوين ٭ انكم يا معشر أهل الارض جهال ضعاف العقول ، اولا ترى كيف تدليتم الى الحضيض الأسفل عن السباع والضباع والذئاب والكلاب ، اذ صرفتم قواكم الى القوى الدفاعية والهجومية ٭ ألم ترَ كيف كان مجموع دين ممالك اوروبا سنة ١٨٧٠ — ٤,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ اربعة بليون جنيه وقد بلغ الآن ٦,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ستة بليون جنيه صرفتموها

على الجيوش الجرارة ، والسيوف البتارة ، والمدافع الضرارة ٭ وانظر الى هذا الجدول تعرف عدد الجيوش وما يصرف عليها كل سنة

المالك	عدد الجنود	ما يصرف سنوياً
بريطانيا	٤٢٠,٠٠٠	٦٥,٠٠٠,٠٠٠
روسيا	١,١٥٠,٠٠٠	٤٦,٥٠٠,٠٠٠
المانيا	٦٦١,٠٠٠	٤٣,٨٠٠,٠٠٠
فرانسا	٦٢٠,٠٠٠	٤١,٠٠٠,٠٠٠
النمسا والمجر	٣٨٤,٠٠٠	١٩,٤٠٠,٠٠٠
ايطاليا	٣٠٥,٠٠٠	١٧,٠٠٠,٠٠٠
اسبانيا	١٠٠,٠٠٠	٦,٧٠٠,٠٠٠
السويد والنرويج	٧٣,٠٠٠	٥,٥٠٠,٠٠٠
تركيا	٣٧٠,٠٠٠	٤,٨٠٠,٠٠٠
هولاندا	٣٥,٠٠٠	٣,٦٥٠,٠٠٠
بلجيك	٥٠,٠٠٠	٢,٥٠٠,٠٠٠
برتغال	٣٤,٠٠٠	٢,٦٠٠,٠٠٠
سويسرا	١٤٨,٠٠٠	١,٣٠٠,٠٠٠
اليونان	٢٣,٠٠٠	١,٢٠٠,٠٠٠
دانمارك	١٤,٠٠٠	١,٢٠٠,٠٠٠
بلغاريا	٤٣,٠٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠
الولايات المتحدة	١٠٧,٠٠٠	٤٠,٠٠٠,٠٠٠

أليست تلك المبالغ واولئك الجند خسارة وحسرة على الانسان *
أفليس ذلك دليلاً على انكم تنزلتم عن الحيوانيـة ، وابتدعتم اقصى الوحشية ، وجهلتم انفسكم ، وتربصتم ، وارتبتم ، وغرتكم الاماني ، وغركم الغرور

لقـد حق القول عليكم ، فأصبحتم لا تعلمون من الانسانية الا الوحشية ، ولا تفقهون من الحكمة الا البهيمية

فامتعضت لهذا القول وانكرته واستهجنته * فقال او تنكر الشمس في رابعة النهار . او تكذب ما صدقه العيان * ثم قال اين انتم من الحكمة المقدسة ، والحكمة الذهبية ، والحكمة العالية ، والحكمة الزاهرة ، والحكمة الجميلة ، والحقيقة المحزنة * فقلت وما الحكمة المقدسة ، والحكمة العالية ، والحكمة الذهبية ، والحكمة الزاهرة ، والحكمة الجميلة ، والحقيقة المحزنة * فقال

(١) الحـكمة المقدسة

لقد ضل اكثر الفلاسفة والسواس في ارضكم * ان للـناس شهوتين ، احداهما للطعام وللشراب ، والأخرى لحب الزواج ، ثم شهوة الغضب حافظة لهما ، والعقل مدير للجميع

يا عجباً لهذه الحـكمة ، المعدة بها الحياة من الولادة للموت ، اذا عدمت عدم الحيوان ، اما حبه للزواج فانما يستطير شرره ، ويظهر اثره ، اذا تبدى نور الشباب ، وازدهرت ازهاره ، فبهر الجمال ، وضاء انواره

ولا شوق للزواج في حالي الصغر والكبر ، فليس له في الحالين من خبر * فشهوة الطعام للحياة ، وحب الزواج لبقاء الانواع لا الاشخاص * كيف لا وقد عاش الخصيان بدونها ، و بقى العنين والمجبوب ولا اثر من تلك الشهوة عندهما ، ولا خامر حب الاقتران قلبهما

وهل يعيش المرء بلا معدة ، كلا * (فقلت في نفسي يا رب ما هذه المقدمات وما علاقتها بسياسة الامم) لا جمال الا حيث مظنة الحمل * فاذا ضعفت غاض ماء الجمال ، واعقبه نور الجلال * حب الزواج تسخير للناس في المنافع العامة * الا انما يخدمون غيرهم ، و يضعون في الارض امماً تخلفهم * و يا عجباً كيف استحالت الشهوة والعشق جيوشاً وجنوداً ، وعظماء وقواداً * ان الناموس الطبيعي سخركم ، بل سحركم لفعلين اثنين ، حياة انفسكم ، وحياة غيركم المسمين بالبنين * اعمالكم اذن نصفان ، نصف لكم ، ونصف لغيركم ، وانتم مدفوعون مرغمون بقاهر يسمى حب الزواج ، ولم تحرصوا على هذا الا حيث صح منكم الولد حال القوة ، فكان لغيركم لا لأنفسكم مقصوداً

ليس حب التناسل مقصوداً لذاته كالسماع ، فسماع الاغاني محبوب لجماله ، وسر الاقتراب والشهوة مرغوب لانجاب البنات والبنين * الا ان لذة الانسان بها سياسة قهرية ، وشهوة سخرية ، انكم تخدمون الابناء لنفس الابناء ، ولا حظ في الحقيقة للامهات والاباء الا الفضيلة العالية ، والهمة الراقية * اذا قصد احدكم منفعة نفسه من ابنه ، فذلك

لضعف فطنته ، وقلة خبرته ☆ الا ترى الدجاجة والحمامة وسائر الحيوان يخدمنَ ابناءهنّ ، ولا يبتغين المنافع منهنّ ☆ انهن يسعين في مصالحهنّ لنفس الذرية ، لا للمنافع الذاتية ☆ وكثير من الناس يموتون قبل ان ينالوا حظاً من ابنائهم

فالقضية الصادقة ، ان الحيوان والانسان يخدمان الابناء لنفس الابناء وسعادة الذرية

الامة كانسان ، وجمعية الحيوان كحيوان ☆ قد ألفت الغربان جمعية ، وكلاب البحر قرية ، والنحل والنمل لها نظامات حسب حاجتها ، جماعات جماعات ، على مقدار حاجتهن ، فعمل الواحد في النمل والنحل للمجموع كعمله لنفسه ☆ الانسان اليوم لم يرتق عن الحيوان في الجمعية ☆ واذا كان الحيوان ساعد ابناءه ونظم جمعياته ، فما امتياز الانسان عن الحيوان الا الخدمة العمومية للجمعية الانسانية

لو ان الامم عرفت استعداد الانسان لخدمت الامم كلها خدمة واحدة ، ولعملت لأنفسها قسطاً ولغيرها قسطاً ، كما رأينا الفرد يعمل لنفسه نصفاً ولغيره المسمى ابناً نصفاً آخر ☆ غفل الناس غفلة عظيمة

اوَّاه ، ياليتهم قرأوا علوم النحلة ، هذه النحلة الصغيرة الضعيفة اندمجت في مجموع الكوارة العسلية ، ودخلت في زمرة الجمعية ☆ فتصور انها كبرت فصارت انساناً واعطيت مواهبه ، واخذت في الكون مراتبه ، فاقسم بالعلم وشرفه ، والفضل وتاجه ، انها تكون جمعية كلية ، في سائر الكرة الارضية ، ولكانت خير من عمر الارضين ☆ ووالله

يا بني الانسان ان لم تقلعوا عن اعمالكم، وترجعوا عن غيكم . لتبتلعنكم الارض اجمعين، ويخلفكم عليها قوم آخرون * فلستم للخلافة صالحين، ولا في عمارة الارض بمصلحين

الا لا ينتظم حال الانسان، الا بمثل هذا الميزان * الامم اليوم جاهلة، يعوزها الحكماء المصلحون، والقادة الراشدون، ولمثل هـذا فليعمل العاملون * فلما اتم مقالته سألته وما الحكمة الذهبية

(٢) الحكمة الذهبية

فقال ألستم مغرمين بالفضة والذهب، عاشقين لجمالهما، هائمين بحسنهما ونضارتهما، وحسن نقشهما، ورقشهما * فقلت بلى * فقال اوليست الشمس انضر وجها من الدينار والجنيه، وابهى ضوءا، وابهر لألآء * اوليس القمر والكواكب أحسن اشكالاً واجمل بهاء وازهى نوراً من الفضة وبريقها، فكيف استبدلتم حب الذي هو ادنى بالذي هو خير * (فتعجب من هذا! الاعتراض البديهي البطلان * وقلت يا ليت شعري، اي هاوية اراد أن يقذفني فيها، واي حفيرة يرديني بقاعها) * فقلت له ما عشقنا جمال الذهب الشمسي، ولا بريق الفضة القمري * وانما هيامنا بمنافعهما، وقضائهما حاجاتنا * وكم جميل ظاهره نبذناه اذا ساء مخبره، فنحن ان راقنا جمالهما فذلك لمعنى مخبوء فيهما وجمال باطني مغطى بسناهما * ولقد جرت العادة ان الجمال الظاهري يغلب ان يصحبه الجمال الباطني، في اكثر الأحوال، جمال الشكل

دليل الاعتدال ☆ فرأيتهُ يتهلل وجهه ؛ ويشرق سناه ☆ فقال اذن انتم لا تحبون الاشياء الا لحقائقها ؛ ولا تراعون الا فضائلها ☆ قلت نعم ☆ قال كلا والله . لم تصلوا قرب الكمال . ولا تزالون عن الحكمة مبعدين . وعلى الجهل في الحب عاكفين ☆ يا هذا ان الفرس ليحب من قدم له العلف اكثر من حب سيده الذي اشتراه ، واغدق عليه النعم وواساه ☆ واذا قذفت الكلب بحجر أخذ يعضه ويعاقبه لقصر نظره . وضعف فطنته ☆ لقد قلت انكم تحبون النقدين لقضاء الحاجات ☆ فمن تقضون حاجاتكم ؛ ومع من تستبدلون نقودكم

فقلت مع افراد الانسان ، فقال وماذا تشترون ☆ فقلت الاغذية النافعة . والملابس الدافعة ؛ وغيرها مما له الحاجة داعية ☆ فقال ومن يصنع ذلك ؛ فقلت الانسان . بالعلوم والعرفان ☆ فقال اذن المحبوب في الحقيقة نوع الانسان ☆ ما اجهلكم . لو لم تكن العلوم والصناعات العامة في الانسان ، فمن تبتاعون ☆ لولا الانسان ما كان للنقدين معنى معقول ؛ ولا لقضائهما حاجاتكم سبيل مسلوك

يا هذا احببتم الذهب ؛ احببتم منافعه ، اجبتم ما ينفعكم ؛ احببتم عمل الانسان ، احببتم الانسان ☆ من كره الانسان فقد كره عمله . كره ما ينفعه ؛ كره نفسه ☆ ومن اجهل ممن أبغض نفسه

ألا ان ذلك نقص شائن ؛ وجهل فاضح ؛ وعذاب أليم . وتناقض غريب ☆ اين المناطقة . اين الفلاسفة ؛ اين الحكماء . اين العلماء ، اين العقول ☆ قد ثبت بالبرهان ان الامة من اممكم تحب نفسها وتكرهها ☆

وهذا التناقض امره عجيب ☆ نظركم قصير وعقلكم ضئيل

الذهب والفضة سحاب حال دونكم ودون شمس الانسانية ☆ فالانسان معشوق الانسان ☆ الانسانية شمس اضاء نورها في الخافقين ، فحجبتها سحب الطمع ، وكسفتهـا بدور الفضة ، وغطاها النضار ☆ المحبوب من الشمس ضوءها ، ومن الانسان علمه وعمله ، فان رأيتم ان تكونوا احراراً ، فلا تعبدوا درهماً ولا ديناراً ☆ ولتعلم امة امة العلم والحكمة والصناعة اعلاناً واسراراً

حبكم الذهب والفضة رمز عجيب لسر غريب ، رمز لكم كي تحبوا من تعاملون ، كما ان حب الزوجين رمز لما سيكون بينهما من ولد محبوب ، ونسل مرغوب ☆ فما احبت الفتاة الفتى ، ولا هام الفتى بالفتاة ، الا لمعنى مستور عنهما ، ونور واضح في جباههما ، ألا وهو الولد ، الذي خباه القدر هناك ، وطواه الغيب واسدل عليه الستار ☆ فاذا قبل الوجنتين فانما يستخرج بفيه ما كنزته الحكمة في الجثمان ، من الاناث والذكران ، ثم يبقى بين الزوجين صافياً لا شية فيه ، وحقاً لا باطل يعتريه ، ونوراً لا شهوة تخالطه ، اذا داما ازماناً ، وانجبا اولاداً

هكذا فليكن حب النقدين ☆ فالمحبوب بالتحقيق ما وراءهما من نوع الانسان ، وتحليه بالعلوم والعرفان ☆ أفليس من العجب ان تجمعوا بين الضدين ، وتسلكوا سبيل النقيضين ☆ تحاب الزوجان ، فولدا الغلمان وعمرا البلدان ☆ فلتتحاب الامم الانسانية ، ليلدن سعادة الانسان

فلما فرغ من مقالته اجبت ، ان نوع الانسان متحابون * واذا تجاذبت الكواكب بأجرامها ، وعشقت السيارات الشمس ، (والاحجار وكل ما فوق الارض عشقتها وانجذبت اليها) فان عشق الانسان للانسان روحي معنوي * ولا جرم ان عشق الروح ارقى من عشق الجثمان * فقال هذه اقوالكم المعروفة . ولكن اين الاعمال * انما تحاب الافراد يعطى الامم وتحاب الامم يمنح السعادة

فقلت وما الحكمة العالية فقال

(٣) الحكمة العالية

(النحلية) انظر يعسوب النحل . كيف يـدبر النحل في بيوته الشمعية ، وقصوره العسلية . لذريته الكامنة في البيض المفرق على البيوت ، وما يصنعه من اصطفاء الذ العسل وانقاه . واخلصه واشهاه . واحسنه وابهاه ، للذي سيكون ملكاً الذرية ، وكيف خصص له خدماً وحشماً ، وجعل له من العناية والرعاية ما ليس لسواه من السوقة والرعايا ، من الخناثى والذكور النحلية ، التي لكل بيت من بيوتها نحلة واحدة تخدمها ، وعسل معد لحياتها

كل ذلك يفعله النحل وانتم عنه غافلون * وهل ذلك لشهوة من الابناء يبتغيها ، او ثمرة يجتنيها ، او حاجة يقضيها ، كلا ، والله * فعل ذلك بغريزته * انه عبرة لكم وتعليم * الانسان اضعف في ذلك غريزة ، واكبر عقلاً * فهلا رفع نفسه الى مرتبته ، وترقى الى

درجته ، فاعتبر كل امة من اممه شخصاً ، وحلت الامم في الانسان ، محل الافراد في الحيوان ، وحاطت الامة غيرها برعايتها ، وعطفت عليها عطف النحلات على ابنائها ﴿ والاّ فما الفارق اذن بينكم و بين النحلات ، تلد وانتم تلدون ، وتربي وانتم تربون ﴿ الفرق انكم اوسع ادراكاً ، وارقى شأنا ، فلتربوا الامم كما تربون الذرية ﴿ وليكن سائر الانسان على سطح الكرة الارضية ، ككوارة واحدة ﴿ والا فلتكبروا على عقولكم اربعا لوفاتها

النحل بلغت النهاية في الرعاية ، ورقت أعلى صفة في الهندسة ، ووكل لغريزتها تشكيل ابنائها ، وبناتها ، ونظام ذريتها ﴿ والانسان حرم هذه الغريزة ، ومنع هذه الفضيلة ، وتكفلت الفطرة بتشكيل الذكران والنسوان ، ونظام عددهما ، وتقارب مقدارهما ، وقيل للانسان ضع كل امرىء في درجته ، واقم كل امة فيما اعدت له ﴿ قسمنا لك الذكران والنسوان ، وعدلنا في تعدادهما ، وتقسيم الغرائز النافعة على افراد نوعهما ، ففتش عن الغرائز ، وابحث عن الطبائع ، واستعن بكل من الافراد والامم على ما خصص له بفطرته ، ومـا هيء له بغريزته ، تقول الحكمة الالهية للانسان ، وكلنـا للنحل امر بدايته ، وعليها اعناه ولم نبح له ان يتخطى حدها ويتعداه ، وقد احكمنا لك امر البداية ، فتول انت شأن النهاية ﴿ فقلت له وما الحكمة الزاهرة فقال

(٤) الحكمة الزاهرة

لقــد احسن علماء التشريح والنفس · عرفوا تقسيم الاعمال الانسانية ، والحركات الحيوانية ، فألفوها موزعة على اجزاء المخ ، منظمة مرتبة ، والناس عنها غافلون

للعين مرآتها في موءخر الدماغ ☆ وللاذنين مرآتاهما في الصدغين متخالفتين بحيث ترتسم آثار الاذن اليسرى جهة اليمين ، وآثار اليمنى جهة اليسار

عرفوا ان اعصاب الحركة اقرب الى المقدم والجبهة حول الشق الداخل في الدماغ ، الذي اكتشفه العلامة (رولاندو) الالماني ، ومعهـا الاعصاب المحركات للسان ☆ ادركوا كيف كان للغات لوح منقوش نحو وسط الدماغ ، وللحروف المكتوبــة لوح محفوظ نحو اعلاه ، لوح الكتاب مخلوق وهو عند العامة غير مكتوب ، وعند المتعلمين مكتوب

كل ذلك عرفه العلماء بالتجربة ، وادركوه بالتمرين ☆ هكذا بحثوا في انواع الحيوان · من سمك يعوم ، وحمام يطير ، وصقر يصيد · وقرد ذي تقليد ، وانسان ذي بيان

لو زل المخيخ الذي خلف المخ لاختل سير الانسان ، وزاغ · ودار على نفسه في مشيته ، وضل في اعماله ☆ رتبت احوال الانسان على الدماغ ، فموءخره لنظام العين · ومقدمه لسائر الحركات ، عجب

عجاب ☆ حقيقة ادركها الطبيعيون ، فياليت شعري ، ماذا فعل الحكماء والسياسيون ، انتم والله نائمون غافلون

يا حكماء الامم ، ماذا فعلتم ، ماذا ادركتم ، ماذا فهمتم ، حرام عليكم حرام ، لكم عقول فأين نتائجها ، وآذان فأين مدركاتها ، وابصار فأين غاياتها ، الانسان غافل نائم ساه مسكين ☆ يا حكماء الامم ، يا عظماء الرجال ، خبروني أليس الانسان كله كشخص واحد ، وهل الفطرة التي نوعت الاعمال في الدماغ ، ووزعت الادراك ، والحركات على انحاء المخ ، يغفل مبدعها ، و يأنف صانعها ان يقسم الاعمال الانسانية ، على سائر الآدميين ، من سكان الكرة الارضية

جهل الناس ان جهل امة ، او ضعفها ، راجع بالضعف على الباقين ☆ انما الارض كالجمجمة ، والناس على سطحها موزعة عليهم الاعمال ، توزيع القوى على سطح الدماغ ☆ تعاونت قوى الدماغ ، فهل تعاونت الامم على اديم الارض تعاون قوى الدماغ على ظاهر المخ ☆ الا ان الناس صالحون فرادى ، ضالون جماعات ☆ فقلت وما الحكمة الجميلة

(٥) الحكمة الجميلة

قال وهل اتاك نبأ الحكمة الجميلة ، والجوهرة البديعة ، واليتيمة الفريدة ☆ ان الناس يحبون من اغدقوا هم عليهم النعم ☆ وليس المنعم عليهم بأشد حباً لمن اسداهم المعروف من المحسنين لهم ☆ فقلت اوضح

المقال ، فقال الوالد والمعلم والحكيم والنبي أشد حباً للولد والمتعلم وقارئ الحكمة والمؤمن من الآخرين للأولين * فقلت زدني ايضاحا ، فقال الوالد يحب ولده ، اكثر من حب الولد له ، وهكذا المتعلم مع الاستاذ ، وسائر المحسنين ، ألا ترى ان اولئك المحسنين يرون في ابقاء صنائعهم احياء لمجدهم ، وتخليداً لذكرهم ، وشرفاً عظيماً لهم * ولا جرم ان رب الدين يحبّ بقاء المدين ليستوفي دينه

ألا ان اولئك اشبه بالمدينين ، والأولون اشبه بالدائنين * ولو ان الامم عرفت النافع والضار لأحبت بقاء جاراتها ، وسرها تعميرها الأرض ، ورقيها وحضارتها ، لا سيما اذا ادركنَ ما بينهنَّ من التضامن في المنافع ، وعملت كل منها لغيرها عملاً مقصوداً بالذات ، مخلصة في نفعها ، دائبة على اخلاصها ، فيصبح الناس اجمعون محبين محبوبين ، وترى كل امة محسنة لغيرها مدينة لها ، ولكن اكثر الناس لا يحبون الا بالرياء ، ولا يعملون لسواهم الا وهم يخادعون * فقلت ان الانسانية سائرة على هذا النهج القويم ، فالتجارة متبادلة ، والحياة مشتركة ، والصنائع موزعة ، والاسواق آهلة نافعة ، والمدارس عامرة * فقال كلا ، ولكنها الحقيقة المحزنة ، فقلت فأفدني ما الحقيقة المحزنة

الحقيقة المحزنة

قال الامم الانسانية اليوم تحسن لغيرها طمعاً في ابتلاعه ، وحباً في اقتناصه ، فعلها مع الشياه المعلوفة ، والبقر السائمة ، والجمال السارحة ،

يربي الرجل الشاة ويذبحها، فيذهب شرهه برحمته، وحرصه بشفقته، وطمعه بعطفته * قد غلبت شهواته رحماته، واماتت حرصه وجدانه * اذا ساغ هذا مع الشياه فكيف يسوغ مع الانسان

هكذا فعل مع الانسان، وقرنه في عقله مع الخرفان، فلا فارق عنده بين الحيوان والاخوان * واذا اطعم اخاه فانما يطعمه ليكون له طعاماً * والامم الراقية لا تمتاز عن الهمجية في هذه القضية، فان خدموا غيرهم، واصلحوا ارضهم، وساعدوا ابناءهم فانما ذلك ليكونوا لهم مسخرين * الخراف عندهم والانسان سواء * جهل الناس عقولهم، واذا اجتمعت طائفة من العقلاء وتشاورت، فانما يتبعون أخس الآراء، كمثل السباع الضارية * ذلك لان كل فرد يسند الرأي للمجموع ويحمل بهم على الجموع * ان الانسان لظلوم كفار جهول

ثم اوما الى غلمان وراءه، وكلمهم بما لا افهم، اذا كتاب مطبوع بالتصوير الشمسي بحروف انجليزية وهو كتاب اللورد اڤبري (The Peace and Happiness) فأراني في صفحة ٢٩٢ عبارة في فصل تحت عنوان (The Peace of Nations) فقرأت ما ترجمته *

قال أحد السياسيين اليابانيين * لما كانت اليابان لا تهتم الا بالصناعات القيمة، والفنون الجميلة، والأعمال الشريفة، كانت اوروبا تعدهم نصف متوحشين، وتسومهم سوء الذم والمقت اجمعين * فلما ان اهلكوا خميساً عرمرما من الروس، وازاحوا عن ابدانهم الرؤوس، قالت اوروبا انهم قوم متمدينون، واناسي صادقون، ثم تناول مني الكتاب *

وقال وهل تريد برهاناً على ضعف قواكم العقلية . وملكاتكم الانسانية ، أقوى من هذا البرهان

مساكين يا أهل الارض . اذا رجعت الى قومك ايها الانسي فخبرهم انهم للعذاب معرضون . وللهوان مسارعون . اذا داموا على ضلالهم المبين فتلقَ نصيحة السيد (جامون) بقلب واعٍ . وفؤاد حافظ . و بلغها لأهل الأرض لعلهم يعلمون

فرجعت اذا السيد (جامون) متربص قدومي . منتظر رجوعي ☆ فلما رآني واستقر بنا الجلوس . قل يا ابن آدم الأرضي لا تحزن ، فسألقي عليك درساً فانشره بين الامم ، وقل لهم ينعموا النظر وليشرحوه ، وليفكروا فيه ، بعقولهم ، ولترسله الى مشارق الأرض ومغاربها ☆ فقلت لك الشكر وعلى السمع والطاعة ☆ فقال واني سائلك قبل نصيحتي عن اممكم العظيمة ☆ هل داووا جراح الحرب ☆ فقلت نعم بمحكمة (لاهاي) يحكمون فيما اختلفت فيه الأمم من صغائر الامور ☆ فقال وهل هذا دواء

ألا انما مثلهم مثل الطبيب المأجور الذي لا يبالي بالمريض (اذا آنس فيه امراضاً ظاهرة ، لها اصل خفي في الاعضاء الباطنة ، داوى القروح بالمراهم ، وترك الباطن ، فلم يستأصل داءه ، ولم يستقص اصله ، ويقطع جذوره من اعماق الجسم) ☆ ذلك مثلكم

فقلت هناك اطباء يداوون الجرحى ، من وخز الأسنة ☆ وطعن الرماح ، وفتك المدافع ☆ فقال وما منعهم ان يقتلعوا المرض بالحكمة ،

والفلسفة ٭ وهلا دعت امة منهم العلماء المغرمين بمنفعة النوع الانساني ، فاصطفت من كل امة رجلاً ، سواء في ذلك امم المشارق والمغارب ، لينظروا في التحاب والتواد ، والتعليم العام بين الامم ٭ واني سأضع لكم مباحث ، تدور عليها محاور ابحاثكم وآساساً تبنون عليها قصور علمكم ، وتشيدون حصون حكمتكم ، وترفعون بنيان مجدكم ، ولا ادعكم على غير هدى ٭ واننا الان بما وصفنا وما سنصف نريد من الامم ان تكون كالرجل الذي يحفظ صحته بقانون حفظ الصحة ، بالسير على منواله ، واقامة وزن حياته ، حتى لا يقع في التهلكة المرضية ولا تنتابه الأسقام ، الا مما يفاجئه من حوادث الجو ، فيلجأ اذن للدواء

وخير الاطباء من نصح بحفظ صحة الاصحاء ٭ وشرهم من تركهم وشأنهم ، بحيث يتخبطون في امراضهم ، حتى يدوم احتياجهم لدوائه ، اكثر ايام حياتهم ٭ ثم قال وقد آن ان اوجز لك ما اردت في مقال ، اخاطب به امم الأرض اجمعين

الفصل المتمم عشرين

« وهو خلاصة الكتاب »

في بيان استخراج السلام العام في الامم من النواميس الطبيعية ، والنظامات الفلكية والفطر الانسانية ، وبيان السياسة على اساس الطبيعة ، وان مدنية اليوم حيوانية ، ودعوة الناس للانسانية الحقيقية ،

و بيان ان الانسان لم يفهم انسانيته ، وخطاب موجه لفلاسفة الامم ، ثم نوابها وملوكها · يدعو الاولين لبحث هذا الموضوع ، والآخرين للتعاون على العمل

قال السيد جاءون : « النوع الانساني ارقى انواع الحيوان بعقله ☆ أفلا يجب ان يكون ارقاها نظاماً ، واعدلها دستوراً ، واعمها مدنية ☆ ولكنا وجدناه لم يزل في طفوليته في النظام ، ولم يرتقِ عن النمل في السياسة · ففيه السادة والعبيد ☆ وارقى الامم في المدنية بحسب عرفكم اليوم تضارع انواع السباع والصقور في سيطرتها القهرية · بسلاحها لا صلاحها ☆ مجموع النوع الانساني اليوم قسمان ، سادة كالحيوانات المفترسة ، وعبيد كأكالة الكلأ والحشيش ، واهم نظريات اكابر الامم القائدين لغيرهم اربع

(١) العقول الانسانية يجب أن تخدم القوة الغضبية (٢) بالقوة الغضبية والسلاح يقهرون غيرهم (٣) ثم يربونهم كالانعام يتخذون اصوافها وألبانها (٤) الشهوات تغشي على العقول فتسلبها الشفقة والرحمة على الضعفاء كما سلبها ذابح الحيوان لأكله

قال ارسطو قديماً يتميز الانسان عن الحيوان بنظره في العواقب ، ولم يخالفه فلاسفة الأوروبيين والأمريكيين ، ونحن نبين ماذا فعل بعقله اولاً وبم امتاز

ان عقل الانسان زاده ارجلاً يمشي عليها ، وهي آلات النقل ، كالترام والسيارات والقطارات والبريد والسفن العظيمة ، واطال

اظفاره الضعيفة ، بما يلائم مخالب السبع ، و يزيد عليها ، من الرصاص والمدفع والأساطيل والجنود المجندة ، والسفن الغاطسة ، والدوارع السابحة والقباب الطائرة المسلحة ، واناله سواعد أخرى بآلات الحرث والزرع والبناء وما اشبهها ، وانبت له ما هو كأجنحة الطير ، من القباب الطائرات وما اشبهها * وهل زاد الانسان بهـذه القوى المسخرة له بابتداع العقل الا شهوات بهيمية ، أو قوى غضبية ، ولم يعرج على الانسانية ، ولم يمدها عقله بالسلام ايما امداد

الانسان دائر في الدائرة الحيوانيـة ، ونسي انهُ انسان * أنا لا افهم ما امتاز به عن الحيوان ، ولا ادري ، اين مدنيته وهل تحققت

كان الانسان يحبو كالطفل على الأرض ، فاكتشف البخار ، فانتصب قائماً يمشي بالقطار ، و بهِ قطع الكرة ، وها هو استنبت له الجناحين ليطير في الهواء وهل بعد هـذا الا البحث عن المدنية والانسانية ، اين هما * وكل ما اكتشفه لا يغني عنهما شيئاً ، وما معرفته للعواقب بممتازة كثيراً عما ركز في نفوس الطيور الطائرات ، والحيوانات السارحات ، والحيتان الغاطسات ، من تدبيرها بيوتها وتربيتها اولادها ، وحفظها جماعاتها ، الا امتيازاً نسبياً * ليس يحل الانسان المحل اللائق بمقامه الا متى دبر المجموعُ الانساني المجموع الانساني

ان نظر الافراد في مستقبلها ، والامم في شؤونها الحالية والمستقبلة ، يشارككم فيه اكثر الحيوان * ومتى تولى المجموع تدبير المجموع ، ظهر معنى الانسان وتجلى للعيان * ثلث هذا النوع رشيد ، وثلثه نصف

رشيد ، وثلثه غارق في بحار الجهل ٭ ويحاول الاول اتخاذ بعض الثاني ، وجميع الثالث كالحيوان ٭ اذ يتخذون من جلودها صوفاً ومن ضروعها ألباناً ، وطوائف هذا الفريق فيما بينهم دائمو العداوات ، لما لهم من القوى المتكافئة

واني ليجدر بي ان اطرح على بساط البحث بين فلاسفتكم وحكمائكم من جميع الامم الارضية ، على اختلاف نحلهم ، واجناسهم وملهم ، هذا السؤال ، ايهما انفع للثلث الاول الرشيد ٭ أيكون الثاني مثله في الانسانية يعاونونه ، ام تتنزل ملكاتهم ، الى دركات الحيوانية ٭ فان كان الأول انفع ، وثبت بالبرهان ، فلا مناص لملوك الامم ، وقادة الشعوب ، من السير على منواله ٭ وان كان الثاني ، بقي النوع الانساني على ضلاله الى الأبد

ليس يحل المشكل الانساني ، الا ناموس الوجود ، وقانون الطبيعة ٭ من حاد عن فطرة العالم في سياسته ، حاق بهِ العذاب ٭ كل شيءٍ سائر بنظام حسن ، ألا ترى دوران الكواكب بحساب لا يتغير ، وسير النواميس الطبيعية بنظام عجيب ، وهكذا غرائز الحيوان ، كنسج وهندسة النحل ، وسياسة النمل ، وجمهورية كلاب البحر ٭ أفلا يكون لهذا النوع ناموس لراحته ، ونظام لم يكتشفه للآن ، وربما كان حاضراً لديه ، يراه في غدوه ورواحه ، وهو مع الغافلين ، كما كان يرى البخار صباحاً ومساءً والناس عنه ساهون

فلننظر في هذا الانسان ، نجد جسمه منظماً ، معتدلاً ، فطوله

ثمانية اشبار بشبره ، واذا مدَّ يديه الى الجانبين ، كان طوله كعرضه * هكذا سائر اعضائه بميزان عجيب ، واكثر الحيوان والانسان تولد بحواسها الخمس ، الا النادر جداً ، كما ندرت مدارس الصم البكم والعمي

أفليس هذا الوضع دالاً على حكمة عالية ، غرست في نفوسكم كل ما تحتاجون ، حتى تتم سعادتكم في الحيـاة بنظام ، كما كملت اجسامكم ، ونظمت حواسكم * والعناية التي نظمت الاعضاء والحواس لا تغفل عن تنظيم القوى والملكات

أو ليس من العجيب ان يمتد النظام الى ما هو أعم من نظام الاجسام ، فارتقى الى نظام مجموعكم فانا نرى الذكران والنسوان في المواليد على سطح الكرة الارضية يكادون يتساوون

وما الزيادة النادرة ، أو القليلة في النوع ، الا كعدد الصم البكم منكم ، وان زيادة نحو خمس عشرة امرأة في انكلترا في كل الف رجل وامرأة أثقل كاهلها ، فأنت وشكت ، وبكت ، في هذه الايام * ومن عجب ان قاعدة الذكران والاناث لم تخطئ في بلدة ، أو اقليم ، أو جيل * ولو انها اخطأت مثلاً عشر سنين لأخذ الانسان في الانقراض * ولو اخطأت خمسين سنة ، لذهبت الامم ، وبادت * ولكنا نرى ذلك مضطرداً ابداً * وما سمعنا انقراض الذكور أو النسوان في امة * بل الميزان العمومي في العالم دائم الوزن * ولا جرم ان ذلك وضع للحياة المشتركة

ولم يقف عند هذا الحد ، بل تعالى الى الملكات والقوى فجعل

استعداد العقول موزعاً حسب الحاجة كما في الذكور والاناث ٭ وترى الشعراء المطبوعين في اممهم قليلين ٭ وكذا الفلاسفة والموسيقارون ، والبارعون في الجمال وحسن الصوت ، وترى عشاق العلوم المغرمين بها ينبتون في الامة حسب حاجتها ، كالمستعدين للصناعة ، والزراعة ، والتجارة

وكما اننا نجد طولاً وعرضاً في الجسم بمقدار محدد للمصلحة ، واعداد الذكران والاناث كذلك في الانسان والحيوان والنبات ، ولم يكن من خطأ فيهما الا عرضاً ، ونادراً ، فهكذا استعداد العقول للفلسفة ، والموسيقى ، او السياسة العامة ، أو العلوم الصناعية ٭ فالفطرة منبثة في النفوس بذورها حسب الحاجات قلة وكثرة

وكما ان الامم الوحشية لم تفقد الذكران أو الاناث حتى تقترض لهم اناساً من امم أخرى ، ليسدوا عوزهم للاقتران ، فهكذا يخلق لكل امة ما يلزم لسد عوزها على حسب حاجتها ٭ فالمستعدون للاعمال العالية الأقلون ، وأهل القبول للحرف المختلفة والعلوم والمعارف يكثرون

اما آن الأوان لاستثمار ما استكن في الارواح الانسانية ، وما ذراه الله في العقول ، من تلك الفطر المودعة في الثلثين الضعيفين من النوع الانساني

أفليسوا اذا تركوا وشأنهم ، أو تعمد اخماد نار جذوة افئدتهم ينحطون الى درجة البهائم ، ويخسر الراشدون من النوع الانساني مواهب ونفوساً لو سقيت ماء العلم ، واحيطت بسور من الرحمة ،

لشاركتهم في استخراج كنوز الأرض، واستدرار بركة السماء، واستنتاج خيراتهما ومواهبهما المخزونة فيهما

وكما وزعت الحرف والصناعات والعلوم بقدر الحاجة، فهكذا قسمت انواع الخيرات على بقاع الأرض ☼ فلكل تربة حظ صالح من المنافع لا ينجع فيها سواه ☼ فهذه معدنية، وتلك زراعية، والأخرى جبلية، وغيرها ذات غابات

ان الراشدين من الامم سلطوا غضبهم السبعي على اخوانهم في الانسانية الضعفاء، ولم ينموا من عقولهم، أو يستثمروا من ارضهم، الا على مقدار منافعهم وخسروا هم انفسهم ربحاً كثيراً، خسروا مودة اخوانهم، وراحة بالهم، والفطر المودعة المدفونة في نفوسهم، والمنافع الكامنة في الارض المرهونة على بروز فطر زراعها، حتى تفيض عليهم على مقدار ما ظهر من مواهبهم، وعقولهم وقدرهم

سخر الانسان الحيوان احقاباً، وانزل عليه من سوط عذابه، وجهنم غضبه ما ارهقه ألواناً ☼ ثم اكتشف البخار، والكهرباء، فأناله بعض الراحة، وفرح بما اوتي من النعمة، نور عظيم، وثمرة وفيرة، اثمرها ثلث عقل الانسان، فما يكون حالها اذا ما عقل القسمان الاخران، وجاءت قاعدة التضعيف في الفائدة الناجمة من تربيع الثلاثة الاقسام، فلا جرم تثمر بقاع الأرض تسعة اضعاف ما لدينا اليوم ☼ واذا استخرج ما في الارض من منافع وثمرات بهذه العقول كانت النتائج اضعافاً مضاعفة بالتربيع

فلا جرم ان بين نواميس الكائنـات الطبيعية ، والمسائل الاقتصادية ، مناسبة تامة ، فتربيع حركات الاحجار الساقطة من أعلى الجبل ، قد تتخطى الى ثمرات الاعمال الانسانية اذا ازدوجت وائتلفت ٭ وليست ثمرات العقول المتحدة على الاعمال على وزان ما اثمره العقل الواحد ، بل انما يكون بنسبة تربعية ٭ فاذا كان للواحد ثمرة فلثلاثة متحدة تسعة ٭ وعلى وزانه ثمرات الارض ٭ ولسنا نطلب المحال من الامم من اغماد السيف ، وكسر المدفع ٭ ولكنا نقترح ان يكون لجنود العقول المجندة في ساحة القتال الاقتصادي ، الغاديات الرائحات في تدبير الامم ، والممالك لجنـة دائمة ، تضيء حالكات المشكلات ، وتفسر لهم الحوادث ، وتلتقط من تلك الساحات مرضى الآراء ، فتنقلها الى مستشفياتها العلمية والفلسفية ، كما تفعل جمعية الصليب الاحمر في ساحات الحروب الجسمية ، والميادين الحربية ٭ وهـذه اهم مباحث تلك اللجنة

(١) هل قوى نوع الانسان موزعة عليه توزيعاً حسب الحاجة كما في الذكورة والانوثة

(٢) هل المنافع موزعة على سطح الكرة الأرضية توزيعها على العقول

(٣) أيهما انفع للامم الرشيدة أتسير على منوالها المرسوم ولا تتجاوز في سياستها اصغر الحيوانات كالنمل ام تعدل عنها الى شرفها واسعادها وصداقتها

(٤) اذا كثر تعداد امة أفلا تعطى ارضاً من بلاد أخرى بمقدار نموها

(٥) أيحسن أن تحصى اراضي الامم العامرة والغامرة

(٦) أوليس من الجهل الفاضح ان تصرف قوى الامم الى قتال انفسهم ، ويذرون محاربة الطبيعة لاخضاعها ، اوليس من الواجب ان يوضع ناموس عام لاصلاح الارض في كل امة ، وتمدين الشعوب التي هي نصف رشيدة ، والتضافر بعد ذلك على اصلاح الباقي من الامم ، طوعاً أو كرهاً ، ثم يبين مقادير ثمرات العقول الخامدة ، ان اوقظت من غفلتها ، وقامت من سباتها واشربت العلم والحكمة ، وما مقادير فوائد الامم الرشيدة منها

(٧) أليس سعادة الانسان في أن يكون ذا ملكة في فن خاص تضارع غرائز الحيوان كنسج العنكبوت وهندسة النحل ، فاذا وصل النوع الى هذه الملكات ، فما مقدار الفوائد اذ ذاك

(٨) الدول اللاتي تربح من اضعاف غيرها وجهله ، فما الذي يجب ان يستعيضوا عن الربح بدل ما فقدوه ، وهل يحكمون العقود فيستديموا بعض تلك الثمرات

هذه أهم المباحث التي يتناولها اطراف البحث في هذا الموضوع العام حتى يخرج النوع الانساني من ازمة الهالكة * اوليس الانسان اليوم معاقباً على جهله بهذه القواعد * او ليس الهلع في الممالك واستعدادها واضاعتها اموالها احزاناً وآلاماً وضياع قوى وفوات ثمرات ،

تضاهي مضاهاة حقيقية تلك المواهب المسلوبة من الامم الضعيفة والأراضي الغامرة ، في انحاء الكرة الأرضية

ولا يضاح هذا نقول ، ان الله افاض على الانسان عقولاً ، وأوسع له الارض * ولن ترضى تلك العروس الجميلة الولود الا اذا تزوجها كفء كريم * وهل يكافئها احد الا العقول الانسانية كافة على سطح الكرة الارضية ، كما كان الرجال جميعاً كفوء النساء عموماً وكانوا عددهن ، فانتظم نسلهم * ولعمرك ما قام بعمارتها الا ثلث الانسان الرشيد ، ثم اخذ يضعف مواهب كثير من الامم وسخرها لارادته ، وقهرها لسطوته ، فساموهم الخسف ، واصلوهم ناراً حامية ، فاستثمروا نصف عقولهم ، و بعض منافع ارضهم ، فأجدبت منهم عقول واراض كثيرة ، وغرائز كامنة * فكان العقاب والجزاء مقدراً بالذنب ، جزاء وفاقاً

وذلك ان منهم فريقاً يتربصون الحرب كل آن ، ومقدار كبير من ثروتهم يصرف على قواهم الحربية

وما مثل الامم الرشيدة والضعيفة الا كمثل رجل امسك بذراعه الايمن الذراع الايمن لامرأة حتى لا تفر ، وهي تلقمه لقيمات بيدها اليسرى

ذلك مثل الامم القوية القاهرة المعطلة لبعض قواها لقهر الامم الضعيفة وانهاك قواها * أفليس الناموس العام في هذا الوجود عذب الامم القوية ، بعذاب مهين ، من اخذ القوة والحيطة والسلاح والكراع

جزاء ما أماتوا من الامم الضعيفة قواهم وملكاتهم

او ليس الناموس العام تولى عقاب الامم بنفسه ، فلم يفلت منه ظالم ولاعات ☆ أفلا تبحثون في تلك النواميس عما اعدته لرقي العالم ، وتشمخون بأنفسكم ، وتتعالون عن هذه الحقارة والصغار والتنزل الى مرابض الحيوان ، ومراتب الانعام ☆ ها انتم هؤلاء استخرجتم قوى الحيوان وسخرتموها ، فلم تغنكم وحدها ، فعمدتم الى بعض قواكم البشرية ، فسلطتموها على الطبيعة ، فحملتكم وكلمتكم ، وخدمتكم فأرحتم الحيوان

اما آن لكم ان تستخرجوا قواكم لتستعينوا بها على اكمال سعادتكم وتخلصوا اخوانكم ، من الشقاء ، كما تخلص بعض الحيوان ☆ وهاكم نواميس الطبيعة التي قدمناها واضحة ظاهرة ، والقوى في الادمغة موزعة على اعمال الحياة بالمشاهدة والاختبار

أيها الفلاسفة ، ايها الملوك ، ايها النواب ☆ الحقيقة واضحة ، ظاهرة تلمس بالايدي ، ولكن الناس لا يبصرون ، لان حجاب الشهوات ران على قلوبهم ، والقوى الغضبية غشت ابصارهم ، فلم تنجلِ لها انوار شمس العلم المشرقة المجللة سطح الكرة الارضية ☆ وكيف يجوز التغافل عن اراضي الامم فلا تزرع ، ام كيف تغادر العقول والقوى الكامنة فلا تستثمر ☆ فلئن لم يصدع بهذا الأمر الملوك ، ولم يفكر العلماء ، فلتدهمنَ الامم الدواهي الدهماء ، وليصبحنَ في عذاب واصب ، لا سيما اذا حامت حوائم الموت ، من خلال الطيارات

الطائرات في الجو ، وحلقت على عوالم الشرق والغرب حائمات القباب الطيارة ترسل على الامم الصواعق والشهب والرصاص ، وتزجي عليهم المصائب ، وتمطرهم مطر الدمار والخراب ، واول ما يصمى به الامراء والملوك * ولئن فطنوا لما اوضحناه اليوم ، فليكونن ذلك اشبه بعذر في القريب العاجل لهم ، كما انهم ان نجحوا في طلبتهم وهو الاقرب عنـدي كان لهم اطراء المادحين ، وشكر الامم اجمعين * وبالجملة فلهم الغنم ، وعليهم الغرم

ايها الحكماء والفلاسفة والملوك * مجموع النوع الانساني حائد عن التهذيب ، حيوان مكبر ، ولئن يصوره المصورون باكثر من نسر باجنحة كثيرة وارجل تحتها عجلات ذي صوت يحيط بالكرة ، له اظافر حادة ، اذا تصور وجود مثل هذا الطائر لم نسمهِ انساناً ، وانما هو حيوان ذو خصائص واسعة * ذلك مثل الانسان

اوليس من العار هذه الخلة في المجتمع الانساني ، اين التهذيب في الامم ، الامم الرشيدة بحكم هذا النظام الحيواني مضطرة ان تنيب عنها طائفة من ابنائها في الامم الضعيفة ، فلا تطأ اقدامهم تلك الارض حتى يتنزلوا من سماء مدنيتهم ، وينحطوا عن الفضيلة ، ويعثوا في الارض فساداً ، كالحيوان الاعجم ، ثم يتدربون على تلك الاخلاق الفاسدة ، فتصير ملكات ، فيرجعون الى اوطانهم حاملين اوزارهم على ظهورهم ، فتكون بذور حناظل الرذائل ، تنمو وتترعرع في خلال الفضائل والمدنية ، وتتسلق على اشجار السعادات الباسقات ، وتمتص

غذاءها فتموت ، وتتغلب اعشاب الرذائل على زروع الفضائل ، وتنحط تلك الدولة الى اسفل سافلين ، كما اتفق للرومانيين فذلك فساد الحاكمين ، وهلاك المستعبدين

النوع الانساني اليوم كغلام مراهق جاوز سن الصبا ، وهو الان يستعد لاستكمال العقل ، فتراه كلما غدا او راح يلطم بالصخر والجبل والشجر فيشج رأسه ويكسر رجله

أفلا يكون ناموس الوجود الذي رمزنا له في صدر هذا المقال شعاعاً من نور عقله وعنواناً على مبدأ سعادته فيبلغ به الحلم ، ويصير رجلاً بعد جهله المبين ، وانساناً بعد ان كان حيواناً ، الا ترى عذاب الامم القاهرة والمقهورة جميعاً بالجهل والطيش ، كغلام يصيح مع الصائحين * فالأولون معذبون باستعدادهم ، والاخرون بحبس فطرهم وجهلهم ، والغنم بالغرم ، وعذاب الامم الراشدة بمقدار اذلالها لغيرها كما قدمنا

ولا جرم ان الامم لا تبلغ رشدها الا اذا رفعت الايدي الضاغطة ، وارشد الحاكمون المحكومين ، وصرفت القوى في المنافع والصناعات

اذا كان الحيوان استخدم قواه كلها في صلاحه ، أفليس من العار على الانسان ، ان تعطل بعض قواه ، تارة بالاستعداد ، وطوراً بالوثوب ، وآونة بأخماد القوى

أليس من الخزي هذه الاخلاق الشائنة ، اين عقل الانسان ،

أفليس بما قدمنا يزول الجدب ويقل الخوف وتضاعف الثروة ☆ وليس على الامم في مثل تلك اللجنة العلمية الفلسفية السياسية التي افترضناها من ضرر ☆ وليست تصرف اكثر من عشر سنين في احضار اساس المدنية وعرضها على سائر الامم الرشيدة

فلتدع امة من الامم لهذا المبحث سائر الامم ليرسلوا اكابر علمائهم المحبين لنوع الانسان ليبحثوا هذا الموضوع بحثاً مدققاً ☆ ثم ليؤلف كل عالم من اولئك عند الامكان كتاباً في هذه المباحث . يرى فيه الامم كيف يكون الحب العام ☆ فاذا ما وافقت اللجنة العامة على كتاب ترجم الى سائر اللغات ☆ ويوكل لكل عالم الصورة التي بها يعممه في انحاء بلاده ، بحيث يلقن التلاميذ في سائر الممالك ما يحببهم في نوع الانسان اجمالاً وتفصيلاً ، ويزدرى امامهم بالتشخيص او غيره الحرب والخداع السياسي ، وتمنع كل امة من ذم غيرها ، والطعن في دينهم ، حتى لا يكون بين الامم ، احقاد في صدور ابنائها

ومتى تكرر ذلك صار طبعاً وعادة لازمة للاجيال المقبلة ☆ واذ ذاك تبقى كل امة على عاداتها ودياناتها واخلاقها ، ولكل من الملاك فيها ان يتصرف في ملكه ☆ ولكن يجب ان تكون لهم مراقبة دولية ☆ وعلى كل امة ان تراقب عمران البلاد واستثمار الارض وانماء العقول ☆ وهذه اللجنة تراقب الامم وتراقب الامم افرادها

ها أنا ادعو ملوك الامم ، ونوابها العامة ومجالس نوابها ، وحكمائها وعلمائها ☆ فهل من ملك رشيد أو نادٍ ذي فضيلة يدعو لما دعوت اليه

حتى يكون اول مصلح للنوع الانساني فلا يضره ولا امته شيء في الحال والاستقبال ٭ ولئن لم يتم الأمر على مراد سائر الدول بقي له ذكر المصلحين امد الدهر ، وكان له أثر خالد في الامم المستقبلة ٭ وفي ظني ان ملوك وعلماء هذا العصر يقدرون هذا العمل حق قدره ٭ فقدان اوانه حتى تبطل القاعدة الحيوانية العتيقة التي وضعها (ابيقور) اليوناني في القرون الخالية قبل الميلاد بثلاثة قرون القائل (يبيد الاقوى الاضعف) وشيد على انقاضها دروين الانجليزي مذهبه ، وطبقه السواس على الانسان ، فقلد السباع والوحوش ٭ ولو انهم فطنوا لغلبوا هذه القاعدة الانسانية ، على تلك القاعدة البائدة السبعية ، ولحكموا بالعدل والسلام العام حتى يمتاز الانسان على الدواب والانعام ٭ وهذه القاعدة نهاية بحث العلماء ، وثمرة حكمة الحكماء ، وطلبة الانبياء ٭ واني لموقن بصحة النتائج لصدق المقدمات

فلمـا فرغ من مقالته عجبت من حكمته ٭ وقلت كيف نطق الاستاذ بما وعيت ، واظهر ما اضمرت وهل هو غيري وهل أنا غيره فتذكرت قول الشاعر

أنا من اهوى ومن اهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فاذا ابصرتنـا ابصرته واذا ابصرته ابصرتنـا

فبينما أنا غارق في بحار هـذه الافكار اذ انفلق عمود الصباح وقال المنادي حي على الفلاح فاستيقظت وعلمت انها رؤيا منامية وعلى العلماء التأويل وعلى الامم التكميل

فرغت من تسويد هذا الكتاب يوم الاحد السابع عشر من شهر رجب الاصم سنة ١٣٢٨ الموافق ٢٤ يوليو سنة ١٩١٠ الساعة التاسعة صباحاً بالمنشية بجوار القلعة

وما علمت خبر انعقاد مؤتمر الاجناس العام بانكلترا المناسب لهذا الكتاب الا بعد تبييضه بنحو خمسة عشر يوماً في الجرائد المصرية وكان ذلك من اعجب العجائب واحاسن الصدف والغرائب

ومن عجب ان المؤتمر المذكور الذي سيعرض عليه هذا الكتاب سيلتئم جمعه وينتظم عقده في اواخر شهر يوليو سنة ١٩١١



فهرست الكتاب

الفصل الخامس

الفصل السادس

(فى انواع الحكومات والفلاسفة)

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

(المنطق والاخلاق السياسية)

الفصل الحادي عشر

(وفيه ١٥ حكمة)

الفصل الثاني عشر

الفصل الثالث عشر

(وفيه ١٧ مذكرة)

الفصل الرابع عشر

(الجمع المحتشد وعالم الارض والمريخ وتحليل المدنية العصرية)

الفصل الخامس عشر

الفصل السادس عشر

(ايضاح مسألة الاقوى والاضعف واننا نفعل فعل الحيوان)

الفصل السابع عشر

(على اى قاعدة تبنى سياسة الامم)

الفصل الثامن عشر

(فى درس تعليم الاطفال الحب العام)

الفصل التاسع عشر

(مجلس الحكماء وضرب الامثال الحسية للامور العقلية)

الفصل العشرون

وهو خلاصة الكتاب



﴿ نغمة من موسيقى الكتاب ﴾

لعلك ايها الذكي المطلع على كتابي هذا ، يشوقك ان تقف على اسباب تأليفه ، فأحدثك عنها لتعجب من هذا الوجود ، ولترى ان للانسان في ظلمات الحياة الدنيا مناهج وسبلاً تستبين ببصيص شعاع يأتلق من انجم الهدى ، الطالعات في ثنايا الظلمات

كنت اجد في نفسي دائماً معاني متشابهة ، وآراء متقاربة ، تدور في دائرة ، وتسير في اتجاه مرسوم ، لا تحول ولا تزول ، مهما عاقت العوائق ، وحالت الحوائل وهي هذه الآيات من الكتاب العزيز

« وان من شيء الا عندنا خزائنه » . « وما ننزله الا بقدر معلوم » . « وكل شيء عنده بمقدار » . « لا يكلف الله نفساً الا وسعها » . « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون »

وطالما اختلج بقلبي ، وسبق لذهني ، فحكم عقلي ، ان مسألة الذكور والاناث ، وتقارب تساويهما في الوجود ، وتنظيم اعدادهما على سطح الكرة الارضية ، أجل دليل ، واقوى حجة ، واسطع برهان ، واحكم قول ، على ان هناك غرائز لو كشف الناس عنها الحجاب ، وابرزوها للعيان ، لصلح حال البشر ، كما تراه في الكتاب

☆
☆ ☆

بدأت اولاً في تحقيق الميزان والقسط والنظام والعدل في العالم المشاهد ، وعولت في الاكثر على المحسوسات ، ولم اشأ ان اقرأ الحكمة

الا بالقياس على المشاهدات ، ولا ادرسها الا مع النظر في المخلوقات

النظام في كمية المادة وتركيبها وحركتها

رأيت ان الهواء اكثر من الماء ، والماء اعم من الغذاء ، والغذاء اكثر من الدواء ، فعجبت لهذا العالم ، كلما اشتدت الحاجة لشيء كثر وجوده ، وتقل الاشياء ، كلما قل طلابها ، او لم تجب اسبابها ، واكثر الناس عن ذلك غافلون

ثم نظرت فيها من حيث تركيبها ، ونسب اجزائها ، فألفيت عجباً عجاباً ، ألفيت الاجزاء موضوعة بحساب مرتبة بدقة ونظام ، في كل تركيب كيماوي . أفلا تتعجب معي من وزن ذرات الاكسوجين والاودروجين في الماء ، وان الاول اثقل من الثاني اضعافاً ، والثاني اكبر منهُ حجماً ، على نسب لو اختلت وزناً او حجماً ، لفسد الماء ، وانفصل الزائد ، وطار مع الهواء

ألا تتعجب من الماء كيف يكون مركباً من مادتين خفيفتين لا تراهما العيون ، احداهما حارة محيية ، والاخرى باردة مميتة ؟

ألا تتعجب معي من هذا الوجود المنظم ، وكيف كانت سائر النباتات مركبة من عناصر بنسب محفوظة ثابتة كما اوضحته عن علماء الزراعة في كتاب نظام العالم والامم ؟

أو ليس مما يسحر العقول ، ويخلب الالباب ، انك ترى مثل القمح والقطن مركبين من عناصر فوق العشرة ، متحدة في الاكثر ،

مختلفة نسبها ، بحيث ان ما نلبسه هو عين ما نأ كله من حيث العناصر ؟
واختلاف المقادير في التركيب ، اوجب اختلاف الملبس والمأكل
والرقاقة والحزام

اقرأ الكيمياء ثم فكر وتعجب من هذا الوجود العجيب ، المنظم البديع ، واياك ان تقرأ بلا امعان وتفكير فان ذلك شأن الغافلين

العالم العلوي

فلما ان تبين لي نظام هذا الوجود كما وكيفا ، رجعت بصري ، وحولت اتجاه فكري ، الى حركات الاجسام العلوية ، فرأيت عجباً عجاباً ، رأيت الكواكب لا تخطئ في سيرها ، ولا تغلط في جريها ، كما اوضحه الفلكيون ، ونظمته في رسائلي المسطورة المنشورة

تبين لي الحق ، وايقنت بقلبي معنى قوله تعالى (وان من شيء الا عندنا خزائنــه وما ننزله الا بقدر معلوم) ، وقوله (وكل شيء عنده بمقدار)

* * *

النبات والحيوان والانسان

عند ذلك طفقت افكر في نظام هذا الانسان على سطح الكرة الارضية ، وما امتاز بهِ عن الحيوان ، وهل هو سائر على سنن العدل ؟ ام زائغ عن الجادة ؟ حائد عن الصراط المستقيم ؟

الانسان ابن هذا الوجود ، وهو مركب منهُ ، تظله السماء ، وتقله الغبراء . الوجود في نظام عجيب ، والانسان في شقاق بعيد

رأيت ان لابد من النظر في أمر المواليد الثلاثة ، النبات والحيوان والانسان ، فرأيت الانسان يشارك النبات في الغذاء والتناسل ، ويشارك الحيوان في ذلك ، وفي الحركات الاختيارية ، والحواس والادراك والغرائز

رأيت انه كلما كان الحيوان ادنى كالبعوض والجراد والذباب لم يقم بتربية ولده ، وكلما كان اكثر ادراكاً ، وارقى غريزة ، واكمل شأناً ، اوتي العطف على بنيه كالبقر والفيلة والاسود والقرده

فعلمت ان تربية الولد والعطف على الذرية ، ليس خاصاً بالانسان ، فاتخاذ الازواج عم الحيوان والنبات ، وتربية الولد واضح في أعلى الحيوان . فقلت لعل الانسان ارتقى بجمعيته ، وفضل بمدنيته ، فألفيت كلاب البحر والغربان ، والزنابير والنحل ، والنمل لها جمهوريات منظمة ، ومدنيات عجيبة . وادهشني ان هذا الانسان كان ظلوماً جهولا ، لا ادري كيف غفل حكماؤه ، وتغاضى علماؤه ، ذلك ان الزنابير مثلاً في اي بقعة من بقاع الارض لها جمعية منظمة ، فيها رؤساؤها ولم يحتج يوماً ما نمل اواسط آسيا مثلاً الى رؤساء من نمل الصين ، كما لم يحتج ذكران الاولين الى اناث من الآخرين ، او ليس من العجيب ان يكون الانسان أقدر على الكذب والبهتان من كل حيوان ، ان الانسان ظلوم جهول

ولقد تبين لي ان كل مخلوق من جماد ونام يترك ميراثاً للعالم نافعاً، فالنخل والشوك يخلفان لنا متاعاً، وهكذا دود القز والنحل والنمر، تورثنا حريرها وعسلها وجلدها وهي لا تقصد ولا تريد، فأيقنت ان الفضيلة في نية الاعمال مع الاعمال، والا فارق ما بين دود القز والنمر وبين الذي ترك مالاً وثروة . واي فارق بين الدود الذي ورثنا الحرير، وبين الجاهل الذي ارغم على ترك الثروة بالموت، وهو لم يخطر بباله يوما منفعة الانسان ؟ كلاهما اورثنا مالاً ومنفعة وكلاهما لا يريد

وكما ان الفرق بين الحصان والبعوض في الشمائل والفضائل، ان الاول يربى اولاده ويشفق عليها، والآخر قصر عن هذه الفضيلة، فهكذا يجب ان يمتاز الانسان عن الحيوان الجمهوري النظامي، كالغراب والزنبور والنمل والنحل وكلاب البحر، بأن يعطف الجميع على الجميع، فاما ان تنفع امة امة، او فرد فرداً، بلا قصد ولا عمد، كما هي حال هذا الانسان، فذلك عام في النبات والحيوان

فوجب ان نبحث هذا الانسان هل هو قابل أن يتميز في جمعيته عن الحيوان ويرتقي في مستقبل امره ام سيحل عليه العذاب والخزي امد الدهر ؟

حينئذٍ توجهت الى مبدع الكائنات، وباري النسمات، وقلت يالله، العالم كله عجيب منظم، فمالي ارى الانسان في شقاق بعيد ؟ وقلت لعل رؤساء الانسان أقدر على ضبطه، واحزم في سياسته، فوجدت ان رؤساء الامم في اكثر اوقاتهم واجمون، ووجدت الامم

تكافئهم بالمـال والجاه ، كما يعاملون الصبي في المكتب يرفعونه الى الأعلى ويكافئونه بالادنى ، يقولون اقرأ ولك الحلوى ، فيرى ان الحلوى من مواد الغذاء ، مكافأة على ترقية العقل . ولئن جاز ذلك في الضحك على عقل الصبي ، فلن ترضى بهِ انفس الامراء ، وان كانوا لا يعلمون ، ان الجزاء الاوفى في الدنيا من جنس العمل

فاذا عطفوا على الرعايا ، واحكموا نظام الممالك ، فلن يسعدهم تلقاء ذلك الا حب الرعايا واخلاصهم كما كان ذلك لأمثال ابى بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولذلك كان الملوك قديماً يحتالون على الشعراء ليمدحوهم ليكون كتزين العجوز الشوهاء بالحلي والحلل ، وكالتباهى بالزهر المجنى من شجرة المقطوع من غصنه ، يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه ، واذا اظلم عليهم قاموا ، هؤلاء يسرهم برق المدح الكاذب ويسوءهم أن يسمعوا من الرعايا السخط والحقد في ظلمات الظلم المبين . وقارنت هؤلاء الرؤساء بما ينقل عن امراء النمل فألفيتها موضع المحبة والاجلال وان النملات حين تتم عملها تنظر بعين الحب والاخلاص والمودة الى الملكة كأنها تيمن بوجهها الكريم ، فعلمت اذ ذاك اني لم اعثر على مزية الانسان الاجتماعية التي ارتقى بها عن الجمعيات الحيوانية

النبات كامل باهٍ زاهر جميل الزهرات ، باهر الثمرات ، الحيوان تام النظام الهمه الله ما يحتاجه حتى ان العنكبوت والنمل والنحل والزنابير عالمات بقوانين نسجها وهندستها ، و بناء منازلها ، ونظام حياتها ، وجنى

عسلها وتربية اولادها بلا مدرسة ولا تعليم ولا تدريب ، قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى

فتبين لي من هنا شيئان ، عدم ارتقاء الانسان عن الحيوان في نظام جمعيته ، وحاجته للتربية والتعليم وفهمت انه كان ظلوماً جهولا

لكن من وجه آخر اؤمن بفضل الانسان على الحيوان ، واعلم ان العالم كله ذو نظام ، ولم أجد سداً لخلله ، ولا رافعاً لشأنه سوى العقل الذي بهِ يكمل ما ينقصه بفطرته ، وينظم حكوماته ، واخذت ابحث في هذا الانسان ، هل هو منظم الغرائز كهذا العالم ؟ هل ملكاته وقواه الكامنة فيه لو استخرجت ينتظم عقدها ويتم بها امره ؟

نظرت اولاً في عدد الذكور والاناث ، فألفيتها منظمة في الانسان كالحيوان والنبات ، ثم تأملت الصفات فألفيت الاذكياء واصحاب الاصوات الجميلة مثلاً أقل من غيرهم ، وتفرست في التلاميذ الذين اعلمهم ، فرأيتهم يختلفون في اميالهم ، وكما ان لونهم واحد وهو الابيض غالباً او غيره لم يشبه احدهم الآخر فيه ، فهكذا العقل واحد ولم يتشابهوا فيه ، فالالوان والقوى البدنية والعقلية مختلفات بالاسباب ، وقام بنفسي ان الامم يعوزها التعليم . ولم ارَ تعليم الناس قائماً بحاجاتهم ، لانهُ سائر على نهج حائد عن الصراط السوي ، ولم ارَ في المدنية الحاضرة ما ابتغيه ، فان المتوحشين والمتمدينين لا يزالون يسلكون سبل النمور والصقور والسباع

ولقد قرأنا ما سطره المستر ادوارد كار بنتر عن (احوال المتوحشين

القاطنين حول بحيرة نياسا بالسودان اذ عاشرهم من سنـة ١٨٧٦ الى سنة ١٨٧٨) ، قال انهم أقوى اجساماً واصح ابداناً من المتمدينين ، ولكنهم اكثر منهم فتكاً باعدائهم

وقال ان المتوحشين الافريقيين يفوقوننا كثيراً لدرجة لا تجيز المقارنة بيننا و بينهم لان احدنا يرى نفسه فيما بينهم طفلاً صغيراً » اه

فالمدنية اضعفت الاجسام ، كما خرقت سياج الادب ، وعكست وضع الانسانية . لقد اخبرني ضابط قطن السودان في هذه الايام ، ان احدى القبائل يعيش ابناؤها ، و بناتها في الصبى والبلوغ ، والكهولة والشيب ، وهم عري مجردون ، ولا تسمع باسم الخنا في حياتهم ، ولا تخطر الخيانة ببال احدهم ، وانهم جميعاً اعفاء صادقون ، ولكن المدنية اتخذت اللباس شرك الدعارة ، وعكست القضيـة ، وعدت المكر والكذب كياسة ، والظلم سياسة

ولقد قرأت في التاريخ ، ما تدهش له العقول ، فتراهم يقولون ان قيصر الروم غزا الامم ودوخ الممالك شرقاً وغرباً ، فلما ان رجع الى قومه ، وقر بوطنه ، اتخذوه معبودهم ، واحبوه حباً جماً ، وهكذا اكثر الامم ، الا من رحم ربك ، فانهم لا يحبون الا الظالمين ، كما يفرح الطفل بسرقة ابيه ، وخيانة اخيه ، لانهُ يأكل مما يسرقان ، و يلقف ما يأتفكان

فعجبت لهذا الانسان ، كيف تنزل بشهوته ، وارتقى بعقله ، انه جمع بين الضدين وعاش بالنقيضين ، ثم رجعت الى نظام ذكوره

واناثه، وفكرت في امره، وكنت اذ ذاك قد شرعت في عمل كتاب عام في الفلسفة، وكتبت بعض المقالات، فأبت نفسي الا السير في تحقيق هذه الفكرة والجنوح لهذا المبدأ، فكاشفت صديقاً كنت بهِ آنس، وقلت ايها الاخ يخيل لي ان الدول قاصرة السعي، قصيرة الخطى، فلو انها كشفت عن غرائزها، وابرزت للوجود عواطفها، وسعت في انماء عقولها، لصلح الوجود، وزال الخوف الموجود، فتعادل الذكران والاناث دليل على تعادل غرائز الانسان فقل شعراؤهم، وكثر عمالهم، وندر حكماؤهم، هذه جبلاتهم أفلا يتذكرون

فقال هذا قول جميل هلاّ وضعته في مقال ونشرته لامم المشارق والمغارب، فاستكبرت القول، ولم اشأ ان اقدم بلا روية، ولا اعزم بلا تدبير، فان ذلك فعل الجاهلين، وحررت مقالة وألقيتها في الخزانة. فلما كانت اواسط السنة العاشرة، بعد التسعمائة والالف في شهر ابريل، رجعت لتحرير المقالات في الفلسفة والطبيعيات، فلما ان عثرت مصادفة على مقالة للعلامة (كنت) الالماني وجدته يقول: «الانسان جهول، لم ينظم حكوماته، ولم يقم بتربية ابنائه» فعجبت كيف وافق رأيي، وناسب مشربي، فعاودني الفكر في الموضوع، ولم اشأ ان أحيد عن فكرتي، ولا ان ازيد حيرتي، لاني خفت الحسرات من الفوات

فلعمرك لقد طفقت اكتب، والقلب متقد الباطن، مملوء بالحمية، مبتهج بالعمل، ولولا الادب، والا يقبل عذري لقلت وما فعلته عن امري

لقيني اذ ذاك من له بي علاقة العلم ، فقال لمن هذا تصنع وماذا ينفع ، ان بلادنا عنه لاهية ، ان لها في اموالها واحوالها لشغلاً شاغلاً ، فقلت اني اشعر ان العالم الانساني له خطرات الى العلاء وخطوات الى الامام

وكان ما سطرته في الكتاب فاقرأه هناك . وان غرائز الانسان وطبائعه قابلة للارتقاء وما منعها الا فساد التربية والتعليم ، والزيغ عن الجادة ، والميل عن الصراط المستقيم

تمثيل آراء الانسان بالبحر الملح و بالنبات

ولقد تبين لي ان معارف الناس وعلومهم كالنبـات على سطح الارض ، وكالذي حواه البحر الملح

أن النفس اخت المادة وشقيقتها كأنهما مشتقتان من أصل واحد ، وربما نشأت احداهما عن الأخرى ، فلذلك تشابهت نتائجهما ، ألا ترى ان الارض تحمل الشجر المثمر والنبات النافع ، فيها النخيل وثمره والعنب وزبيبه ، والقمح المغذي ، والصبر المداوي ، والتين فاكهة ، والكلأ مرعى ، والقطن والتيل والكتان ملبساً ، وفيها الحنظل المر ، والسعدان ذو الشوك ، والحشائش السامة ، والنباتات المخدرة

وان النفوس البشرية ، زرعت فيها بذور الفضائل والرذائل ، فالعلوم المشيرة للصناعات كنبات القمح في الارض والخلقية للتداوي كالصبر وذلك كعلم الاخلاق وترى الاشعار الكلامية كالفاكهة ،

والنكات المضحكات كالمراعي فانها تسر القوة البهيمية ، وعلوم الدفاع كالملابس . ومن الناس من يسخر غيره على خدمته لمصلحته ، ومنهم من يرى الفضل في كف الاذى

ومن وجه آخر ، ارى الناس يقرأون قضايا الاجتماع معكوسة متناقضة فتراهم يقولون نعطف على الانسان ، وهم هم ، الذين يجهرون بامتداح القواد القاتلين كنابليون ، ويشرفون الكذوب من رجال السياسة ، فحار فكري في هذا الانسان ، ورأيت ان مثله في مسائله العلمية كمثل رجال قصدوا البحر الملح ، فأما احدهم فانه اغترف من الماء غرفة فشربها ، واما الآخر فخلصها بالتقطير كما يفعل السحاب ، واما الآخر فاصطاد الاسماك ، وغيرهم استخرج الجواهر باصدافها والمرجان من منابته ، والبحر واحد ، وكل منهم يؤيد عمله بحجة وبرهان

ثم رأيت ان كل طائفة مغترة بما لديها قانعة بما وصلت له ، وترى امم الصين والهند التي قضت تعاليمهم بالانكماش ، زلزلوا في اماكنهم ، وغزتهم امم اخرى ، فاستفزتهم ، والسبب تنافي التعليمين ، وتناقض المذهبين ، وتباعد الرأيين ، بعد المشرقين ، فقلت أو ليس بين هذه المذاهب حق واضح ، فتبينت ان اكثر الآراء تجمع ما بين الجيد والخبيث والرديء والطيب ، والكمال والنقص ، وان الحق مخبوء فيها كامن في النفوس ، فرأيت ان ابحث عنه في الأنفس والآفاق ، وان أبينه للناس على سطح الكرة ، ولم يكن لي ان اخاطب دولة واحدة أو امة واحدة كما فعل بيدبا الفيلسوف الهندي ايام الملك دبشليم ببلاد

بنجاب بالهند قبل ثلاث وعشرين قرناً ، فذلك زمان كانت الامم فيه منفصمة العرى ، بعيدة المواصلة ، ووعرة المسالك ، طويلة الشقة ، فأما الان فقد استدار الزمان ، وتغيرت الاحوال . واتصلت الامم ، وتداخلت الاخلاق ، واجتمعت الجماعات ، ومدت الاسلاك ، واصبح الناس كأسرة واحـدة ، واصبح الخبر يطوي البيد طياً في ثانية من الزمان ، ولو ان امة من الامم عكفت على الفضيلة ، وكان غيرها متشبثاً بالرذيلة ، متعلقاً بأذيال النقيصة فما جزاؤها الا الوبال اذ تتحد جاراتها على اهتضامها واقتسامها ، فلا محيص لها من مقابلة الشر بالشر ، كما يكافأ الاحسان بالاحسان

فلم يكن لي بد من التصريح برأيي والجهر بعقيدتي للناس قاطبة . فقديماً كان الناس لا يعلمون شجرة القطن الا قليلاً . ولم يعم الكرة الارضية الا في قرون متأخرة وكان الانسان عا كفاً على صوف الحيوان وجلد الدواب ، فزرع كثيراً من الارض بهذه الشجرة المباركة الطيبة القطن فألبسته ووقته وهج الحر وقارص البرد وزينته . هكذا الاراء منها ما ظل قروناً في زوايا النسيان ، ثم يفطن له أناس فيبذر في بسائط النفوس فيكسوها جمالا وبهاء ، بعد ان كانت عارية من لباسه عاطلة من حليه . وكما يزرع الناس في البسيطة ما جهلوه احقاباً فيغنيهم ويكسوهم فهكذا يزرعون في بسائط النفوس ما غادروه فيها احقاباً ودهوراً ، واغفلوه فينشطون ويرتقون ، ولكم خمدت جذوة فكرة بعد اتقادها ، واتقدت جمرة بعد خمودها كما يستنبت الناس نباتاً بعد ان جهلوه ، ويذرون آخر بعد ما الفوه . ان بين النفس والمادة

لشبهاً ، انهما اختان ، الا ان العلوم كالنبات ، والنفوس الانسانية كالمواد العنصرية والكرة الارضية ، الا ان هذا الكون لعجيب

جهرت بهذا الرأي لتبرأ ذمتي امام الله عز وجل . خفت ان يدفن معي ، ويدخل مضجعي . وقد علمت ان التجار لا يزورون مكاناً الا اعلنوا فيه عن سلعتهم ، ولا زقاقاً الا الصقوا بجدرانه اخبارهم ، فقلت ما احق الاراء النافعة بالنشر بين الناس ، وما اولاها بالتعميم ، لان التجار انما يعطون منافع الاجسام ، واما ذوو الاراء فيعطون الناس منافع العقول ، وما به يرشدون و يصلحون ، فأحببت من المصلحين المرشدين وقادة الامم في الارض ان يعنوا بتعميم الفضيلة والمحبة العامة بين الافراد والشعوب شرقاً وغرباً كما تراه مفصلا في الكتاب

ولقد ايقنت ان ما دونته في كتابي سيكون عقيدة عامة بعد حين وسيتلقاه عقلاء العالم بالقبول ، ويخيل لي ان العالم الانساني سيكون انعم بالاً واحسن حالاً وارفع شأناً ، واعز مكاناً ، واشرف نفساً ، ولتعلمن نبأه بعد حين

اعلم ان مثل الرحمة الانسانية العامة كمثل الماء الذي سلك ينابيع في الارض فخالط أجزاءها ، وداخل أحشاءها ، وتخلل باطنها وجرى في مجاريها وسرى في كرتها وخزن في جبالها فتارة تفجر أحجاره أنهاراً ، وآونة تشقق فتخرج ماء ، وطوراً يحفر النـاس الارض فيستنبطون ماءها و يستخرجون معينها . فهذا مثـل الرحمة الانسانية الكامنة في القلوب البشرية وما غشاها الا المطامع والشهوات ، وطين

الرذائل وحمآت الجهالات السائرة

ومثل آخر ان ما كمن من الرحمة في الانسان أشبـه بالكهرباء والنار، وما العلم الذي ظهر والمحبة التي جمعت النـاس الا كأضواء المصابيح المتقدة بالنار والكهرباء

هذه صفحة قرأتها من الرحمة العامة في هذا الانسان وكيف غشي وجهها بعذاب واقع، ضربت لك الامثال بحال هذا الانسان وآرائه وضرب الامثال مشعر بالاجمال

فهل لك ان تطلع على صحيفة من علمه، ورسالة من عنده، ونور أشرق على عقله، وآيات نزلت على قلبه، ورحمة أحاطت به، والهام تنزل عليه، فاسمعوا وعوا

منظر علماء الطبيعة

رسم علماء الطبيعة صورة من هذا الانسان، ووصلوه بالحيوان والنبات، وكونوا منهما سلسلة ذهبية منظمة، ظهر جمالها في مقالات العلماء الاسلاميين كما في الفوز الاصغر لابن مسكويه واخوان الصفا اذ أبانوا كيف ترقى النبات من أدنى أنواعه، وتعـالى في تدرجه، وارتقى الى درجة عظيمة، تلاصق أرقى الحيوان، وأخذ هذا يتدرج حتى انتهى الى الانسان، وهو عالم واسع عظيم، وهاك نص ما قيل في اخوان الصفا (واعلم يا أخي بأن اول مرتبة الحيوان متصلة بآخر مرتبة النبات وآخر مرتبة الحيوان متصلة بأول مرتبة الانسان كما ان اول مرتبة النبات متصل بآخر مرتبة المعدن وأول مرتبة المعدن

متصل بالتراب والماء كما بينا قبل ، فادون الحيوان وأنقصه هو الذي
ليس له الا حاسة واحـــدة فقط وهو الحلزون وهي دودة في جوف
انبوبة تنبت تلك الانبوبة على الصخر الذي في سواحل البحار ،
وشطوط الانهار ، وتلك الدودة تخرج نصف شخصها ، من جوف
تلك الانبوبة ، وتنبسط يمنة ويسرة ، تطلب مادة يغتذي بهـــا
جسمها ، فاذا أحست برطوبة ولين ، انبسطت اليه ، واذا أحست
بخشونة او صلابة ، انقبضت وغاصت في جوف تلك الانبوبة ،
حذراً من موذٍ لجسمها ، ومفسد لهيكلها . وليس لها سمع ولا بصر
ولا شم ولا ذوق ، الا الحس واللمس فقط وهكذا اكثر الديدان
التي تتكون في الطين وفي قعر البحار وأعماق الانهار ليس لها سمع ولا
بصر ولا ذوق ولا شم ، لأن الحكمة الالهية من مقتضاها ان لا تعطي
الحيوان عضواً لا يحتاج اليه في جلب المنفعـة ودفع المضرة ، لأنه
لو أعطاه ما لا يحتاج اليه لكان وبالاً عليها في حفظها وبقائها . فهذا
النوع حيواني نباتي ، لأنه ينبت جسمه كما ينبت بعض النبات ، ويقوم
على ساقه قائماً وهو من أجل انه يتحرك جسمه حركة اختيارية حيوان ،
ومن أجل انه ليست له الا حاسة واحدة فهو أنقص الحيوان رتبة في
الحيوانية وتلك الحاسة ايضاً قد يشارك بها النبات وذلك ان النبات
له حس اللمس فقط ، والدليل على ذلك ارساله بعروقه نحو المواضع
الندية وامتناعه من ارساله نحو الصخور واليابس ايضاً فانهُ متى اتفق
منبته في مضيق مال وعدل عنه طالباً للفسحة والسعة . فان كان فوقه
سقف يمنعهُ عن الذهاب علواً وكان له ثقب من ناحية مال الى نحو

تلك الناحية حتى اذا طال طلع من هناك فهذه الافعال تدل على ان له حساً وتميزاً بقدر الحاجة . واما حس الألم فليس للنبات وذلك انه لم يلق بالحكمة الالهية ان تجعل للنبات ألماً ولم تجعل له حيلة الدفع كما جعلت للحيوان . وذلك ان الحيوان لما جعلت له ان يحس بالألم جعلت له ايضاً حيلة اما بالفرار والذهاب والهرب واما بالتحذر واما بالممانعة فقد بان بما وصفنا كيفية مرتبة الحيوان مما يلي النبات فنريد ان نبين كيفية مرتبة الحيوان مما يلي رتبة الانسان فنقول :

ان رتبة الحيوانية مما يلي رتبة الانسانيـة ليست من وجه واحد لكن من عدة وجوه . وذلك ان رتبة الانسانيـة لما كانت معدناً للفضل وينبوعاً للمناقب لم يستوعبهـا نوع واحد من الحيوان ولكن عدة أنواع . فمنها ما قارب رتبة الانسانية لصورة جسده مثل القرد . ومنها ما قارب الاخلاق الانسانية كالفرس في كثير من آخلاقه ، ومثل الفيل في ذكائه وكالببغاء والهزار من الاطيار الكثيرة الاصوات والالحان والنغمات ، ومنها النحل اللطيف الصنائع الى ما شاكل هذه الاجناس ، وذلك انه ما من حيوان يستعمله الناس ويأنس به الا ولنفسه قرب من النفس الانسانية . اما القرد فاقرب شكل جسمه من شكل جسد الانسان ، صارت نفسه تحاكي أفعال النفس الانسانية ، وذلك مشاهد منه متعارف بين الناس وأما الفرس الكريم فانه قد بلغ من كرم أخلاقه انه صار مركباً للملوك وذلك انهُ ربما بلغ من أدبه انه لا يبول و يروث ما دام بحضرة الملك او حاملاً له وله ايضاً مع ذلك ذكاء

واقدام في الهيجاء وصبر على الطعن والجراح كما يكون الرجال الشجعان كما وصف الشاعر فقال :

واذا شكا مهري اليَّ جراحه   عند اختلاف الطعن قلت له اقدما

لما رآني لست أقبل عــذره   عضّ الشكيم على اللجام وحمحما

واما الفيل فانهُ يفهم الخطاب بذكائه ويمتثل الامر والنهي كما يمتثل الرجل العاقل المأمور المنهي. فهذه الحيوانات في آخر مرتبة الحيوان مما يلي رتبة الانسان لما يظهر فيها من الفضائل الانسانية واما باقي انواع الحيوانات فهي فيما بين هاتين المرتبتين

هذا ما رسمه علماء الاسلام في نظام هذا العالم ، هذه هي الصورة الواضحة الجلية التي رسمهـا مبدع هذا الكون ومنظم الوجود ، هذه الصورة تريك ان الانسان رشيد وعليه حفظ خلافته وصيانة رتبتهِ والاحتفاظ بدرجتهِ وانهُ هو الوكيل في الارض على نفسه وعلى الحيوان والنبات . الانسان خليفة ، واي خليفة . اف للانسان وماذا صنع ؟ انقسم مرشدوه الى قسمين وانفصلوا حزبين راحمين وظالمين أما الراحمون فهم قسمان انبياء وحكماء والآخرون مضلون

الرحمــة

من الرحمة ما نصح بهِ بوذا او چوطامي بن ملك الهند من سنة ٦٠٠ قبل الميلاد الى سنة ٥٤٣ وتبعه نحو ثلث النوع الانســاني في الهند والصين بماذا اوصى ؟ اوصى بالشفقة والمحبة والرحمة والعطف على اليتامى والمساكين وابن السبيل والاخاء والمساواة بين عموم البشر

واوصى بالحيوان كالانسان وشدد وحذر من ايذائه

اوصى بالعفة والشجاعة ، والصبر والوقار ، والادب والابتسام ، وحب العلم في الانسان . فكأنه شعر بأن كل حيوان على سطح الكرة الارضية تحت رعايتنا ، ولنا عليه الولاية ، ونحن اوصياء الله عليه ، فلنرحمه ولنعطف عليه ، فالله ما خلق هذا باطلا ، فمن اذى حيوانا ، او لم يقم بحق الانسانية ، فهو كفور جهول

وترى في اصول الدين النصراني من الرحمة والشفقة ، وحب النوع الانساني مالا مزيد عليه ، ولكن الانسان ظلوم جاحد للحقائق غادر لا يصغى لنصح الناصحين ومن آيات الرحمة الظاهرة ما اقرته الشريعة الاسلامية من حرمة البيت الحرام وتحريم صيد الحرم ، وقتل المحتمي بهِ فكأنها اشارة خفية للناس ان يرحموا الانسان ويعمموا السلام ، ولا يؤذوا الحيوان ، هذه اشارات تشير لهم ان ارحموا ترحموا واعلموا ان الحيوان له ادراك وشعور يتألم كما تتألمون ويشعر كما تشعرون فاياكم ان تؤذوه

وهل اتاك نبأ الحكيم سولون من اليونان اذ قال لقومه ألا تعقلون أتؤثرون حكم المستبد على العادلين هلاّ استبدلتم النادي الشوري باحكام الظالمين فتولوا عنهُ مدبرين واتبعوا الطاغي كما كانوا يعتادون فتولى عنهم وقال يا قوم لقد نصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين وعلمتكم الفضيلة ونظام الاجتماع وحكم الجمهور العادل بالنائبين المخلصين فكذبتم وارتبتم وخضعتم للمفكرين ثم ألقى سلاحه عند باب الندوة وقال انكم قوم تجهلون ثم هاجر من اليونان وقال والله لا يجمعني والظالم

مكان لئلا يقول طلاب العلم ان سولون يرضى بما يعمل الظالمون فلما ان جاء ليديا قال له ملكهم العظيم ماذا ترى من العظمة في ملكنا الفخيم ، ألم ترَ الى ما اوتينا من زينة وجمال وحبذ باهرين وهلاّ راقك هذا القصر واثاثه والسرر البهية والاكواب الموضوعة والنمارق المصفوفة والزرابي المبثوثة فقال ان كل ذلك الا متاع الغافلين وزينة الجاهلين وعظمة المغفلين ألا انما سعادة الرجل أن يعدل في العالمين ويقسط في حكمه بين المتقاضين كملك كان في اليونان اقاموا له التماثيل بعد وفاته وحزنت جميع الناس على مماته وقالوا انهُ لرزء عظيم

واضرب لك مثلاً ولدين اكرما امهما الصالحة وجرا عربتها الى مصلى العابدين فدعت لهما فلما ماتا رضي الناس عنهما اجمعون فكانا صالحين في حياتهما قدوة بعد موتهما

فاستكبر ملك ليديا فأخذه اعداوءه أخذ القاهرين وكادوا يحرقونه فتداركه الله بلطفه واخره الى حين

ولأذكر لكم سقراط اذ نبذ الرذيلة وعشق الفضيلة وقال يا قوم اياكم والظلم فانهُ ظلمات وكونوا صالحين الى الممات انما الحياة الدنيا متاع فكذب الطاغون الثلاثون واجمعوا امرهم بينهم ان يقتلوه فشاع ذكره في الآفاق وعم علمه العباد والبلاد ، وانتشر تلاميذه «وشاع تعليمه» في الآخرين ، ولقد قفى على اثاره بعد موته بمائة سنة ابيقورس اليوناني الذي كان في القرن الرابع قبل الميلاد ولد سنة ٣٤٢ واوصى قومه بالمحبة وقال ان المحبة العامة كنز ثمين فالحب عندي مبدأ السعادات وان الحياة لشقاء ولا يكشف غمها الا الاحباب المخلصون

وهناك العالم الافرنجي دلامترى في القرن الثامن عشر المولود سنة ١٧٠٩ اذ قال لا تتبعوا خطوات الشهوات واعلموا ان الذين يتبعون الشهوات مرضى فداووهم بعلم الاخلاق واضربوا لهم الامثال لعلهم يعقلون

ثم قام من بعدهم البارون هلباخ من الالمانيين اذ ولد سنة ١٧٢٣ وألف كتاب نظام الطبيعة سنة ١٧٧١ وقد كان للفقراء من المحسنين كثير الحب للعلماء غزير العلم عالي الهمة ، نظر الى الانسان نظر الرجل الى الصبيان وقال ، يا اهل اوروبا ان شقاء الانسان لجهله بما طبع عليه من الجمال وما في هذا الكون من المخلوقات ، فحرروا عقولكم من الاوهام وخلصوا انفسكم من ظلمات الجهالات وابحثوا عن عقولكم الشريفة وقواكم العالية ان الانسان لفي ضلال مبين. سيعيش الناس على الارض اشقياء ما داموا يجهلون نفوسهم . ان الانسان جهول كذوب وضل عقله وغوى ، واتبع الهوى وصنع المدافع المهلكة والاسلحة القاتلة ، وعلمه الجهال ان هذا سعادة الانسان . ألا انكم لفي عذاب مهين

ولقد اجاد في القسم السياسي من كتابه وكان من اسباب الثورة الفرنسية الكبرى وقال فيه يا ايها الناس انما المعاصي الظاهرة ، والحروب القائمة ، والشرور العامة في هذا الانسان ، ليست من طبيعته ولا من اصل جبلته وانما اركسهم في سجين تلك الشرور الحكومات الظالمة و بعض الديانات المنحرفة وامثلة الشر المنصوبة امام اعينهم

ان اكثر الحكومات ترفع الكبير اذا ظلم وتعفو عنه اذا اقترف لموبقات ولا ترحم الصغير اذا ارتكب اصغر الذنوب فلا قانون يجمع

الغني والفقير والعظيم والحقير

جهل الناس أمر القضاء فخصوا بهِ الضعفاء وعفوا عن الاقوياء وتناقضوا في قضاياه يحللون ما يحرمون ويحرمون ما يحللون فهم يقتلون الصعلوك اذا جنى ويعظمون السري الظالم اذا ما فعل فعل ذلك الصعلوك . قتل الانسان انهُ لظلوم جهول . وما الفضيلة الاهبة في الهواء وسهم عندكم طائش وهباء منثور وما معلم الفضيلة لهؤلاء الا كنافخ في غير ضرم ومستسمن ذا ورم أو كمن يفضض البعرات ويجصص قبور الاموات بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون من التربية السيئة وقدوة الشر

ألا وان رجال الفضيلة يتخطفهم هذا المجتمع الفاسد من عن ايمانهم وعن شمائلهم فهم كجذوة نار في جو بارد . ان جذوة النار في البرد لا محالة ذاهبة خامدة ، فماذا يفعل المصلحون ، ولقد تقتل الحكومات من عملوا عملاً سيئاً لعقيدة فاسدة ايدتها تلك الحكومات بحماية اولئك الحاكمين ان الانسان لظلوم كفار . هذا هو نبأ هلباخ ولقد مات سنة ١٧٨٩ في باريس ، ولقد كان ممن عاصره العالم هلفتيوس كان ابواه المانيين وولد بباريس قال ، اياك واضطراب الفؤاد وان اردت السعادة فلتكن نفسك مطمئنة فالاضطراب شقاء والطمأنينة نهاية السعادة

وما عدا ذلك من تعاليمه في الاخلاق فان فيها شططاً يأباه نظام الكون وفطرة الانسان

اولئك العلماء ممن ذكرنا وممن لم نذكر حضوا اممهم على الفضيلة واسعاد الناس فمنهم المقصر ومنهم السابق ومن عجيب انهم في المادة

والروح والعالم الاعلى مختلفون

واتفقت كلمتهم واتحد رأيهم على تقبيح الرذيلة وتقديس الفضيلة ولكن اكثر الناس غافلون . هذا ذكر بعض الرحماء من الامم الغربية واكثر الناس عن البحث والفقه معرضون

وهناك طوائف بشرية وشرذمة من العلماء قلبوا صحيفة الانسان والحيوان وقرأوها معكوسة وشوشوا وضعها واستحبوا ضد ما قام عليه البرهان من الرحمة العامة وقالوا اننا قرأنا ما ذهب اليه الفلاسفة العظماء والحكماء الكبراء لقد قرأنا مذهب دروين اذ جاء بما لم يأتِ به الاولون ونظم الانسان والحيوان في نظام الاشتقاق وقد غفل عن ذلك السابقون ، ألا انهم هم الكاذبون ، ان هذا المذهب كان من قبل ذلك معروفاً كما قدمناه عن اخوان الصفاء ولقد اوقعهم هذا الوهم في هوة الرذائل واخذوا يسلكون في البحث سبيل الجاهلين، وقالوا ضد ما قال الاولون، وهم كانوا اغزر منهم علماً واوسع مادة وارقى ادباً. قالوا ان هكلسلي اوضح ان لا فارق بين ادنى الانسان وأعلى الحيوان كما بين الحيوانات العليا والدنيا بل المسافـة في اخرهما اوسع مما في اولهما

فظن اولئك الجهال ان هذا يجيز لهم اهتضام حقوق الامم الضعيفة معتبرين انهم ادنى منهم مقاماً فزادوا في غلوائهم وضلوا في طغيانهم وجهلوا المنطق وظنوا انهم بتخمينهم (ان الفرق بين رجلين احدهما من الطبقه العليا والآخر من الطبقة السفلى من نوع الانسان اوسع مما بين ادنى الانسان واعلى الحيوان) قد عثروا على كنز من الحكمة ثمين اذ يجعلون الانسان الجاهل في عداد الحيوان. وتقول الامة العالمة

للجاهلة وان كانت اكثر منها استعداداً واصح اجساماً انكم بالنسبة لنا خادمون ، وعبيد مسخرون، ولقد عتوا عتواً كبيراً ، وظاموا الحكمة باستنتاج قبيح اذ رأوا ان كثيراً من القرود الشبيهة بالانسان يكون اكثر وقوفها منتصبة وابهام ارجل بعض المتوحشين اشبه بأرجل بعض الشمبانزي والغوريلاّ من القرود

أليس من المدهش ان صحيفة المواليد الثلاثة تعرض على بوذا فيرى الحيوان يشعر بما يشعر به الانسان فيرحم الطائفتين ويسعد الحيين . ونفس هـذه الصورة تتجلى لبعض رجال العصر الحاضر فينسون عقولهم وانفسهم ويقولون ما لنا وللرحمات انما المفضل في العالم هم الاكثرون مدافع المنظمون جنوداً ومن عداهم من الانسان فانما هم من الحيوان فلنتخذهم خدماً وحشماً . الاساء مثل الجاهلين . يا أيها الناس ادرسوا العلم كما بيناه اقرأوا هذا العالم ، افهموا هذا الوجود . هذه القضية في الانسان غريبة كاذبة ، فان جمال الصنع واتقان الوضع في اتصال الانسان بالحيوان نظامياً اقوى حجة وأجل برهان على وجوب العطف العام على الناس والحيوان أفلا تعقلون . ما لكم لا تفكرون هل غلبت على عقولكم شهوات بطونكم ونزعات شياطينكم فأزلتكم للذنوب. يا أيها الناس انكم جميعاً اخوان. ان الفلسفة التي تدعون ان دروين اخترعها ثابتة في كتب العرب معلومة عند الامم الغابرة في القرون الخالية . لا تجعلوا العدل تبع القوة فالعدل عام في الوجود

وهب ان الرحمة خاصة بالاقوياء فماذا اباح لكم ان تمنعوا ضعفاء الامم من التعليم وهل آنستم في الحيوان الذي احتقرتموه طيراً يمنع

خاه تعليم الطيران فما اجهل الانسان . واذا كنتم تربون ابناءكم على المبادىء الشريفة ، فهلا اعتبرتم الامم الجاهلة اطفالاً تلقنونهم العلم

وما هو حد الوطن اهو ذلك الخط الفاصل بين بلادكم وما جاورها ولو حل فيها اعداؤكم وسكن فيها خصومكم واستظل بها قوم من امم لكم مبغضين ، ام الوطن واهله الذين عاشوا معكم ايام حياتكم

فان كانت الأولى فلقد حددتم تحديد الواهمين وجعلتم احسانكم خاصاً بدائرة ارض لا يتعداه كأنها صنم تعبدونه او كلب تطعمونه وهل تخدمون بهـذا لاَّ المصادفة العمياء ؟ فلو هلكت ابناؤكم وحل محلها قوم آخرون فان خدمتكم بالرغم عنكم راجعة لنوع الانسان لا لأمــة خاصة فان من يتجنسون بجنسكم ويسكنون ارضكم من امم آخرين غير معروفين

ولكم هضمتم حقوق امة حباً في امتكم ولقد والله ظلمتم للاحسان واغتصبتم للارضاء فرحمتم قوماً وعذبتم آخرين . فما اكثر اوهام الانسان

وان زعمتم ان من عاشوا معكم في الوطن هم الذين تعنونهم بخدمتكم وقصرتم عليهم رحمتكم فان لم تغتصبوا حقوق الامم الضعيفة فقد احسنتم وان ظلمتم الامم وهضمتم الحقوق ارضاء لابناء بلادكم فانتم مجردون عن الفضيلة الانسانية . ومثلكم كمثل السارق الذي يطعم من كسبه الفقراء ومن يقتل امرءاً ليجعله طعاماً للآكلين ، ومن لكم بان تقصروا بلادكم على ساكنيها فقــد يتبدل السكان بالسكان ويملأ المكان بقوم غرباء ، ان الناس يخدمون أهواءهم ويتبعون جهالاتهم

أطفال الانسانية وما أدراك ما أطفال الانسانية

اطفال الانسانية هم الامم التي ضل سعيها في الحكمة والفلسفة نظروا نظام النبات والحيوان والانسان واتصال هذه السلسلة البديعة فعجزوا عن فهمها وضلوا فيما يعملون

يقول الانبياء عمموا الرحمة على الانسان والحيوان لأنها تحس وتفهم ولا تكونوا جبارين فيقولون ان ما كان أصلح للوجود هو الأولى بالبقاء فخلطوا نظاماً بنظام، ألا انما الاضعف في حمى الاقوى فلم ترحمون الابناء

ان في النفس لرحمة وشفقة . في النفوس رحمة الابناء ورحمة الناس ورحمة الحيوان ، القلوب مهبط الرحمة ، القلوب مشرق أنوارها فمن ذا الذي أفتى الانسان بالتفريق بين الرحمات

صورة الوجود المنظومة المعلومة الشاملة للحيوان والانسان دلت قوماً على جمال نظامها وآخرين على وجوب الرحمة بأهلها فترحم الانسان والحيوان وارتكس قوم في حمأة الرذيلة فقالوا لا رحمة الا للابناء ومنهم فريق يلوون ألسنتهم بالعلم فيقولون نرحم فريقاً ونعذب آخرين وآخرون منهم أنعموا على الحيوان وعذبوا الانسان فخلطوا في فهمهم وضلوا في منطقهم . قتل الانسان ما اكفره . الامم اليوم أشبه بامرأة زانية ذبحت ولدها ووأدت فلذة كبدها ارضاء لشهوتها واتباعاً لخطوات غيها

هذا فعل الامم الآن يقدمون عقول الامم واموالها قرباناً لمطامعهم

فما اشبههم بالعذراء الفاجرة الماكرة التي وأدت ولدها وتراهم يقولون اعتذاراً لا قيمة للعواطف كما تقول تلك الماكرة الغادرة

الامم على سطح الكرة الارضية كالدود على ساق الشجرة واوراقها كالنبات وازهارها كالحيوان واثمارها كالانسان وكل أعلى مما قبله وأقل مما بعده وترى الدودات يتساءلنَ ويقلنَ لفراشة طائفة حول الزهرات ماذا تقولين عن حال هذه الشجرة فتلقنها بما تفهمه فيصير قولاً مقبولاً

الناس غارقون اما في غمرة الجهل او في بحر حيرة العلم . كبرت على عقولهم نظامات العالم فتلقفوا كمات الخارصين تلقف الجهال كمات الدجال الذي يدعي فتح الكنوز بالاحلام والاوهام

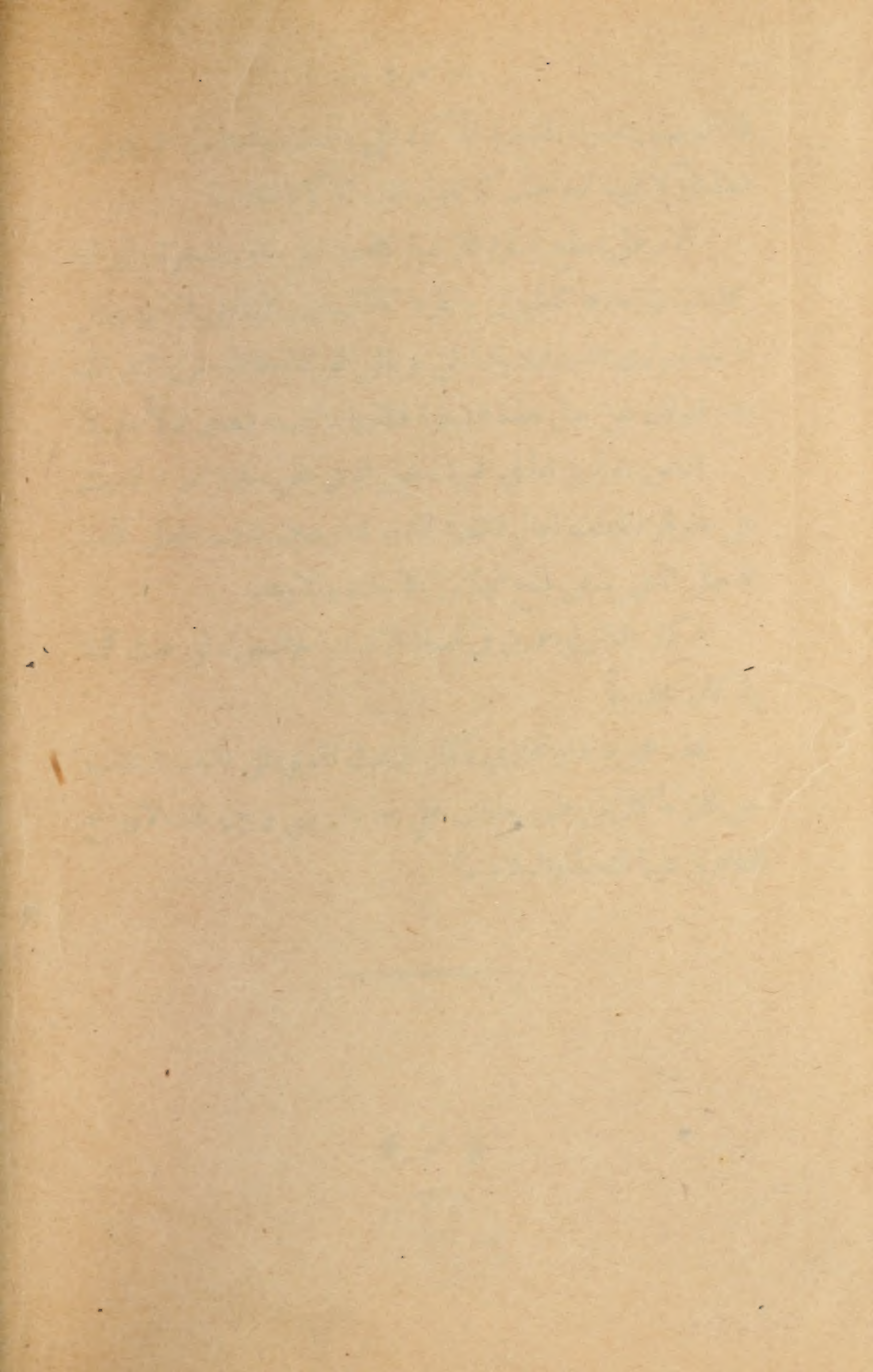
اكثر الناس واهمون في قضايا الانسانية خاضعون لمن علت كلمته ولو كان مخدوعاً

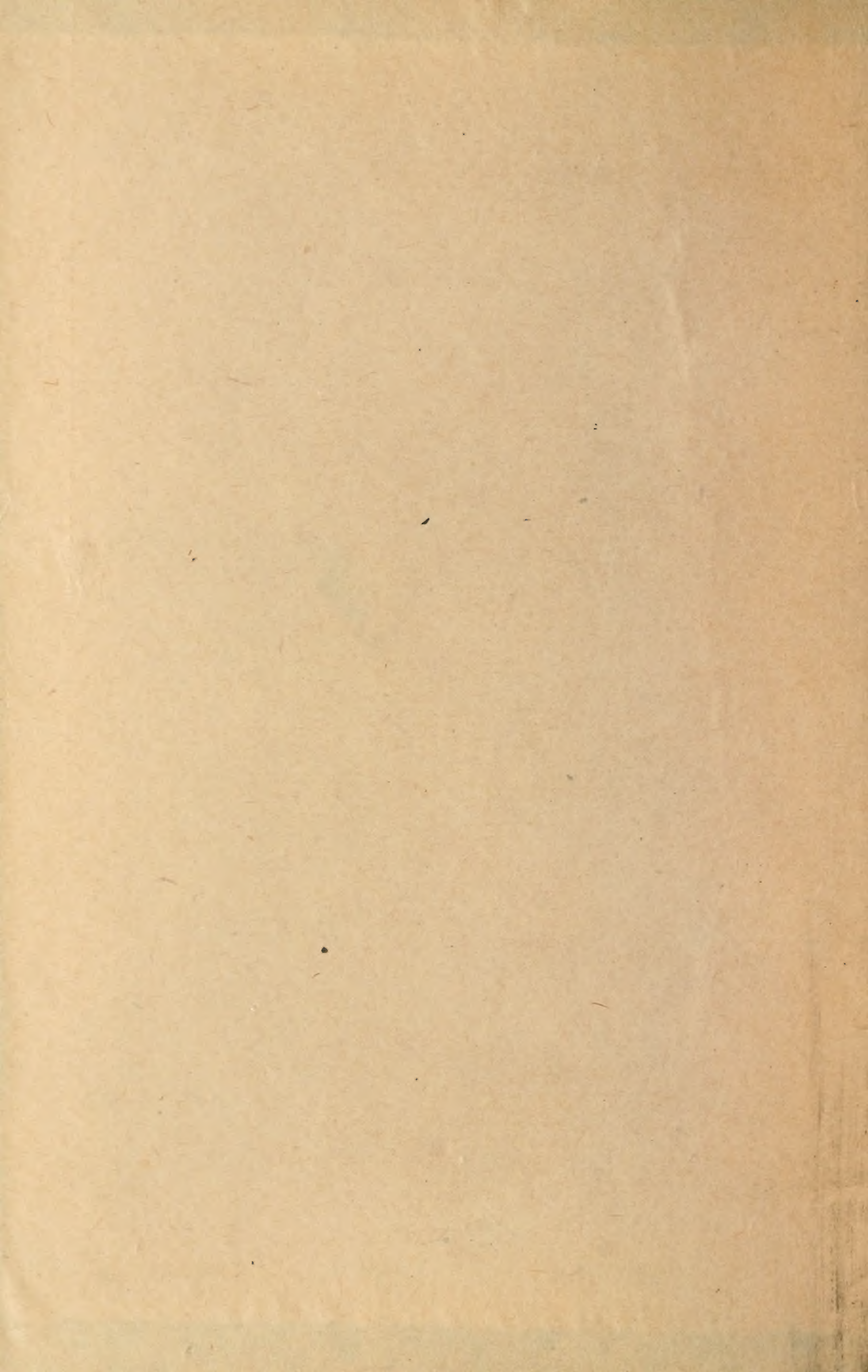
هذا مجمل ما دار بخلدي وكان الباعث القوي على تأليف الكتاب حتى كان ما كان من ظهور مذنب هلي وما دار بيني و بين تلك الارواح الطاهرة عليها التحية والسلام م؟

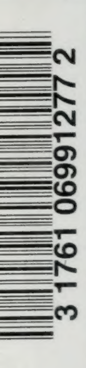











3 1761 06991277 2